مقدمة
في
تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث

(من الاكتشاف إلى الاستقلال)

الدكتور
هاشم صالح التكريتي

مقدمة في

تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث

من الاكتشاف الى الاستقلال

الدكتور

هاشم صالح التكريتي

دار الجواهري



e-mail : daraljwahere@yahoo.com

موبايل ٠٧٧٠٢٩١٠٠٩٠
٤١٦٣٣٨٦

اسم الكتاب : مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث

اسم المؤلف : د . هاشم صالح التكريتي

الطبعة الأولى
٢٠١٣

رقم الايداع بغداد ٢٠١٢/٢٧١٧

دار الجواهري للطباعة والنشر والتوزيع
بغداد - شارع المتنبي

المقدمة

في الربع الأخير من القرن الثامن عشر رفعت المستعمرات البريطانية الثلاث عشرة في أمريكا الشمالية راية الكفاح ضد السيطرة البريطانية واعلنت في العام ١٧٧٦ استقلالها عن بريطانيا وخاضت حرباً ضروساً استمرت ثمان سنوات اظهر خلالها سكان المستعمرات البسطاء شجاعة وتفانياً واصراراً على تحقيق اهدافهم بالاستقلال والديمقراطية والحياة الافضل، وتمكنوا بالنتيجة من اجبار الحكومة البريطانية على الاعتراف باستقلالهم فظهرت بذلك دولة جديدة تقوم على اسس ديمقراطية لم تالفها الانظمة الرسمية في العالم انذاك، ونعني المبادئ الديموقراطية التي الحقت بالدستور الذي قام عليه النظام الجديد في الدولة. ومع ان الحقوق الديموقراطية التي تضمنتها لائحة الحقوق التي الحقت بالدستور كانت حكراً على السكان البيض وان نظام الرق ظل قائماً في الولايات الجنوبية فان الحياة وسنة التطور اثبتت فيما بعد استحالة التعايش بين نظام الرق السائد في الجنوب والنظام الرأسمالي السائد في الولايات الشمالية التي الغت الرق، فقامت الحرب الأهلية التي انتهت بانتصار الشمال، لكن ذلك يؤلف قضية اخرى تخرج عن نطاق المرحلة التي كرس لها الكتاب الراهن، فالمرحلة التي يعني بها الكتاب الذي نضعه الان بين يدي القارئ العربي هي المرحلة التي سبقت الاستقلال والتي اصطلح على تسميتها بالمرحلة الكولينالية وهي مرحلة لها اهمية خاصة في تاريخ الولايات المتحدة إذ فيها ارسيت اسس الدولة التي نشاهدها الان، ومع اهمية هذه المرحلة فان الباحثين العرب لم يولوها ما تستحقه من اهتمام فالمكتبة العربية لاتضم الا القليل من الدراسات الأكاديمية الجادة عن تاريخ الدول الغربية الحديث ولاسيما في مراحله الأولى، وينطبق ذلك بشكل خاص على تاريخ الولايات المتحدة، فاغلب ما كتب بالعربية ذو طابع عام معد

للقارئ العادي ومكرس في أغلبيته لتاريخ الولايات المتحدة المعاصر انطلاقاً من أهمية هذه الدولة في الوقت الحاضر كونها تحتل المكانة الاقتصادية والعسكرية الأولى في العالم. وقد أدركت الأوساط الأكاديمية في جامعاتنا في الآونة الأخيرة هذا النقص فأخذت توجه طلبة الدراسات العليا لبحث موضوعات تسهم في سد هذه الثغرة فظهر مؤخراً العديد من الرسائل والاطاريح في هذا المجال.

من هذا المنطلق ومن قبيل الحرص على توفير مصدر رصين للباحثين والدارسين العرب نقدم هذا الكتاب للقارئ العربي وأملنا ان يؤلف اسهامة متواضعة في سد الفراغ الذي لمسناه ونحن ندرس هذه المرحلة من تاريخ الولايات المتحدة لطلبة الدراسات العليا في جامعاتنا سنين عديدة ، كما نأمل ان يكون استجابة للاهتمام الواسع الذي يوليه العرب لأسباب معروفة لتاريخ وحياة الشعب الأمريكي وتاريخ الولايات المتحدة – الدولة التي ولدت من خلال نضال ثوري خاضته من أجل حريتها واستقلالها.

بغداد

كانون الثاني ٢٠١٢

هاشم التكريتي

الفصل الأول

أمريكا قبل كولومبس

تشير الدراسات الجيولوجية إلى ان الجليد الذي كان يغطي اجزاء واسعة من الأراضي التي تؤلف الولايات المتحدة في الوقت الحاضر في العصر الجليدي الأخير، قد بدأ بالذوبان قبل حوالي أربعين ألف سنة ، ويقول الجيولوجيون ان أول منطقة في أمريكا الشمالية بدأ الجليد بالذوبان فيها هي المنطقة المتاخمة لساحل القارة الشمالي الغربي، وتشير دراسة التربة والتكوينات الصخرية في المنطقة إلى ان ذوبان الجليد بدأ في ساحل الاسكا ثم امتد فشمل وديان الأنهار المشهورة هناك : يوكون Yukon ومكنزي Mackenzie وفريزر Fraser وكذلك إلى الجنوب من جبال روكي. ويفترض الباحثون ان موجات متعاقبة من النازحين من سيبريا، عبر مضيق بيرنغ [1]، كانت تتقدم نحو الجنوب من هذا الممر، وكانت كل موجة تدفع امامها من سبقها بالتدوم، فكان القادمون الأوائل ينتقلون تحت ضغط القادمين الجدد إلى السهول العظمى التي تعج بالجاموس الذي كان هؤلاء يعيشون على صيده، ومن هناك إلى المنطقة التي تعرف الان بولايتي نيومكسيكو واريزونا. ويبدو ان هذه المنطقة الأخيرة

---

(١) لاتتعدى المسافة بين الساحل في اقصى شمال شرق سيبريا وجزيرة ديوميدا Diomede الكبرى التي تعود لروسيا ٢٣ ميلاً، ولاتبعد هذه الأخيرة سوى ثلاثة اميال عن جزيرة ديوميدا الصغرى التي تعود إلى الولايات المتحدة. وتبلغ المسافة بين ديوميدا الصغرى وشبه جزيرة سيوارد Seward في الاسكا ٢٢ ميلاً فقط.

...نت مأهولة بأناس يسكنون الكهوف (١)، وقد تحصن هؤلاء بكهوفهم واستطاعوا ...ن يحافظوا على وجودهم من سيطرة القادمين الجدد الذين يبدو انهم لم يتعودوا ...لى السكن في الكهوف فتجاوزوا سكانها ووصلوا في تقدمهم إلى المكسيك ...أمريكا الوسطى، وصنع بعضهم قوارب من جذوع الأشجار استخدموها ...وصول إلى جزر الكاريبي والاستيطان فيها، في حين عبر البعض الاخر إلى ...مريكا الجنوبية، وانتشروا فيها حتى وصلوا إلى بتاگونيا Patagonia في أقصى جنوب القارة.

(١) لاتوجد معلومات مؤكدة عن أصل الإنسان في أمريكا، هناك العديد من النظريات والآراء لم يثبت أي منها بالدليل القاطع. يقول المؤرخ الأمريكي موريسون بهذا الشأن: " لاشيء معروف بشكل اكيد عن اصل الانسان في القارة التي ندعوها أمريكا . كل فرضية جيدة كالاخرى. وقد جرى الاعتقاد دائماً بوجود الانسان هنا قبل الهنود [الحمر] ، وغالباً ما جزم بوجوده لكن ذلك لم تجر البرهنة عليه " .

Samuel Eliot Morison, The Oxford History of the American People, New York, 1965, P.5.

ويذهب البعض بعيداً في هذا الامر فيقررون ان الانسان وجد في الامريكتين اولاً ومن ثم هاجر إلى أوربا عبر اسيا، لكن ذلك امر لاتقره الاغلبية الساحقة من الباحثين – أنظر:

Robert Davenport, Alpha Teach Yowself American History in 24 hours, USA, 2003, P.4.

فالمتفق عليه الان هو " ان الأمريكيين الاوائل كانوا أسيويين " على حد تعبير الباحث الأمريكي جيمس شوتويل:

James T.Shotwell, The United States In History, New-York, 1956, P.4.

يؤكد ذلك ان اقدم المخلفات البشرية التي عثر عليها في العالم الجديد تعود جميعها إلى نوع الإنسان الحديث Homo Sapiens لهذا " فان من المتفق عليه بشكل واسع ان الإنسان لم ينشأ في العالم الجديد وانه لا أحد قبل الهوموسابينس قد وجد هنا" .

Richard B.Morris, (ed.) Encyclopedia of American History, Sixth Edition, Harper and Row, Publishers, 1982, P.4.

طبيعي ان هذه الموجات البشرية لايمكن ان تنتمي إلى مجموعة واحدة بل لابد ان تكون هناك مجموعات مختلفة عبرت في اوقات مختلفة مضيق بيرنغ من اسيا إلى أمريكا، ولابد ان الافاً كثيرة من السنين مضت قبل ان يتشكل هؤلاء القادمون في قبائل وشعوب تختلف في اشكالها ولغتها واسلوب حياتها، ولابد ايضاً ان تكون قد مرت الاف اخرى من السنين لكي تتطور شعوب المكسيك وبيرو وكولومبيا من صيادين بسطاء إلى بناة لحضارات متقدمة لاتقل شأناً عن حضارات الشرق القديمة.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو متى عبر الإنسان لأول مرة من اسيا إلى أمريكا، علماً بان طريق مضيق بيرنغ هو واحد من فرضيات عديدة اخرى لم يجر التحقق منها حتى الان، إذ يحتمل ان وصول الإنسان إلى القارة الأمريكية كان بواسطة قوارب كتلك التي يصنعها سكان بولنيزيا أو تلك التي شاهدها كولومبس في الكاريبي عند قدومه إلى هناك في ١٤٩٢.

الواقع انه لايمكن الاجابة على هذا السؤال بشكل قاطع، إذ لا أحد حتى الان يستطيع ان يؤكد بدقة الوقت الذي وصل فيه أول انسان إلى القارة الأمريكية. ان اللقى الاثرية التي عثر عليها الباحثون ، وهي قليلة جداً، لاتمكن من رسم صورة متكاملة عن قدوم الإنسان إلى أمريكا وحياته وطريقة معيشته في تلك الازمنة الموغلة في القدم . ومع ذلك يخمن الباحثون، استناداً إلى الآثار القليلة المكتشفة والى الوسائل الحديثة في تحديد تواريخ تلك الآثار، ان قدوم الإنسان إلى الأرض الأمريكية وانتشاره فيها تم في المرحلة الزمنية الواقعة بين ٣٥ ألف و ٨ ألاف سنة قبل الميلاد (١) ، وان قدوم الإنسان إلى الأراضي التي

(1) Morris , Op. Cit., PP.3-5; I.P.Dementev, "Soedinennye Shtaty Ameriki, Istoricheskii Ocherk do 1877", Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopediya, T-13, Moskva 1971, P.231; A.V.Efimov, Ocherki Istorii Ssha ot Otkrytiya Ameriki do Okanchaniya Grazhdanskoi Voiny, Moskva 1955, P.30.

تؤلف الولايات المتحدة حالياً قد تم في حوالي ١٢٠٠٠ قبل الميلاد [1]، لكن الباحثين لايستطيعون رسم صورة متكاملة عن قدوم الانسان إلى أمريكا ولا عن تفاصيل حياته فيها آنذاك . لقد استعرض المؤرخ الأمريكي موريسون واقع الدراسات الاثرية بهذا الشأن واكد انها لاتمكن الباحث من ان يؤلف أكثر من " جزء من ١ بالمائة من صورتنا المشوشة عن الإنسان الأول في أمريكا " وخلص من دراسته تلك بالاستنتاجات الاتية [2]:

١- بدأت اقوام من الجنس المغولي في زمن سبق ١٠ألاف قبل الميلاد بعبور مضيق بيرنغ من اسيا إلى أمريكا ، وانتشروا مع الوقت في طول القارة وعرضها حتى وصلوا إلى بتاگونيا في ٨٠٠٠ ق.م.

٢- ان هذه الأقوام قريبة من حيث الجنس من الهنود الأمريكان الذين وجدهم الأوربيون في القارة فيما بعد ولكنها لاتؤلف اسلافاً لهم بالضرورة. ان الهنود الذين نعرفهم يمكن ان يكونوا قد قدموا إلى القارة فيما بعد بنفس الطرق التي سلكها من جاء قبلهم أو بغيرها، وربما يكونون قد ابادوا الاقوام البدائية التي سبقتهم أو تمثلوهم أو دفعوا بهم إلى مناطق السكن فيها غير مرغوب.

٣- كان القادمون الأوائل يعتاشون من صيد الطرائد الكبيرة، يستخدمون في صيدها رماحاً مزودة برؤوس مصنوعة من الصوان أو غيره من الصخور الصلبة، وكانوا يهذبون جلود الحيوانات المنقرضة في الوقت الحاضر كالبيسون وغيره بمكاشط من الصخر ثم يستخدمونها للباس والسكن على الرغم من انهم كانوا يفضلون العيش في

(1) Davenport, Op. Cit., PP.3-4.

(2) Morison, Op. Cit., PP.3-8; انظر ايضاً: Morris (ed.), Op. Cit., P.5.

الكهوف. وكانوا يقتاتون ايضاً بالجوز والبذور البرية وربما بالسمك ايضاً، ولكنهم لم يكونوا يزرعون الذرة أو غيرها من المحاصيل ولم يعرفوا تدجين الحيوان باستثناء الكلب ويجهلون استعمال المعادن، الامر الذي يجعلهم اشبه بانسان العصر الحجري القديم في أوربا.

وعلى الرغم من ان الانتقال من دراسة هذه الأقوام البدائية في أمريكا إلى دراسة الهنود الذين صادفهم الأوربيون هناك عند قدومهم لأول مرة هو " كالخروج من الظلمة الحالكة إلى منطقة من الضوء الساطع " [1] ، لان الهنود مازالون يعيشون في شمال أمريكا ووسطها وجنوبها واصبح مجتمعهم الحالي وتراثهم الشعبي موضوعاً لآلاف البحوث والدراسات طيلة القرون الخمسة الاخيرة الا اننا لانستطيع ان نتعرف على تاريخهم بشكل كامل أو حتى قريب من الكمال، فالهنود الحاليون حتى في المناطق التي كانت في السابق موطناً لحضارات هندية متقدمة كالمكسيك وبيرو لايتذكرون من ماضيهم الا بعض الأساطير وبعض الأحداث البارزة التي لاترقى إلى أكثر من قرن أو قرنين قبل الان ، والاثار التي تم اكتشافها حتى الان لاتسهم كثيراً في مساعدة الباحثين لاسيما وان المتعصبين من الأوربيين الأوائل دمروا الكثير منها واتلفوا الكتابات المنقوشة عليها.

على اية حال الشائع بين علماء الآثار الان ان مجتمع الصيد الأول ظل قائماً في أمريكا حتى الألف سنة الواقعة بين ٥٠٠ قبل الميلاد و٥٠٠ بعده، ففي هذه الالف سنة ، حقق سكان أمريكا قفزة في تقدمهم إذ تعلموا الزراعة وصناعة الفخار وحياكة السلال وتعلموا في بعض المناطق الحياكة والبناء بالحجارة وخلط النحاس بالذهب.

(1) Morison, Op. Cit., P.9.

لكن هذا التقدم لم يحصل بنفس المستوى في جميع المناطق حيث تحقق بسرعة اكبر في بعض المناطق كما حصل للمايا في أمريكا الوسطى والانكا في بيرو والتشبتشا Chibcha في كولومبيا والازتيك في وسط المكسيك.

لقد كانت إمبراطورية المايا في مرحلة التفكك والتدهور حين وصل الاسبان إلى القارة لكن اثارهم الشاخصة في مختلف انحاء أمريكا الوسطى تشهد على ماضيهم المزدهر وحضارتهم الشامخة وهي مازالت تخفي الكثير من الاسرار التي استعصت على الحل حتى الان. يكفي ان نتذكر انهم كانوا يستخدمون تقويماً دقيقاً للغاية " انه أكثر دقة من التقويم اليولياني الذي ظلت الأراضي الناطقة بالانجليزية تستخدمه حتى عام ١٧٥٢" (١).

وتشير المعلومات التي استقيت من هذا التقويم (٢) ومن نتائج التنقيبات التي جرت في مواقع قليلة من مواقع المايا (٣) إلى ان إمبراطوريتهم بدأت في غواتيمالا لكنهم ما لبثوا ان هجروا بيوتهم المبنية من الحجر هناك إلى بيوت جديدة في يوكاتان، وهناك وصلت حضارتهم ذروتها في حوالي ١١٠٠م ، وبعد ذلك بقرن تقريباً قامت قبيلة محاربة من الشمال تدعى تولتك Toltec يقودها زعيم بارز اسمه كويتزلكواتل Quetzalcoatel باحتلال اغلب اراضيهم وتمثلت ثقافتهم. لكن إمبراطورية التولتك ما لبثت ان سقطت نتيجة لهجوم ضار شنه عليهم جنس محارب اخر من الشمال هم الازتك الذين وصلوا إلى مدينة المكسيك

---

(1) Morison, Op. Cit., P.10.

(٢) خصص عالم الفلك البولندي لودفيك زيدلر فصلاً كاملاً لقراءة وتحليل تقويم المايا في كتابه الشيق " اتلانتيدا " – انظر:
Ludwik Zajdler, Atlantyda, Perevod s Polckovo V.S.Koleshi i V.L.Shibaeva, Moskva 1966 str. 245-273.

(٣) جرى اكتشاف الكثير من مواقع المايا ولكن لم ينقب، بشكل دقيق الا في القليل جداً منها.

في حوالي ١٣٢٥م واسسوا إمبراطورية ظلت قائمة إلى ان وصل الاسبان إلى تلك الأصقاع فقام قائدهم الشهير هرناندو كورتيس بالاطاحة باخر حكامها مونتسوما الثاني.

ذلك هو جل ما نعرفه عن هذه الاقوام ، اما ما حدث في مدنهم أو اسماء ملوكهم أو كهنتهم أو غير ذلك من الامور فاننا لانعلم عنها شيئاً.

وفي أمريكا الجنوبية صنع التشبتشا في مرتفعات كولومبيا والانكا في بيرو حضارات متقدمة ومعقدة. ان أكثر انجازات الهنود اللافتة للنظر كانت في حقل الزراعة، فقد طوروا الذرة من نبات بري يعيش في مرتفعات المكسيك والبطاطا من درنة برية تنمو في بيرو وزرعوا الكاكاو وعملوا منه مشروباً خاصاً وحلوى يطيبونها بالفانيلا، كما زرعوا التبغ واهتموا به بسبب تأثيره المخدر واكتشفوا الكنين واستخدموه خافضاً للحمى، وعرفوا زراعة الطماطم والكثير من انواع البقول وصنعوا الحبال من ألياف السيسال (١) واستخلصوا عصارة شجرة المطاط وصنعوا منها كرات مطاطية لألعابهم واحذية وملابس مضادة للماء، وتعلموا استخراج السم من المنيهوت (٢) وزودوا رؤوس سهامهم به وغير ذلك من الامور (٣).

لقد فعل الهنود ذلك كله وغيره واقاموا في بعض المناطق تنظيمات سياسية متقنة وشيدوا بنايات سامقة دون تأثير من شعوب القارات الأخرى (٤).

---

(١) السيسال Sisal ، نبات تصنع من أليافه الحبال.

(١) المنيهوت Cassava ، نوع من النبات يستخرج من جذوره نشاء مغذي، تمكن الهنود بطرق كيمياوية خاصة من استخراج نوع من السموم القوية منه، واستخدموا نشاءه لصنع الخبز.

(3) Morison, Op. Cit., P.10.

(4) Dementev, Tam zhe str,231.

كان الهنود الذين قطنوا منطقة الساحل الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية متقدمين بشكل ملحوظ حين قدم الأوربيون إلى القارة ، وكان اقتصادهم يقوم على صيد الأسماك التي تعلموا حفظها بطريقة التدخين وكانت منطقة سكناهم غنية بالغابات الخضراء ولهذا فقد أصبحت لديهم وفرة من الطعام بحيث امكن ان تقوم هناك مستوطنات وقرى دائمة منذ حوالي الألف الأول قبل الميلاد (١) . ان وفرة الطعام لديهم على مدار السنة وفرت لهم الكثير من أوقات الفراغ اخذوا يستغلونها في امور اخرى غير الركض وراء الرزق، فاتقنوا حياكة السلال وتوصلوا إلى نوع منها صالح لغلي الماء فيه باستخدام الحجارة المحمية وصنعوا قوارب من جذوع الأشجار واحتفظوا في بيوتهم بشجرات للنسب وأصنام طوطمية ، وكونوا ثروات لايستهان بها عن طريق التجارة وتبادل البضائع (٢). وكانت كثرة الاعياد والاحتفالات الباذخة عندهم دليلاً على رفاههم ويسر حياتهم(٣) . وكانت العلاقات الاجتماعية عندهم في مرحلة الانتقال من عصر سيادة الام إلى عصر سيادة الاب (٤) .

---

(1) Davinport, Op. Cit., P.5.

(2) Morison, Op. Cit., P.11.

(٣) لقد كانت كثرة الاعياد والاحتفالات لدى هنود هذه المنطقة دليلاً لدى الباحثين على الحياة المرفهة التي كانوا يعيشونها . ويطلق على هذه الأعياد اسم Potlatch وفيها يسرف الهنود في توزيع الهدايا من العبيد ومن مختلف اللوازم كالأغطية المصنوعة من جلد الماعز ويقيمون الولائم الباذخة، وغالباً ما يستمر الاحتفال عدة ايام. لقد كان البذخ والإسراف في هذه الاعياد كبيرين لدرجة دفعت حكومتي الولايات المتحدة وكندا إلى منعها في ١٨٨٤ ، ومع ذلك واصل الهنود اقامتها سراً إلى ان الغي المنع عام ١٩٥١. انظر :

Davinport, Op. Cit., PP.5-6.

(4) Dementev, Tam zhe str. 232.

لكن ثقافة هؤلاء المتقدمة لم تمتد لتشمل كاليفورنيا التي كانت تعيش فيها قبائل هندية متخلفة تنتمي إلى مجموعات لغوية مختلفة. ان هذه القبائل كانت متخلفة في مستوى تطورها عن بقية شعوب أمريكا الشمالية ، فالهنود هنا كانوا يعيشون في طور جمع القوت ويصيدون السمك والطرائد (١).

ويقطن الساحل الشمالي لأمريكا الشمالية قليل من الاسكيمو – اليوت الذين تشير الدلائل الأثرية إلى ان أول موجة منهم قدمت إلى الاسكا قبل بداية التاريخ الميلادي بقليل واخر هجرة لهم إلى هذه المناطق كانت حوالي العام ١٠٠٠ م أي في نفس الوقت تقريباً الذي وصل فيه النورديون (الشماليون) إلى أمريكا قادمين من اسكندنافيا . ويعيش الاسكيمو على الصيد البحري والبري وهناك بعض الاختلافات فيما بينهم تبعاً لاختلاف الأقاليم في المنطقة الواسعة التي يعيشون فيها من حيث المياه والحرارة وحالات الجليد. وقد تطوروا في بعض هذه الأقاليم بحيث اصبحوا يعيشون في قرى كبيرة نسبياً تقام بيوتها من كتل من الجليد ، وكانت وسيلة نقلهم الزحافات. لقد استطاعوا التكيف مع ظروف بيئتهم القاسية بحيث ان الرحالة الأوربيين الذين اكتشفوا هذه المناطق، استفادوا منهم كثيراً كأدلاء وكذلك من طريقة حياتهم واساليب تغلبهم على قساوة الطبيعة. اما معتقداتهم الدينية فتقوم على الخوف من الأرواح المعادية التي يتوجب في اعتقادهم استرضاؤها، ويجري الاتصال بقوى ما وراء الطبيعة الخارقة عندهم عبر الشامان الذي يعتقدون انه يفهم لغة الحيوانات ويستطيع إرسال روحه للتعامل مع الأرواح المتمردة . واللافت للنظر ان الحروب فيما بينهم نادرة أو معدومة، على الرغم من حدوث بعض المنازعات بينهم وبين الهنود (٢).

---

(1) Tam zhe str. 232.

(٢) انظر :

Morris, Op. Cit., PP.11-12.

وكان هنود المنطقة الواقعة إلى الشمال من المكسيك، أي المنطقة التي تعرف في الوقت الحاضر بنيومكسيكو واريزونا متطورين نسبياً، لقد كانوا يعيشون على الصيد ولكنهم تعلموا الزراعة البدائية وبنوا بيوتاً من الطين وصنعوا فخاراً تظهر عليه المسحة الفنية ومارسوا تبادلاً تجارياً ناشطاً مع القبائل المجاورة [١] . ويطلق على هؤلاء الان اسم بيوبلو Pueblos وهي كلمة اسبانية تعني مدينة وقد استطاعوا حماية أنفسهم من موجات الغزو التي تعاقبت على منطقتهم وحافظوا على كيانهم حتى الوقت الحاضر بحيث انهم الان " يوفرون احسن مثل في الولايات المتحدة للثقافة الهندية المتجذرة بشكل جيد " [٢].

لقد تمكن الباحثون من التعرف على بعض جوانب تاريخ البيوبلو هؤلاء وتطور ثقافتهم خلال المدة من القرون الأولى للميلاد حتى عام ١٥٤٠ وهو العام الذي ظهر فيه الاسبان في هذه المنطقة، وعلى ضوء ذلك يقسم هؤلاء الباحثون ثقافة البيوبلو التي يطلق عليها الآثريون اسم " ثقافة اناسازي " Anasazi Cultur [٣]، إلى ست مراحل متعاقبة تهمنا منها هنا الثلاث الأولى لأنها تقع في المرحلة الزمنية التي سبقت قدوم الأوربيين إلى هذه المنطقة [٤].

كان الهنود في المرحلة الأولى يعيشون في الكهوف أو في اكواخ من اللبن وكانوا يحوكون السلال ويستخدمونها لخزن البذور البرية واكواز الذرة التي كانوا يزرعونها بادوات بدائية، ولم يدجنوا من الحيوانات على ما يبدو سوى

(١) انظر تفاصيل حول ذلك في:
Davenport, Op. Cit., PP.7-8.

(2) Morison, Op. Cit., P.11.

(٣) Anasazi : كلمة تعني في لغة النافاهو Navajo ، سكان هذه المنطقة الهنود ، " الناس القدماء " أو " الشعب القديم" .

(٤) انظر حول ذلك:
Morison, Op. Cit., PP.11-12.

الديك الرومي والكلاب، وكانوا يمارسون الصيد بواسطة رماح مجهزة برؤوس من الصوان ويدخنون التبغ بواسطة غليون خاص.

اما في المرحلة الثانية فقد تعلموا صنع الفخار مقتدين بهنود المكسيك الذين سبقوهم في ذلك ولم يلبث هذا الفن ان انتشر في كل القارة الأمريكية، ولكنهم لم يعرفوا دولاب الخزاف الذي عرفه الإنسان في العالم القديم قبل ذلك بالاف السنين [١]، شأنه في ذلك شأن القوس والسهم الذي اخترعه هنود أمريكا وحل عندهم محل الرمح في هذه المرحلة مع انه معروف في العالم القديم قبل ذلك بازمان سحيقة. وفي هذه المرحلة تعلم الهنود ايضاً صناعة انسجة خشنة من ألياف النباتات وتعلمت نساؤهم ان يزين انفسهن بعقود من الفيروز أو بأسورة من المحار والبذور.

واستغرق الطور الثالث من ثقافة الاناسازي المدة من ١٠٥٠ إلى ١٥٠٠ وتعد هذه المرحلة العصر الذهبي لهذه الثقافة حيث تميزت بظهور بنايات مسورة معقدة البناء ومزودة بشرفات شبيهة ببنايات الوقت الحاضر وبصناعة خزف ملون بالأسود والأبيض. وتوسعت فنون الهنود وشعائرهم وتنظيماتهم في هذه المرحلة التي تعد الاقوام التي عاشت فيها اسلافاً للاقوام الهندية التي مازالت موجودة في الولايات المتحدة حتى الان. ان النافاهو الذين تمثلوا ثقافة الاناسازي مازالوا حتى يومنا هذا يحتفظون بتلك الثقافة، والذي يزور الان مدناً مثل والبي Walpi واورابي Orabi ولاغونا Lagona وتاوس Taos وغيرها من مستوطنات الهنود يلاحظ هنوداً يعيشون كما كان يعيش أسلافهم قبل قدوم الأوربيين ويجدهم متمسكين بطريقة حياتهم تلك.

(١) يعد ذلك عند الباحثين دليلاً على ان هنود أمريكا لم يقتبسوا صناعة الخزف من اسيا.

اما الهنود في المنطقة الواقعة إلى الشرق من جبال روكي فان المعلومات عنهم اقل وذلك لانهم لم يستقروا في مكان واحد كما فعل البيوبلو الذين رأيناهم في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة، فالباحثون مثلاً لايعرفون من اين اتى سكان هذه المنطقة الهنود . كل ما هو معروف عنهم انهم لم يكونوا هناك قبل بداية التاريخ الميلادي وانهم مارسوا التجارة مع بقية الأقوام الهندية واستبدلوا العصي المدببة التي كان هنود الاناسازي يحرثون الأرض بها بمعازق من الحجر والأصداف وصنعوا مشارب متقنة لتدخين التبغ وزينوها بصور لطيور واسماك واستخدموا لصبغ أجسامهم صبغة حمراء وجدت منها كميات كبيرة في اغلب قبورهم وصنعوا حلياً متقنة من المحار والعظام والنحاس وبنوا تلالاً من التراب Mouds تشبه الأهرام كانوا يدفنون بها موتاهم كما كان المصريون القدماء يفعلون [1]. وقد كان بناء مثل هذه التلال صفة مميزة للهنود الذين سكنوا وديان اوهايو واعالي المسسبي، وكان بعضها ضخماً جداً، فمدينة كاهوكيا Cahokia التي كانت تقع إلى الشرق من سانت لويس الحالية والتي بلغت اوج ازدهارها في القرن الثاني عشر كان فيها تل من هذا النوع يبلغ ارتفاعه ٣٠ متراً وتحتل قاعدته أكثر من ٣٧ هكتاراً. اما المدينة نفسها فقد كان يقطنها ٢٠,٠٠٠ من السكان أي انها كانت اكبر من لندن آنذاك [2].

عندما وصل الأوربيون لأول مرة في العصور الحديثة إلى أمريكا كان الهنود في السهول العظمى الواقعة بين جبال روكي وأراضي الغابات المحاذية للمسسبي يعيشون جزئياً على زراعة الذرة ولكن الغالب عليهم كان صيد الجاموس بواسطة القوس والسهم. لقد عد الأوربيون جميع الهنود بدواً رحلاً

(١) انظر:
Morison, Op. Cit., PP.12-13.
(2) Davenport, Op. Cit., P.5.

واتخذوا ذلك حجة ملائمة لانكار ملكيتهم للأرض التي احتلها هؤلاء الأوربيون ، لكن الحقيقة هي ان سكان السهول فقط كانوا رحلاً متنقلين، وحتى هؤلاء لم يصبحوا كذلك الا حوالي العام ١٥٥٠ حين اخذوا يروضون الخيول شبه البرية التي هي من نسل الخيول التي تركها الاسبان في المنطقة [1].

اما شرق القارة فقد كانت تعيش فيه مجموعات قبلية مستقرة تمارس الزراعة هم الموسكوگيون Muskogean والألگونكونيون Algonquin والايروكيزيون Iroquois وغيرهم ، وكانوا يمارسون الزراعة بواسطة المعازق الى جانب الصيد وجمع القوت [2]. وابرز هؤلاء هم الألگونكوين وهم مجموعة من القبائل شبه المستقرة تعيش في شمال شرق القارة وفي غربها الأوسط، وهؤلاء هم من أوائل من اتصل بهم الأوربيون من الهنود ، ولذلك فان المعلومات عنهم أكثر مما هي عن الهنود الآخرين بفضل ما كتبه عنهم الانجليز والفرنسيون الذين قدموا إلى هذه المنطقة. لقد كانوا يمارسون الصيد بالإضافة إلى الزراعة وكانوا يعيشون في بيوت مغطاة بلحاء الشجر ويصيدون الاسماك في قوارب خاصة اخترعوها. وكان رجالهم يسيرون عراة إذ لايرتدي الواحد منهم حتى في الشتاء سوى سروال قصير وحذاء لاكعب له مصنوع من جلد الايل. وقد برزت منهم شخصيات اشتهرت بالنبل والعظمة قام بعضها بمحاولات جدية لتوحيد شعوبهم ضد الانجليز وهلكوا في المحاولة [3].

اما الايروكيز فكانوا حين قدم الأوربيون إلى منطقتهم في مطلع القرن السابع عشر يؤلفون اتحادا قبلياً يتألف من خمس قبائل تقطن المنطقة الممتدة من بحيرة تشامبلين إلى نهر كينسي ومن جبال اديرونداك إلى وسط بنسلفانيا . وعرف الايروكيز بخشونتهم ونزعتهم الحربية وكانوا في عداء دائم مع

(1) Morison, Op. Cit., P.13.
(2) Dementev, Tam zhe str.232.
(3) Morison, Op. Cit., P.13.

الالگونكوين على الرغم من ان ثقافتهم واسلوب حياتهم تشبه اسلوب حياة وثقافة هؤلاء الأخيرين ، وقد انجب اتحاد الايروكيز العديد من الشخصيات التي اتسمت بالنبل والعظمة من امثال هياواثا Hiawtha الذي اسس اتحادهم وسيكويا Sequoya الذي اخترع لهم حروفاً هجائية وطور ثقافتهم بشكل كبير . وقد استطاع الايروكيز الصمود امام ضغط الأوربيين بفضل اتحاد هياواثا الذي حرم الحروب الداخلية فيما بينهم اولاً وبفضل تحالفهم مع الهولنديين والانجليز فيما بعد.

وكان المسكوگيون الذين يقطنون في الجنوب الشرقي من الولايات المتحدة الحالية يتألفون من عدة شعوب يطلق عليهم هذا الاسم العام، اكثر تطوراً فقد كان عندهم نظام طوائف معقد وثقافة متطورة وكانوا يمارسون الزراعة ولاسيما زراعة الذرة التي لها عندهم مكانة خاصة كما انهم متقدمون في صناعة الفخار والحياكة وصناعة الملابس من جلود الايل وتعلموا من الأوربيين زراعة الأشجار المثمرة وتربية الحيوانات (1).

كان الهنود في أمريكا شديدي الاختلاف بعضهم عن البعض الأخر وذلك يعود إلى ان موجات الهجرة المتعاقبة استغرقت زمناً طويلاً جداً والى ان الأماكن التي استوطنوا فيها كانت مبعثرة في مساحات هائلة الأمر الذي جعلهم يعيشون في ظروف طبيعية شديدة الاختلاف بالإضافة إلى الاختلافات التي كانت قائمة اصلاً بين مختلف المجموعات المهاجرة في الأصل واللغة. وكان الهنود يتكلمون لغات كثيرة ومعقدة تشير أكثر التقديرات تواضعاً إلى انها تنتمي إلى ١٠-١٢ عائلة لغوية مستقلة أحداها عن الأخرى (2). واللافت للنظر ان كل هذه المجموعات اللغوية ليس لها ارتباط باي من اللغات الأسيوية أو الأوربية

(1) Morison, Op. Cit., P.14.
(2) Morris, Op. Cit., P.4.

المعروفة. وعلى الرغم من ان بعض القبائل الهندية في أمريكا الشمالية عرفت نوعاً من الكتابة الصورية فان تناقل الأحداث والمحافظة على الأعراف ظل شفهياً بالاساس (1).

لم تفلح حتى الرابطة اللغوية في توحيد القبائل والشعوب الهندية التي تتكلم لغة واحدة وظلت هذه القبائل لاتعرف بعضها وليس بينها إي ارتباط على الرغم من انها تتكلم لغة واحدة كما ان القرى المتجاورة التي كان سكانها يتكلمون لغات مختلفة غالباً ما كانت تحارب احداها الأخرى، ولم يصل إلى مرحلة التنظيم السياسي منها الا مجموعات قليلة جداً منها اتحاد الايروكيز الذي سبقت الاشارة اليه والذي قام في شمال شرق الولايات المتحدة الحالية وإمبراطوريات المكسيك وبيرو وكولومبيا " ولكن البقية لم تصل إلى ابعد من الوحدات القبلية"(2).

ومع ان هناك شواهد قوية على قيام تجارة واسعة بين قبائل وعشائر الهنود وادلة قوية على قيام علاقات رسمية عبر مسافات شاسعة (3)، الا ان كل قبيلة كانت بوجه عام تشغل منطقة لاتزيد مساحتها على مائة ميل مربع على ابعد تقدير وتعيش في حالة من العداء الدائم تقريباً مع جيرانها. واللافت للنظر ان كل مجموعة من مجموعات الهنود تسكن المنطقة نفسها وتعود لغتها إلى نفس المجموعة اللغوية وتعتنق الدين نفسه لم تكن تمتلك اسماً خاصاً بها، فكل قبيلة كانت تطلق على نفسها اسماً عاماً من قبيل " نحن الناس " وتطلق على جيرانها تسميات نابية من قبيل " المتوحشون " أو " ابناء الكلبة" أو أي اسم مهين آخر.

لقد ساعد تفرق الهنود وعدم وحدتهم الأوربيين كثيراً وكان من اهم الاسباب التي مكنتهم من السيطرة على العالم الجديد فقد كان بامكانهم ان يحاربوا مجموعة هندية ما أو قبيلة هندية ما دون ان يخشوا مساندة القبائل الأخرى لها،

(1) Davenport, Op. Cit., P.6.
(2) Morison, Op. Cit., P.10.
(3) Davenport, Op. Cit., P.7.

بل انهم بشكل عام " كانوا يصادفون الترحيب باعتبارهم حلفاء ضد العدو المجاور " (١).

وقد جرت بعض المحاولات لتوحيد الهنود ابرزها تلك التي قام بها في النصف الثاني من القرن السادس عشر هياواثا الذي سبقت الاشارة اليه، لكن ذلك لم يمنع تفوق الأوربيين وتغلبهم على الهنود.

لقد كان الهنود في أمريكا الشمالية في الوقت الذي قدم فيه الأوربيون اليهم يعيشون في مرحلة النظام القبلي – العشائري، وعلى الرغم من ان العالم القديم عرف المحراث منذ زمن طويل الا ان الهنود في أمريكا الشمالية لم يعرفوه على الاطلاق، كما انهم لم يعرفوا العجلة وتبعاً لذلك لم يعرفوا النقل بواسطة العربات، ولم يكن لديهم أي حيوان يصلح لاستخدامه للنقل باستثناء اللاما في أمريكا الجنوبية، ولم يعرفوا البارود ولا استعمال الحديد لصنع السلاح وادوات العمل التي كانت تصنع عندهم من الحجر والبرونز، كما لم يعرفوا الملكية الخاصة للارض فالارض عندهم كانت ملكاً للعشيرة أو القبيلة.

يقدر عدد سكان الأمريكتين الأصليين حين قدم الأوربيون اليهم بحوالي اربعين مليون نسمة وهو عدد يساوي عدد سكان أوربا الغربية آنذاك (٢). اما عددهم في المنطقة التي تؤلف الولايات المتحدة في الوقت الحاضر فيقدر بحوالي المليون (٣). ويحاول بعض المؤرخين الأمريكان ذوي النزعة العنصرية تصوير الهنود كما لو انهم جنس متخلف غير مؤهل للابداع وعاجز عن خلق ثقافة مادية وروحية وتطويرها، لكن حقائق التاريخ تدحض هذا الحكم، فقد اقتبس الأوربيون منهم الشيء الكثير ولاسيما في مجال زراعة المحاصيل المختلفة وامور اخرى كثيرة . ويشير المؤرخ الروسي يفيموف إلى ان " المحاصيل الغذائية المقتبسة

---

(1) Morison, Op. Cit., P.11.
(2) Davenport, Op. Cit., P.6.
(3) Dementev, Tam zhe str. 232.

من الهنود تؤلف في الوقت الحاضر ٥٠% من المنتجات الزراعية في الولايات المتحدة " (١) . ويؤكد المؤرخون الأمريكان المنصفون ذلك ويشيدون بالدور الذي اداه الهنود الأمريكان والاثار التي تركوها في حياة أمريكا وثقافتها، وما ذكره المؤرخ الأمريكي البارز موريسون يعد نموذجاً لذلك إذ يقول عنهم : " لايوجد سبب لاعتبار هنود أمريكا الشمالية جنساً ادنى، لقد كانوا متخلفين في العديد من النواحي ولكنهم برهنوا على انهم يمتلكون كل القابليات التي يمتلكها بنو البشر، بل انهم متفوقون على الكثير منهم في صلابة الشخصية واستقامتها ... انهم يقدمون اخر لقمة من خبزهم للضيف الغريب ويتبعون العهد الجديد [الانجيل] بشكل افضل من كثير من الادعياء الذين يقدمون النذور ويزعمون انهم مسيحيون. ان الاسماء التي اعطوها لبحيراتنا وانهارنا ما تزال تثبت على الخرائط ... لقد اصبح الانتساب إلى الهنود في الولايات المتحدة شيئاً مميزاً الآن. ان الدم الهندي يجري في عروق واحد من رؤساء الولايات المتحدة هو كوليج Coolidge وواحد من نواب الرؤساء هو كورتس Curtis وكلاهما فخور بذلك.

في السلم كما في الحرب كان للهنود تأثير عميق على الذين قدموا إلى أمريكا فيما بعد . لقد اغتنت ثقافتنا باسهاماتهم. ان شخصيتنا تختلف كثيراً عما كانت ستكون عليه لو كانت هذه القارة غير مأهولة عندما قدم الأوربيون اليها"(٢).

لكن تفرق الهنود وافتقارهم إلى الوحدة والنزاعات فيما بينهم من جهة وتطور الأوربيين وتفوقهم في القوة العسكرية من جهة أخرى مكن هؤلاء

---

(1) Efimor, Tam zhe str.31.
(2) Morison, Op. Cit., P.15.

الأخيرين من السيطرة على العالم الجديد . ومع ذلك فقد حاول الهنود جاهدين التصدي بشجاعة نادرة للغزاة ولكن الفشل كان نصيبهم في كل مرة.

لقد بنى الهنود في بعض مناطق الأمريكتين حضارة راقية تمتلك كل إمكانات التطور وكان من الممكن ان تتطور فعلاً كما حصل في حضارات العالم القديم لكن قدوم الأوربيين قطع هذا التطور . " لو ان الاكتشاف الأوربي [لأمريكا] تاخر لمدة قرن واحد أو اثنين لكان من الممكن ان يكون الازتيك في المكسيك والايروكيز في أمريكا الشمالية قد اسسوا دولاً محلية قوية قادرة على استيعاب التكتيكات الحربية الأوربية والمحافظة على استقلالها حتى ايامنا هذه كما حافظت اليابان على استقلالها من الصين " [1].

---

(1) Ibid. P.15.

الفصل الثاني

اكتشاف أمريكا

اسباب الاستكشافات الجغرافية:

اعطت الحروب الصليبية دفعة كبيرة للتجارة بين الشرق والغرب، فمنذ ان قدم الغربيون إلى بلدان الشرق مشاركين في الحملات الصليبية واقام بعضهم في تلك البلدان بعض الوقت وتعرفوا على احوالها وانبهروا بثرواتها أخذوا يتطلعون إلى الحصول على ادوات الترف والبضائع الثمينة التي يزخر بها الشرق فأخذت التجارة بين بلدان أوربا والشرق بالتطور السريع حتى اتخذت في اواخر العصور الوسطى طابع الصلات التجارية الدائمة، واخذت بضائع الشرق الثمينة كالتوابل بانواعها والحلي والعطور ومختلف انواع المنسوجات وغيرها تدخل أكثر فاكثر في استخدام الطبقتين العليا والوسطى في أوربا الغربية، وقد جنى تجار المدن الواقعة في جنوب ايطاليا وجنوب فرنسا وشرق اسبانيا من وراء ذلك ارباحاً طائلة.

لكن تجارة البحر المتوسط اخذت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر تعاني من ازمة حادة تضافرت جملة من الأسباب على خلقها، فكثرة الوسطاء من عرب وبيزنطيين وايطاليين كانت تزيد من كلفة البضاعة كثيراً، وزاد التوسع العثماني والغارات البحرية والاتاوات المختلفة التي كانت تفرض على السفن التجارية والقوافل والأسواق من الوضع السيء الذي كانت التجارة تعاني منه، وجعل كل ذلك التجارة مع بلدان شرق البحر المتوسط أكثر خطورة واقل انتظاماً واقل ربحاً، حتى الطريق الوحيد الذي كان آنذاك ما يزال بمنأى من سيطرة العثمانيين، ونعني الطريق الذي يمر عبر مصر والبحر الأحمر كان

محتكراً بشكل كلي من قبل العرب، إذ لم يكن البنادقة الذين كانوا يهيمنون على هذا الطريق في جانبه الأوربي يستطيعون الوصول إلى ابعد من الإسكندرية التي كانوا يلاقون فيها التجار العرب ويجرون معهم الصفقات التجارية. لهذا كله اصبحت فكرة ايجاد طريق بحري جديد إلى الهند يتجاوز العرب ولايمر بالممتلكات العثمانية تشغل تجار وبحارة أوربا الغربية أكثر فاكثر.

من الناحية الأخرى كان انتقال أوربا الغربية من اقتصاد الاكتفاء الذاتي إلى الاقتصاد السلعي وتطور هذا الاخير يتطلب الكثير من المعادن الثمينة، حيث اصبح الذهب والفضة ضروريان وكانت ضرورتهما تتزايد باستمرار ولاسيما بالنسبة للبرجوازية النامية خصوصاً وان الميزان التجاري في تجارة أوربا مع الشرق الادنى لم يكن مؤاتياً لأوربا التي لم تكن تصدر إلى الشرق ، في مقابل البضائع الشرقية الغالية، الا المنتجات الزراعية والاخشاب والنحاس والقصدير وبدرجة اقل الجوخ وبعض المنتجات الصناعية ، وهذه جميعها كانت تقيم بارخص كثيراً من البضائع الشرقية لذا فانها لم تكن تغطي قيمة ماكان يشترى من الشرق الامر الذي جعل الأوربيين يدفعون في كل سنة مبالغ اضافية لايستهان بها بهيئة معادن ثمينة. وكانت النتيجة ان الذهب والفضة بدلاً من ان تأتي إلى أوربا كانت تستنزف منها. وبما ان الذهب لم يكن موجوداً بدرجة كافية في أوربا فان الأوربيين كانوا مضطرين إلى البحث عنه في خارجها، لذلك تحولت مشكلة الذهب " إلى مشكلة اقتصادية حادة تتطلب حلاً سريعاً، وكان الأوربيون في بحثهم عن طريق بحري جديد يبحثون بشكل محموم عن الذهب"(1).

(1) V.F.Semenov, Istoriya Srednikh Vekov, Moskva 1975, str. 382.
انظر ايضاً:
Robert E. Riegel and Helen Haugh, United States of America. A History Charles Scribners, son's, 1949, P.4.

ومن ناحية اخرى ادى تطور الرأسمالية في أوربا إلى تكدس رؤوس اموال ضخمة في ايدي رجال الأعمال، الامر الذي جعلهم يسعون إلى حياة مرفهة تتحقق بالحصول على بضائع الشرق الثمينة والتنعم بها " كان الغرب يحرز رأس المال ، وبما انه فعل ذلك فانه اخذ يبحث عن الوسائل التي تحيل الحياة بهجة " (1).

وهكذا فان الاستكشافات الجغرافية كانت نتيجة طبيعية للتطورات التي حصلت في المجتمع الأوربي وادت في مجملها إلى تحلل النظام الاقطاعي وتدهوره وظهور النظام الرأسمالي وتطوره، لكن الذي اضطلع بالدور الأول فيها وكان في مقدمة البلدان التي قامت برحلات الاستكشاف اسبانيا والبرتغال اللتان كانتا في ذلك الوقت متخلفتين نسبياً في تطورهما الاقتصادي والاجتماعي، في حين كان دور كل من انجلترا وهولندا، وهما آنذاك أكثر اقطار أوربا تطوراً اكثر مشاركة في التجارة العالمية متواضعاً في هذا المجال.

ان تفسير ذلك يكمن في عدد من الحقائق تضافرت آنذاك وادت في مجموعها إلى ان تتقدم اسبانيا والبرتغال وتحتلا المركز الأول في حركة الاستكشافات الجغرافية، فحين تحتم على الأوربيين بسبب التطورات التي اشرنا اليها، ان يبحثوا عن الذهب في الاقطار الأخرى خارج القارة الأوربية، لم يكونوا يعرفون من اقطار العالم الأخرى الا اقطار الشمال الافريقي واقطار غرب اسيا المتاخمة للبحر المتوسط بالاضافة إلى معرفتهم بوجود الصين والهند والهند الصينية لكنهم لم يكونوا يمتلكون عن هذه الأخيرة معلومات دقيقة وكانت تصوراتهم عنها يشوبها الكثير من الخيال. انهم غالباً ما كانوا يطلقون على هذه البلدان الغنية اسم الهند وهي تسمية كانوا يعنون بها جميع بلدان جنوب وجنوب

(1) Dexter Perkins/ Glyndon G.Van Densen, The United States of America A History to 1846 Second Edition the Macmillan Company, 1968, P.4.

شرق اسيا وكانت الصين تعني عندهم في أول الامر شمال الصين الحالية ثم أخذت تعني بعد ذلك جميع الاجزاء الشرقية من قارة اسيا [1].

لقد كانت أوربا تحصل على الذهب من افريقيا التي كانت في تصورات الأوربيين غنية به بدرجة تفوق التصور. والى جانب ذلك كانت تنتشر في أوربا آنذاك على نطاق واسع اخبار وتصورات عن وجود بلدان وجزر تقع بعيداً إلى الغرب في اعماق المحيط وتمتاز بغناها الفاحش وبوجود الذهب والتوابل والحرير فيها بكميات تفوق الخيال . وجعل التقدم العلمي واستخدام البوصلة وغيرها من لوازم الملاحة من الممكن الابتعاد عن الساحل والتوغل في اعماق المحيط، كما ان فكرة كون الأرض كروية كانت أخذة بالانتشار بكشل متزايد في أوربا في ذلك الوقت الامر الذي ادى إلى الاعتقاد بامكانية الوصول إلى الهند عن طريق السير غرباً عبر المحيط الأطلسي.

لقد ساعد ذلك كله على تحفيز الأوربيين للقيام بمحاولات عديدة للوصول إلى تلك الأقطار التي كانت موجودة في الواقع الفعلي ولكن الأوربيين لم يكونوا يعرفون مواقعها.

لم يكن الذهب الذي كان البحث عنه والحصول عليه الدافع الأول لرحلات الاستكشاف، يستخرج من اقطار الشمال الافريقي التي كان الأوربيون على معرفة جيدة بها بحكم قربها من أوربا، بل كان يأتي إلى تلك الأقطار اما من السنغال أو من حوض النيجر عبر الصحراء الكبرى حيث كانت تمبكتو مركزاً تجارياً مهماً يرتبط بعلاقات تجارية واسعة مع مدن الشمال الافريقي وموانيه. وكان الأوربيون يعتقدون بان الذهب يستخرج من مضاحل انهار كبيرة تصب في المحيط الأطلسي وتصوروا ان احد هذه الانهار وهو نهر النيجر، هو

(1) M.L.Abramson, " Velikie Geograficheskie Otkykrytiya. Nachala Kolonialnykh Zakhvatov" V Istoriya Srednikh Vekov, Moskva 1964, str. 477.

فرع من فروع النيل يتجه في جريانه غرباً إلى ان يصب في المحيط الاطلسي في موضع لايبعد كثيراً عن رأس بهادور على ساحل افريقيا الغربي. وقد دفعتهم تصوراتهم هذه إلى الاعتقاد بامكانية الوصول إلى مصبات هذه الانهار الغنية بالذهب عن طريق الابحار بمحاذاة ساحل افريقيا الغربي واخذوا يفكرون بتحقيق ذلك.

بدأت محاولات الأوربيين لانجاز هذه المهمة منذ نهاية القرن الثالث عشر، لكن المحاولات الجدية والفعالة في هذا الشأن قام بها البحارة البرتغاليون في القرن الخامس عشر، ذلك ان البرتغال اخذت منذ القرن الرابع عشر تضطلع بدور بارز في التجارة البحرية في غرب أوربا. فبعد ان استكمل البرتغاليون وحدة بلادهم بضم الجزء الجنوبي منها بعد ان اخرجوا العرب في اواسط القرن الثالث عشر، تعرفوا في المدن الواقعة على المحيط الأطلسي مثل لاغوش وفارو ولولي على التجار العرب الاغنياء والمتمرسين بالتجارة واطلعوا على اسرار تجارتهم المزدهرة مع غرب افريقيا وتعلموا من العرب الرياضيات والجغرافيا ورسم الخرائط وهي امور مهمة لايمكن الاستغناء عنها في مشاريعهم البحرية المقبلة . يضاف إلى ذلك ان البرتغال حققت في تلك الاثناء تقدماً في ميدان العلم والتكنولوجيا من ذلك مثلاً صنع نوع جديد من السفن هو السفينة التي تعرف باسم الكرافيلا ومعناها السفينة ذات الشراع حيث تعني كلمة كارا سفينة وكلمة فيلا شراع، وتمتاز هذه السفينة بخفة الحركة وحسن المناورة ضد الامواج وشدة السرعة حيث كانت اسرع كثيراً من السفن الايطالية الثقيلة التي كانت تستخدم في البحر المتوسط حتى ذلك الوقت [1].

(1) M.P.Lesnikov,"Velikie geograficheskie Otkrytiya" V.S.D.Skazkin etal (ed.) , Istoriya Srednikh Vekov, Moskva 1954 str. 41-42; Abramson, Tam zhe str . 478 ; I.P.Mogidovich, " Velikie geograficheskie otkrytiya", Sovetskaya Istoricheskaya Entseklopediya T.3, Moskva 1963, str. 136.

وحصل في بداية القرن الرابع عشر تطور مهم اخر ساعد على زيادة اهمية البرتغال واتساع دورها في التجارة الأوربية ونعني استئناف الرحلات البحرية بين البحر المتوسط وبحر الشمال عبر مضيق جبل طارق بعد ان كانت التجارة بواسطة هذا الطريق قد اهملت منذ اوائل العصور الوسطى، فقد ادى ذلك إلى ان تصبح الموانئ البرتغالية محطات تجارية على الطريق البحري الذي يربط ايطاليا بالأراضي المنخفضة، الامر الذي ساعد على ازدهار التجارة البرتغالية التي ساعد على اتساعها ايضاً انتقال اعداد كبيرة من البحارة الايطاليين الجنوبيين على وجه الخصوص للسكن في البرتغال نتيجة لتغير الأوضاع في البحر المتوسط بسبب التوسع العثماني الذي كان في اوجه في تلك المرحلة . فقد ادى توسع العثمانيين آنذاك إلى تدهور احوال جنوة لان العثمانيين سيطروا نتيجته على طريق البحر الأسود التجاري الذي كانت جنوة تحتكره، كما ادى إلى ازدهار البندقية التي كانت تهيمن على طريق الإسكندرية فالبحر الأحمر الذي كان آنذاك ما يزال خارج سيطرة العثمانيين.

لقد ترتب على هذه التطورات تدهور احوال جنوة وتضاؤل تجارتها، الامر الذي ادى ببحارتها وملاحيها الذين تفشت البطالة في صفوفهم إلى الهجرة إلى الخارج بحثاً عن مورد للرزق، واستقر قسم لايستهان به منهم في البرتغال واسبانيا. ومما له دلالة في هذا الشأن ان كرستوفر كولومبس وجون كابوت وهما أول من ابحر إلى أمريكا كان كلاهما من اصل جنوي.

ادى التوسع العثماني حتى اواخر القرن الخامس عشر إلى ان يصبح طريق البحر الأحمر الذي يمر عبر الإسكندرية الطريق الرئيس لنقل البضائع الشرقية إلى أوربا والبضائع الأوربية إلى اسيا، فاصبح العرب نتيجة لذلك الوسطاء التجاريين الوحيدين بين الأوربيين وبلدان الشرق الاقصى. وكان الأوربيون يدفعون لدولة المماليك التي كانت تهيمن على مصر والحجاز ضرائب

باهضة تصل إلى ثمانية إلى عشرة اضعاف سعر البضاعة في المنشأ [1] لكن ذلك لم يقلق التجار الايطاليين الذين كانت تتركز في ايديهم تجارة أوربا مع الشرق عبر البحر المتوسط لانهم كانوا يعوضون ذلك على حساب المستهلك الأوربي الذي كان يضطر لشراء توابل الشرق بالاسعار العالية جداً التي يفرضها التجار الايطاليون تعويضاً لكلفة البضاعة التي اصبحت عالية عليهم للاسباب اعلاه. وكان ذلك سبباً مضافاً دفع الأوربيين من غير الايطاليين وفي مقدمتهم الاسبان والبرتغاليين للبحث عن طرق جديدة للاتصال بالشرق تمكنهم من التخلص من احتكار الايطاليين لتجارة الشرق وتساعد على خفض كلفة البضائع الواردة من هناك.

هناك ظروف اخرى استجدت في هذه المرحلة وادت إلى دفع الاسبان والبرتغاليين إلى محاولات التوسع والاستيلاء على اراضٍ جديدة منها رغبة البعض في نشر الديانة المسيحية ومنها ان انتهاء حروب الاسترداد التي شنها الاسبان والبرتغاليون ضد العرب ادى إلى ان تسود البطالة ويتفشى الفقر بين عدد كبير من النبلاء ذوي النزعة الحربية الذين كانوا يعتاشون على الايرادات التي كانت تأتيهم من تلك الحروب الامر الذي دفعهم للقيام بمغامرات عسكرية سعياً للحصول على الثروة واشباع جشعهم للمال. وكانت افريقيا بغناها الفاحش وبما تثيره في نفوسهم من خيالات الثروة والربح في مقدمة المناطق التي وجهوا انظارهم اليها لاسيما وان الاعتبارات العسكرية كانت هي الأخرى تدفعهم للتوجه نحوها ذلك ان المسلمين من سكان اقطار الشمال الافريقي التي لجأ اليها مسلمو الاندلس بعد اخراجهم من هناك كانوا يواصلون جهادهم ضد الأوربيين

(1) Lesnikov, Tam the str. 42.

انظر ايضاً:

Perkins, Van Deusen, Op. Cit., P.4.

ويهاجمون السفن الاسبانية والبرتغالية ويغيرون على المدن الساحلية في شبه جزيرة ايبريا.

الاكتشافات الأولى:

فتح الاستيلاء على سبته في عام ١٤١٥ للبرتغاليين افاقاً رحبة لاقامة علاقات تجارية واسعة تغطي كل النصف الشمالي لقارة افريقيا تقريباً بما في ذلك الطرق التي كان الذهب ينقل بواسطتها ،ولهذا يعد الاستيلاء على سبته عادة بداية للتوسع الاستعماري البرتغالي [١]. وأدى تطور التجارة بهذا الشكل إلى تأسيس شركات مساهمة هدفها البحث عن البلدان التي يوجد فيها الذهب. وبرز في هذا المجال اخو الملك البرتغالي الأمير هنري (١٣٩٤-١٤٦٠) الذي أطلق عليه لقب الملاح بسبب نشاطه في تنظيم الرحلات الاستكشافية وبسطه حمايته على الشركات التجارية. لقد صور هنري هذا على انه عالم منزه عن الغرض محب لعلم الفلك والجغرافية وصورت رحلاته على انها لخدمة العلم ونشر المسيحية وبالفعل فقد بنى في قرية ساجرس Sagres الواقعة في اقصى الطرف الجنوبي الغربي لقارة أوربا قصراً ومرصداً لم يلبث ان تحول " إلى مركز للدراسات الجغرافية والبحرية يؤمه العلماء من مختلف البلدان" [٢] ، لكنه كان إلى جانب ذلك تاجراً ورجل أعمال ايضاً وقد اكد هذه الحقيقة مؤرخ معاصر له إذ كتب عنه يقول: " بعد ان سمع الأمير هنري الملاح عن تجارة الذهب

---

(1) Lesnikov, Tam zhe str. 43.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٧.

الافريقية قام باستكشاف تلك الأراضي في عرض البحر لكي يتاجر معها ويعيل [illegible] " [١].

على اية حال حصلت تلك الشركات التجارية على الحق في احتكار التجارة في مختلف المناطق وكانت تحقق من وراء ذلك ارباحاً كبيرة جداً، كما ان نشاطها لم يكن يقتصر على التبادل التجاري العادي بل كانت تمارس النهب وصيد الزنوج على نطاق واسع [٢] وتحقق من وراء ذلك ارباحاً أسطورية. وقد دفعها السعي للحصول على الزنوج واستعبادهم إلى التقدم جنوباً على طول الساحل الافريقي. وساعد على ذلك كثيراً ان اغلب البحارة الذين قاموا بالاكتشافات الجديدة كانوا مساهمين في تلك الشركات.

واصل البرتغاليون بعد استيلائهم على سبتة التقدم جنوباً بمحاذاة ساحل افريقيا الغربي فوصلوا في منتصف القرن الخامس عشر إلى جزر الرأس الأخضر [٣]. والى هنا لايوجد في المصادر ما يشير إلى ان هدف هذه الرحلات كان اكتشاف طريق جديد إلى الهند، ولكنهم واصلوا التقدم جنوباً فوصلوا إلى خليج غينيا حوالي عام ١٤٦٠ وأسسوا في الموضع المعروف باسم ساحل

---

(1) Quated in , Lesnikov, Tam zhe str. 43.

(٢) وصلت أول وجبة من العبيد الافارقة إلى لشبونة في عام ١٤٤٢، واعتبارا من هذا التاريخ أصبحت تجارة العبيد في البرتغال أكثر انواع التجارة ربحاً، لاسيما وان الأمير هنري الملاح حصل من البابا على " الحق " في احتكار جلب العبيد الافارقة إلى أوربا.

Abramson, Tam zhe str. 478.

(٣) التاريخ الدقيق لاكتشاف البرتغاليين لجزر الرأس الأخضر وأسماء مكتشفيها غير معروفة بشكل دقيق، هناك احتمال بان بحاراً من البندقية اسمه كاداموستو كان في خدمة الأمير البرتغالي هنري الملاح قد زارها عام ١٤٥٦. انظر:

Sovetskaya Istoricheskaya Entsiklopediya, T.5, Moskva 1964 str. 652.

الذهب[1] مركزاً تجارياً وعسكرياً قوياً في ١٤٧١ [٢] . وهنا يمكن ان تكون قد برزت عندهم فكرة اكتشاف طريق جديد إلى الهند ففي هذا الموضع يتحول الساحل الافريقي بشكل حاد باتجاه الشرق ، الأمر الذي يمكن ان يوحي بإمكانية الوصول إلى الهند اذا ما استمروا بالمسير في الاتجاه الشرقي هذا.

لكن التقدم بمحاذاة الساحل الافريقي إلى الجنوب من خليج غينيا كانت تعيقه تيارات بحرية مضادة قوية . ولكي يتجنب هذه التيارات عمد بارثلميو دياز الذي قاد في ١٤٨٦ رحلة استكشافية اشترك فيها بارثلميو كولومبس اخو كرستوفر كولومبس مكتشف أمريكا، إلى الابتعاد عن الساحل بعد ان عبر مدار الجدي وتوغل في أعماق المحيط متجهاً نحو الجنوب مباشرة ثم انحرف بعد ذلك في مساره بشكل قوس كبير نحو الشرق فوصل بنتيجة ذلك إلى النهاية الجنوبية لافريقيا. وبعد ان وجد ان الساحل من هذا الموضع يتجه نحو الشمال الشرقي، اقتنع بانه تمكن حقاً من الدوران حول افريقيا فقفل راجعاً ، وفي طريق عودته اطلق على النهاية الجنوبية للقارة اسم " رأس الرجاء الصالح " وليس رأس العواصف كما يذكر بعض المؤرخين [٣] ، ووصل إلى لشبونه في كانون الأول عام ١٤٨٧ بعد ان قضى في البحر ستة عشر شهراً .

في نفس الوقت الذي حصلت فيه رحلة دياز قام البرتغاليون بمحاولة للوصول إلى الهند بالطريق المعتاد في ذلك الوقت، أي عبر مصر والبحر الأحمر . ففي المدة ١٤٨٧-١٤٨٩ قام بيدرو كافليانو، مبعوثاً من ملك البرتغال

---

(١) غانا الحالية.

(2) Semenov, Tam zhe str. 383.

(3) Lesnikov, Tam zhe str. 43.

يذكر المؤرخ ابرامسون ان دياز أطلق على النهاية الجنوبية لافريقيا اسم رأس العواصف لكن ملك البرتغال جوان الثاني استبدله باسم رأس الرجاء الصالح.

Abramson, Tam zhe str. 478.

جوان الثاني لتحري هذه المسألة ، بسفرة زار خلالها القاهرة وكاليكوت وميناء سوفالا في موزنبيق، وعلم أثناء ذلك بوجود جزيرة كبيرة تقع بعيداً إلى الجنوب (مدغشقر) فنصح الملك البرتغالي مؤكداً بان من الأفضل الدوران حول افريقيا والوصول إلى تلك الجزيرة، واذا تأتي ذلك فان كل الصعوبات ستزول لان الطريق إلى الهند بعد تلك الجزيرة معروفة جيداً للملاحين العرب.

وهكذا أصبحت المشكلة تكمن في قطع المسافة من رأس الرجاء الصالح إلى مدغشقر لكي يتم الوصول إلى الهند. وقد أمكن حل هذه القضية بعد عشر سنوات على يد البحار فاسكو دي غاما الذي كان أول من وصل إلى الهند عن طريق الدوران حول افريقيا، بعد ان جابه صعوبات جمة في رحلته التي دامت سنتين وفقد خلالها مائة وثلاثة عشر بحاراً من أصل مائة وثمانية وستين اشتركوا فيها. وكان للنتيجة التي تمخضت عنها الرحلة صدى كبيراً في البرتغال حتى ان ملكها عمانوئيل (١٤٩٥-١٥٢١) اتخذ لنفسه بهذه المناسبة لقب " السعيد " ولقب " أمير الهند " .

اكتشاف أمريكا :

كان البرتغاليون قد بدأوا بالتوغل في اعماق المحيط الاطلسي باتجاه الغرب والجنوب الغربي مستعينين بالبحارة الايطاليين تقريباً في نفس الوقت الذي كانوا يتقدمون فيه بموازاة ساحل افريقيا الغربي، فوصلوا في عشرينيات القرن الخامس عشر إلى جزر ماديرا وجزر الكناري، وفي بداية ثلاثينيات ذلك القرن وصلوا إلى جزر الازور وفي حوالي منتصف القرن إلى جزر الرأس الاخضر.

لقد احيت هذه الاكتشافات تصورات الأوربيين القديمة حول وجود جزر وبلدان تقع بعيداً إلى الغرب في اعماق المحيط واعادت إلى اذهانهم الاكتشافات التي قام بها النورمان منذ بداية القرن العاشر في الجزء الشمالي الغربي من

المحيط الأطلسي أي الجزء الشمالي الشرقي من أمريكا الشمالية [١]. وقد اثرت الشائعات عن وجود تلك الجزر والبلدان الغنية في غرب المحيط الأطلسي في دفع بحارة أوربا وحكامها إلى محاولة الوصول اليها، لاسيما وان تلك الجزر والبلدان مثل جزر الانتيل والقديس براندان والبرازيل والمدن السبع قد ثبتت بالفعل في خرائط القرنين الرابع عشر والخامس عشر . وقد سعى لاكتشاف هذه الجزر التي كانت تعد غاية في الغنى، الكثير من البحارة ولاسيما القاطنون منهم

(١) هناك الكثير من الاخبار عن رحلات توجهت إلى أمريكا قبل كولومبس بوقت طويل. وتشير تلك الاخبار إلى ان بحارة من الصين زاروا كليفورنيا في القرن الخامس الميلادي وان اوربيين من شبه جزيرة ايبريا وصلوا إلى أمريكا في القرنين السادس والثامن الميلاديين وان بحاراً ايرلندياً اسمه مارسون ابحر في ٧٥٢ بمحاذاة ساحل أمريكا الشمالية وان العرب قاموا برحلات إلى تلك القارة ايضاً، وطرحت مؤخراً نظرية تقول ان البولنيزيين وصلوا على قواربهم إلى بيرو في أمريكا الجنوبية في اواخر القرن الثاني عشر الميلادي. انظر:

Efimov, Tam zhe str. 17-18; Shotwell, Op. Cit., P.9.

لكن أياً من ذلك لم يجر التثبت منه بالدليل القاطع . الثابت فقط ان البحار النرويجي ليف ايركسون Leif Ericson وهو واحد من بحارة كثيرين من النورمان ذكر انهم كشفوا جرينلند وايسلند واجزاء من الساحل الشمالي الشرقي لأمريكا الشمالية، لكن اخبار اكتشافاتهم في أمريكا عفا عليها النسيان ، قام في حوالي ١٠٠٠م برحلة وصل فيها إلى أمريكا الشمالية غير ان التاريخ الدقيق للرحلة والمناطق التي اكتشفها المشاركون فيها غير معروفة. انظر:

Riegle and Haugh, Op. Cit., P.6.

ويعلق المؤرخ الروسي يفيموف على ذلك بقوله:

" ... ان جميع هذه الرحلات ، اذا كانت قد حدثت فعلاً ، لايمكن ان تعد بداية لاكتشاف أمريكا. انها لم تؤد إلى اقامة علاقات دائمة بين أمريكا وشعوب اجزاء العالم الأخرى ولم توجد تصورات جغرافية جديدة" .

Efimov, Tam zhe str. 18.

في جزر ماديرا والكناري والازور ، بل ان ملوك البرتغال وقعوا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر لهذا الغرض عدة عقود مع مالكي سفن ومنظمي رحلات مستعدين للإبحار بحثاً عن هذه الجزر والبلدان [١].

وهكذا يمكن القول ان فكرة اكتشاف بلدان تقع بعيداً في اعماق المحيط الأطلسي كانت واسعة الانتشار بين بحارة المدن الواقعة على الساحل الأوربي لهذا المحيط " ولكن من غير المعروف ان كانت لدى هؤلاء انذاك خطط ما لايجاد طريق إلى الهند بالاتجاه نحو الغرب " [٢].

كان كرستوفر كولومبس واحداً من هؤلاء البحارة الذين كانوا يسعون الوصول إلى تلك البلدان الأسطورية. وعلى الرغم من ان الكثير من الحقائق الاساسية عن سيرة هذا البحار الذي كان أول من عبر الاطاسي من الأوربيين في العصر الحديث ليست مؤكدة بشكل قاطع بما في ذلك اصله وسنوات حياته الأولى، الا ان من المتفق عليه الان ان كولومبس ايطالي وانه ولد عام ١٤٥١ في منطقة ما بالقرب من جنوا وان اباه كان حائكاً وانه كان في المدة ١٤٧٤–١٤٧٦ يعمل بحاراً في البحر المتوسط، وفي ١٤٧٦ قدم إلى البرتغال ثم زار انكلترا في السنة التالية. وفي المدة بين ١٤٧٩ و١٤٨١ كان يعيش في جزيرة بورتو سانتو بالقرب من ماديرا، وهناك تزوج من ابنة احد البحارة الايطاليين هو بريستريللو، الذي ترك له الكثير من الخرائط البحرية والمذكرات والملاحظات الخاصة بالملاحة [٣].

بدأ كولومبس مفاوضاته مع الحكومة البرتغالية بشأن تجهيز رحلة بحرية كبيرة، لكن هذه المفاوضات لم تؤد إلى النتيجة التي كان يرجوها. ولم يستطع الباحثون حتى الان ان يحددوا بدقة الهدف الذي قصد من هذه الرحلة هل هو

(1) Lesnikov, Tam zhe str. 44 ; Abramson, Tam. zhe str.478-479.
(2) Lesnikov, Tam zhe str.44.
(3) Tam zhe Str. 44-45.

الوصول إلى اسيا ام إلى جزيرة غنية في المحيط الأطلسي [١]. لكن الرأي الشائع هو ان فكرة كولومبس كانت تكمن في الوصول إلى ساحل اسيا الشرقي عن طريق السير غرباً لاسيما وان " جميع علماء الكوزموغرافيا [٢] ورسامي الخرائط البارزين في القرن الخامس عشر ... كانوا يعتقدون بان المسافة المائية التي تفصل سواحل أوربا الغربية عن سواحل اسيا الشرقية " اضيق " بدرجة كبيرة من قارة اوراسيا " [٣]، لكن هناك اخباراً اخرى تشير إلى ان كولومبس كان يتوخى تحقيق اهداف اخرى فابنه فرديناند الذي كتب سيرة ابيه يؤكد بان اباه كان يسعى لاكتشاف اراضي جديدة وجزر مجهولة تقع بعيداً في اعماق المحيط الاطلسي هي " سيبانجو " و " الانتيل " و " البرازيل " وغيرها [٤].

على اية حال كان كولومبس واحداً من عدد كبير من الملاحين الذين سعوا لتحقيق مثل هذا الهدف، لكن جهودهم كان نصيبها الفشل، ويبدو ان السبب في احجام البرتغال عن الموافقة على مشروعه هو انها كانت تركز جهودها على محاولات اكتشاف طريق جديد إلى الهند بالدوران حول افريقيا لاسيما وان هذا الهدف بدا في متناول اليد بعد رحلة بارتلميو دياز التي سبق ذكرها، كما ان "ملك البرتغال اعتقد ان كولومبس مختال ومتبجح فرفض تمويل المشروع " [٥].

لكن ما رفضته حكومة البرتغال وافق عليه فرديناند وايزابيلا ملك وملكة اسبانيا اللذين توجه كولومبس اليهما في ١٤٨٤ ، إذ اقتنعا بعد تردد دام ثماني سنوات بحجج كولمبس ووافقا على تجهيز رحلة بحرية بقيادته. لقد تردد الملك والملكة في البداية بسبب انشغالهما بالحرب ضد المسلمين في الاندلس وبسبب

(1) Riegle and Haugh, Op. Cit., P.8.

(٢) Cosmography ، علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه.

(3) Abramson, Tam zhe str. 479.

(4) Quated in Lisnikov, Tam zhe str. 45; Abramson, Tam zhe str. 480.

(5) Riegle and Haugh, Op. Cit., P.8.

الامتيازات الواسعة التي منحها كولومبس لنفسه في العقد الذي قدم لابرامه بين العاهلين [١]. ولكن بعد ان تمكنا من الاستيلاء على غرناطة آخر معاقل العرب في اسبانيا ونتيجة لوساطة بعض رجال البلاط المرتبطين ببعض رجال المال والاعمال من ذوي المصلحة في ايجاد اسواق جديدة وافق الملك والملكة على تجهيز الرحلة.

تألفت الرحلة من ثلاث سفن من نوع كارافيلا هي سانتاماريا Santa Maria ونينا Nina وبنتا Pinta ، وكانت هذه سفناً خفيفة لاتتعدى حمولة اكبرها وهي سانتاماريا ١٢٠ طناً . اما طاقم الرحلة فكان يتألف من تسعين شخصاً فقط [٢].

ابحرت البعثة في ٣ آب ١٤٩٢ من ميناء بالوس الاسباني باتجاه جزر الكناري وهناك توقفت مدة من الزمن لاجراء تصليحات في السفينة نينا ، ثم انطلقت في ١٠ أيلول باتجاه الغرب، وبعد رحلة دامت ثلاثة وثلاثين يوماً القت السفن مراسيها في جزيرة صغيرة لم تتأت معرفتها حتى الان، ويعتقد انها جزيرة واتلنك ، احدى جزر البهاما، وقد اطلق كولومبس عليها اسم سان سالفادور [٣] .

اكتشف كولومبس في هذه الرحلة عدداً من الجزر وساحل كوبا الشمالي وكذلك الساحل الشمالي لجزيرة هايتي التي اطلق عليها اسم " اسبانيولا " أي اسبانيا الصغيرة. ومع ذلك لم يكن لديه تصور واضح عن البلدان التي اكتشفها أو

(١) انظر محتويات العقد في:

Henry Steele Commager (ed.) Documents of American History, Fifth edition New Yorke (n.d.) PP.1-2.

(2) Ya.M.Svet " Kolumb " , Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopidiya T.7. Moskva 1965, str. 535.

(٣) كان السكان الذين وجدهم كولومبس في هذه الجزيرة يطلقون عليها اسم گواناهاني.

المكان الذي وصل اليه. لقد اعتقد بانه وصل إلى جزائر الهند الشرقية فاعتبر السكان المحليين هنوداً واعتقد بان كوبا هي الصين وهايتي هي اليابان [1]. وهكذا فعلى الرغم من انه لم يصادف أي شيء يذكر بالجزر الأسيوية الغنية بالذهب فانه اعتقد بانه وصل إلى مكان ما بين الجزر المتاخمة لساحل اسيا الشرقي فانهمك بالبحث، دون جدوى ، عن ممر بينها يوصله إلى القارة.

في ٤ كانون الثاني ١٤٩٣ غادر كولومبس عائداً إلى اسبانيا فوصلها في اذار واستقبل فيها بحفاوة بالغة، ورصدت مبالغ كبيرة لرحلته الثانية التي قام بها في ايلول من ذلك العام. وفي هذه الرحلة الثانية اكتشف جزر الانتيل الصغرى واسس مستمرة في اسبانيولا وابحر بمحاذاة ساحل كوبا الجنوبي معتقداً بانه ساحل اسيا الجنوبي ثم عاد في ١٤٩٥ إلى اسبانيا.

لقد خيبت رحلة كولومبس الثانية آمال الحكومة الاسبانية، فالذهب في اسبانيولا كان قليلاً ومشروع انشاء المستعمرة فيها لم يكن ناجحاً وغالبية الذين استوطنوا هناك كانت من النبلاء الاسبان الذين كانوا قد أصبحوا عاطلين عن العمل بعد انتهاء الحرب مع المسلمين في اسبانيا والذين لم يكونوا يجيدون أي عمل غير القتال.

في هذه الرحلة الثانية أيضاً لم يصل كولومبس إلى ساحل القارة الأمريكية. لكن ذلك تحقق بعد سنتين، أي في ١٤٩٧ على يد البحار الجنوبي الأصل جيوفاني كابوتو [2] الذي كان قد غادر جنوة واستقر أول الأمر في البندقية ثم غادرها إلى انجلترا وعرف هناك باسم جون كابوت، وعاش هناك بين

---

(1) Riegle and Haugh, Op. Cit., P.10.

(٢) ينفرد المؤرخ الروسي سيمينوف بالقول ان كابوت كان بندقياً أي من البندقية فيخالف بذلك الرأي الشائع بين الباحثن.

Semenov, Tam zhe Pri. 1, str. 384.

وقد اوقعته في هذا الخطأ على مايبدو اقامة كابوت في البندقية ردحا من الزمن.

ميناء برستول واستطاع ان يقنع الملك هنري السابع باحتمال وجود طريق شمالي الى الشرق، وحصل منه على براءة بايجاد ارض غير معروفة للمسيحيين [1].

وعلى هذا الأساس نظم كابوت رحلة مولها تجار ميناء برستول وغادرت ذلك الميناء في ٢ أيار ١٤٩٧ ووصلت إلى ساحل لبرادور. ومع ذلك فان كابوت ومعاصريه لم يفهموا اهمية هذا الاكتشاف لذا لم تلبث هذه الرحلة ، وكذلك الرحلة الثانية التي قام بها كابوت في السنة التالية واشترك فيها معه ابنه سباستيان ، ومات اثناءها كابوت الاب ان طواها النسيان [2].

في ايار ١٤٩٨ قام كولومبس برحلته الثالثة، وكان قد وضع لنفسه في هذه الرحلة هدفاً محدداً هو التوغل في المحيط الهندي، ولهذا فانه اتخذ في هذه المرة اتجاها جنوبياً فوصل جزر الرأس الأخضر ومنها انطلق نحو الغرب فوصل إلى القارة الأمريكية في منطقة مصب نهر الاورينوكو وذلك في آب ١٤٩٨ . وعندما وجد هناك كمية كبيرة من المياه العذبة لمعت في ذهنه فكرة انه ربما يكون قد اكتشف قارة جديدة غير معروفة، لكن هذه الفكرة لم تلبث ان افلتت وانصرف كولومبس عن دراسة الساحل الأمريكي الذي وصل اليه.

في هذه الأثناء كان البحار البرتغالي فاسكودي غاما قد نجح في اكتشاف طريق جديد إلى الهند وذلك بالدوران حول افريقيا، واخذ البرتغاليون يجلبون من هناك التوابل والعطور وغيرها من بضائع الشرق الثمينة ويجنون من وراء ذلك ارباحاً وفيرة. وكان ذلك تفوقاً واضحاً للبرتغال في سباقها مع اسبانيا التي لم تحقق لها رحلات كولومبس التي كلفتها غالياً، فوائد كبيرة كما فعلت رحلات البرتغاليين. ولهذا فان رحلة كولومبس الرابعة التي بدأها في ١٥٠٢ كانت رداً

---

(١) انظر نص البراءة في :

Commager , Op. Cit., PP.5-6.

(2) Efinov, Tam zhe str. 21-22; Commager, Op. Cit., P.5.

مباشراً على رحلة فاسكودي غاما. لقد اراد كولومبس من رحلاته هذه الوصول من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، لكنه حين انطلق من جزيرة كوبا نحو الجنوب الغربي وجد نفسه يجابه في كل مكان بكتلة كبيرة من اليابسة. وعندما ابحر بموازاة برزخ بنما علم من الهنود هناك بوجود محيط كبير يقع في الجهة الثانية من اليابسة وبوجود " مكان ضيق " في هذا الجزء من اليابسة يمكن اجتيازه للوصول إلى ذلك المحيط . لقد كان الهنود الذين علم كولومبس منهم بوجود هذا المكان الضيق يقصدون برزخ بنما لكن كولومبس كان يظن انه يبحر امام الجزر التي كان يعتقد انها تسد امامه الطريق نحو سواحل اسيا الشرقية ، ولهذا فانه كان يبحث عن مضيق بين هذه الجزر يمكن ان يمر منه.

وهكذا ظل كولومبس إلى ان توفي في ١٥٠٦ يعتقد بانه وصل إلى جزر تفصله عن سواحل اسيا الشرقية ولم يدرك انه اكتشف قارة جديدة . " ان مأساته" على حد تعبير احد الباحثين " كانت تكمن في انه كان يبحث في العالم الجديد عن العالم القديم ولهذا فانه " ربط " جميع اكتشافاته بنظام بطليموس الذي اطاحت به تلك الاكتشافات بالذات مرة والى الابد " [1].

لقد خيبت اكتشافات كولومبس أمل الاسبان فالاراضي التي اكتشفها كانت فقيرة بالقياس إلى الهند والشرق الاقصى ، التي كان البرتغاليون يجنون من التجارة معها أرباحاً كبيرة ، والذهب الموجود فيها أقل كثيراً مما توقعوا. وادى ذلك بالاضافة إلى مكائد الحساد وتحريضهم الملك الاسباني على كولومبس والتمرد الذي حصل في اسبانيولا، إلى غضب السلطات عليه فسجن مدة ثم اطلق سراحه دون ان يعاد له اعتباره اوشيء من امتيازاته، فقضى بقية حياته فقيراً معزولاً عن الشؤون العامة [2].

---

(1) Abramson, Tam zhe str. 480.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، المصدر السابق، ص ١٣.

اثارت اكتشافات كولومبس قلق واعتراض ملك البرتغال جون الثاني الذي اعتقد انها حصلت في المنطقة التي تقع جنوب غينيا وغربها أي في المنطقة التي تشملها السيطرة البرتغالية بموجب المعاهدة المعقودة بين البرتغال واسبانيا في ١٤٨٠، وبموجب المراسيم البابوية الصادرة بهذا الشأن. ورفعت القضية إلى البابا الكسندر السادس الذي اصدر في ٣ و ٤ أيار ١٤٩٣ مرسومين رسم بموجبهما خطاً وهمياً يمر على بعد مائة فرسخ [1] إلى الغرب من جزر رأس فيردي بحيث تمتلك البرتغال الأراضي الواقعة إلى الشرق منه واسبانيا البلدان التي تقع غربه، لكن ذلك لم يقنع جون الثاني الذي استطاع في السنة التالية أي في ١٤٩٤ ان يقنع الاسبان بتوقيع معاهدة تورديسيلاس [2] ، التي رُسم بموجبها خط وهمي بين قطبي الأرض يمر على بعد ٢٠٥٣ كم إلى الغرب من جزر الرأس الاخضر وتقرر ان تكون الأراضي التي تقع إلى الغرب من هذا الخط تابعة لاسبانيا، في حين تمتلك البرتغال كل الأراضي التي تقع إلى الشرق منه، وعلى هذا الاساس اصبحت البرازيل من ممتلكات البرتغال فيما بعد.

ان ادراك ان ما جرى اكتشافه من قبل كولومبس هو قارة جديدة يرتبط بالمحاولات التي جرت للوصول إلى الهند عن طريق السير غرباً ، وهو الهدف الذي ينسب عادة لرحلة كولومبس الأولى والذي وضعه كولومبس لنفسه حقاً في رحلاته الأخرى. لقد ارتبط بمحاولات الوصول إلى الهند بالسير غرباً اكتشاف ودراسة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية خلال رحلات نظمتها الحكومتان الاسبانية والبرتغالية، فقد اكتشفت البرازيل، على مايبدو ، في وقت واحد من قبل الاسبان والبرتغاليين في المدة بين ١٤٩٨ و١٤٩٩ ، أي في المدة المحصورة

---

(١) الفرسخ League : قياس للطول يتراوح بين ٢,٤ و٤,٦ ميل.

(٢) انظر نص المعاهدة في:

Commager, Op. Cit., P.4.

بين الرحلتين الأولى (١٤٩٨) والثانية (١٥٠٠) التي قام بها البرتغاليون إلى الهند بالطريق الجديد الذي يدور حول افريقيا. وقد شارك في أول رحلة اسبانية لهذا الغرض قادها الملاح خوخيدا وسارت بمحاذاة الساحل الشمالي للبرازيل، عالم الكوزموغرافيا الايطالي الاصل امريكو فيسبوتشي (١٤٥٢-١٥١٢) Amerigo Vespucci وهو أول من ادرك بان هذه الأرض هي قارة جديدة غير معروفة. اما الرحلة الثانية إلى تلك الاصقاع فقد كانت بقيادة الملاح البرتغالي كابرال الذي توغل كثيراً باتجاه الغرب حتى وصل إلى ساحل البرازيل. ولم يكن كابرال هذا يعلم شيئاً عن الرحلات التي قام بها من سبقوه لذا فقد اعتقد ان الأرض التي وصلها هي جزيرة واطلق عليها اسم فيراكروس (ارض الصليب) واعلنها ملكاً للملك البرتغالي. بعد ذلك وفي ايار ١٥١٠ جهزت البرتغال حملة جديدة تتألف من ثلاث سفن هدفها دراسة هذه " الجزيرة " وقد اشترك فيسبوتشي فلكياً في هذه الرحلة ايضاً . لكن المشاركين في هذه الرحلة وجدوا بدلاً من الجزيرة ساحلاً طويلاً يمتد إلى الجنوب . وقد وصف فيسبوتشي ما وجدته هذه الرحلة في رسالة إلى صديقه لورنزو مديتشي واقترح تسمية هذه القارة " غير المعروفة اطلاقا للقدماء " بالعالم الجديد. وكان ذلك دافعاً لعالم الكلوزموغرافيا الالماني والدتسيميولر Waldseemuller الذي قام بنشر رسائل فيسوتش في كتابه " مقدمة في الكوزموغرافيا " لان يقترح تسمية القارة الجديدة "أمريكا" على اسم ذلك العالم الايطالي الذي كان أول من ادرك ان الأرض التي اكتشفت تؤلف قارة قائمة بذاتها [1] . وهكذا فان اسم أمريكا كان يقصد به آنذاك الجزء الشرقي من قارة أمريكا الجنوبية، لكنه لم يلبث ان اصبح يطلق على كل العالم الجديد لاسيما وان رسامي الخرائط اخذوا منذ ١٥٠٧ يؤشرون الأرض التي اكتشفها كولومبس على خرائطهم باسم عام هو " اراضي امريكو " . وبعد

(1) Lesnikov, Tam zhe str. 50. P.8.

ذلك " حرفت التسمية " امريكو " إلى " أمريكا " في عملية تشبه ما حصل لشكل جنس ونهايات اسماء القارات القديمة: اسيا وأوربا وافريقيا " [1].

ان فيسبونشي كان ايضاً أول من قال بإمكانية الوصول إلى جزائر ملوك بالدوران حول هذه القارة الجديدة من جهة الجنوب. وقد اهتمت الحكومة الاسبانية بتحقيق هذا المشروع وزاد حماسها له بعد ان تمكن بالبوا Balboa من عبور برزخ بنما في عام ١٥١٣ واطل لأول مرة على " البحر الجنوبي المظلم " ، أي المحيط الهادي، ذلك ان اكتشاف مضيق يؤدي إلى هذا البحر ومن ثم الوصول إلى جزر التوابل وكسر احتكار البرتغاليين لهذه التجارة اصبح بالنسبة للاسبان بعد هذه التطورات مهمة ملحة جداً. وقد استطاع الملاح ماجلان ان يحقق لاسبانيا هذه المهمة فاصبحت بعثته أول بعثة تقوم بسفرة حول العالم رغم ان قائدها فقد حياته في الطريق.

اخذ الأسبان الذين استقروا في جزر الكاريبي بعد اكتشافها يقومون بحملات يوجهونها إلى البلدان المحيطة بخليج المكسيك وهدفهم البحث عن الذهب والحصول على العبيد ، ثم اخذوا في مرحلة لاحقة يتقدمون للاستيلاء على البلدان الواقعة إلى الجنوب من ذلك الخليج . وكانت تلك المناطق التي تؤلف في الوقت الحاضر المكسيك وبيرو موطناً لاتحادين قبليين كبيرين يتزعمهما الازتك في المكسيك والانكا في بيرو . وكانت سلطة الازتك في المكسيك في الوقت الذي قدم فيه الاسبان إلى العالم الجديد قد ضعفت إلى حد كبير [2] ، الامر الذي سهل للاسبان الاستيلاء على تلك البلاد،فقد تمكنت الحملات التي ارسلوها في ١٥١٦-١٥١٨ نحو الغرب من التقدم على طول ساحل يوكاتان والساحلين الغربي

(1) Semenov, Tam zhe str. 50. P.385.

(2) انظر اسباب ذلك ومظاهره في :

Lesnikov, Tam zhe str. 50. P.52-53.

والجنوبي لخليج المكسيك، ومن خلالها اقام الأسبان علاقات مع الرؤساء المحليين في تلك المناطق، ومنهم ومن السكان الاخرين علموا بوجود بلد غني جداً وزاخر بالكنوز والثروات ، يقع إلى الغرب فجهزوا للاستيلاء عليه في ١٥١٩ حملة خاصة قادها احد النبلاء الشبان هو فرناندو كورتيس.

تألفت الحملة التي قادها كورتيس للاستيلاء على المكسيك من ٤٠٠ جندي اسباني منهم ستة عشر فارساً ومائتي هندي، وكانت مجهزة بعشرة مدافع ميدان ثقيلة وثلاثة مدافع خفيفة، وقد جرى تعزيز هذه القوة بقوات اضافية فيما بعد [1] .

لقد اراد الاسبان ان يخضعوا بهذه القوة المتواضعة بلداً واسع الارجاء كالمكسيك وقد استطاعوا ذلك بالفعل لان دولة الازتيك كانت آنذاك ضعيفة جداً بسبب استياء السكان واستعدادهم الدائم للثورة على السلطة القائمة.

بررت المكسيك امال الاسبان الذين كانوا متعطشين للحصول على المعادن الثمينة التي كانت الرغبة في الحصول عليها السباب الرئيس الذي دفعهم إلى المجيء إلى هذه البلاد فقد وجدوا فيها احتياطات كبيرة من هذه المعادن ولاسيما الفضة والذهب.

لكن ذلك لم يشبع جشع الاسبان إلى الذهب فأخذوا بعد ان استقروا في أمريكا الوسطى يتطلعون إلى أمريكا الشمالية التي كانت اشاعات كثيرة تدور حول وجود مدن غنية بالذهب فيها. ولهذا السبب نظم بونسي دي ليون Ponce de Leon بعثة كشف اثناءها فلوريدا واسس فيها في ١٥٢١ مستعمرة للبيض، لكن الهنود قاموا بذبح جميع من تركهم دي ليون فيها كما ان دي ليون نفسه لم يلبث ان توفي بعد ذلك بقليل، غير ان اسبانيا اخر هو هرناندو دي سوتو Hernando de Soto اهتم ايضاً باستعمار فلوريدا فنزل في ١٥٣٩ في خليج

---

(1) Tam zhe str. 53.

Tampa ، واخذ بالتقدم شمالاً حتى وصل إلى اراضي ولاية كارولينا الشمالية الحالية. ثم اتجه بعد ذلك غرباً نحو المسيسبي فوصل إلى المنطقة التي تقع فيها مدينة ممفيس في الوقت الحاضر وبذلك يكون أول رجل ابيض يشاهد " ابا المياه" أي نهر المسيسبي.

ومن المكسيك انطلق مكتشفون اسبان اخرون نحو أمريكا الشمالية أبرزهم فرانسيسكو دي كورونادو الذي جمع في ١٥٤٠ فريقاً كبيراً من الزنوج والهنود وسار بهم نحو الشمال بحثاً عن مدن الذهب الاسطورية فوصل إلى كنساس الحالية التي لم يكن احد قد وصلها قبل ذلك، لكن امله خاب ايضاً فبدلاً من المدن الغنية بالذهب التي كان يتوقع ان يجدها لم يجد سوى خيام الهنود [illegible]، لكنه اكتشف خلال رحلته هذه نهر كولورادو وهضبة كولورادو والكانيون الكبير [1] وجبال روكي الجنوبية وسار عبر السهول العظمى حتى دائرة عرض ٤٠ْ شمالاً [2].

ان محاولات الوصول إلى جزر التوابل بسلوك طرق اخرى غير الطرق التي يسيطر عليها البرتغاليون لم تقتصر على الاسبان وحدهم بل شملت الفرنسيين والهولنديين ايضاً .

كان الفرنسيون أكثر تأثيراً من الهولنديين في تاريخ أمريكا الشمالية وذلك يعود إلى انهم كانوا أكثر نشاطاً من اولئك في مجال اكتشاف واستعمار الأراضي الأمريكية. ففي ١٥٢٣-١٥٢٤ كلف فرانسوا الأول الذي كان معجباً بايطاليا واسبانيا الملاح الجنوي فيرازانو Verrazano بايجاد مضيق يقود إلى جزائر الهند واقنع تجار الحرير في ليون الذين كانوا يرغبون في ايجاد طريق بحري

---

(1) Canyon وتعني واد ضيق شديد انحدار الجانبين يجري في اسفله جدول.

(2) I.P.Magidovich " Severnaya Amerika " Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopediya T.12, Moskva 1969, str.640.

المحيط المنجمد الشمالي إلى المحيط الهادي . وهناك من يفترض بان الروس قد استوطنوا الاسكا قبل حوالي ٣٠٠ سنة ، ويؤكد المؤرخ الروسي يفيموف ذلك بقوله " ان هذه الحقيقة التي تؤكدها المعطيات الاثرية لايمكن ان تثير أي شك"[1].

على اية حال واصل الروس اكتشافاتهم في المنطقة فاكتشف بيرنغ وتشيريكوف في ١٧٤١ الساحل القاري لخليج الاسكا وارخبيل الكسندر وجزيرة كادياك وحددا موقع عدد من جزر أليوت، واكتشف تشيريكوف جزر اليوت الغربية، كما اكتشف بعض الصناعيين الروس في ١٧٥٠-١٧٦٤ جزر ليسي واندريان وكريسي . وفي ١٧٦٨-١٧٦٩ انجزت بعثة كرنسن وليفاشوف من حيث الاساس اكتشاف كل جزر اليوت وثبتت على الخارطة النتوء الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الاسكا [2].

اما الانجليز فقد قاموا بتأسيس مستعمرة فرجينيا على خليج تشيسابيك على الساحل الشرقي للقارة على النحو الذي سنذكره لاحقاً وكشفوا في المدة ١٦٠٦-١٦٠٧ عن خط الشلالات وهضبة بيدمونت في تلك المنطقة . ويرتبط بمحاولات الانجليز ايضاً اكتشاف بعض اجزاء الساحل الشمالي لأمريكا الشمالية فلقد قام الملاحون الانجليز بمحاولات عدة لايجاد طريق شمالي غربي يمكن ان يوصلهم إلى جزر ملوك، أي طريق يؤدي بهم إلى الشرق الاقصى بواسطة الدوران حول أمريكا الشمالية من جهتها الشمالية. وبرز في هذا المجال البحاران الانجليزيان فروبشر وديفز اللذين قاما في النصف الثاني من القرن السادس عشر بمحاولات عديدة مولها التجار الانجليز لتحقيق ذلك الهدف، غير ان جميع تلك

(1) Efimov, Tam zhe str. 26.

(٢) ينظر حول تفاصيل الاستكشافات الروسية في أمريكا الشمالية:
Magidovich , " Severnaya Amerika " str. 639-643; Efimov , Op. Cit., PP.25-27.

المحاولات لم تؤد الا إلى التعرف على بدايات الخليج والمضيق اللذين يعرفان الان باسمي هاذين الملاحين في السواحل الشرقية للجزر الواقعة في شمال أمريكا الشمالية [1] . لكن بحاراً آخر اسمه هدسن كان أوفر حظاً منهما إذ استطاع ان يتوغل باتجاه الغرب حتى وصل إلى الخليج الذي يعرف الان باسمه. اما بافين فقد تمكن في ١٦١٦ من الوصول إلى الطرف الغربي للجزيرة التي سميت ارض بافين نسبة اليه، لكن جميع هؤلاء لم يستطيعوا آنذاك ان يصلوا إلى البحر المفتوح في الشمال أي إلى المحيط المنجمد الشمالي [2] . ومع ذلك واصل الانجليز باصرار البحث عن الطريق الشمالي ونظموا رحلات متعددة لتحقيق هذا الهدف، الذي لم يتحقق الا في وقت متأخر على يد النرويجي اموندسن في رحلة قام بها على متن قارب بخاري استغرقت ثلاث سنوات (١٩٠٣-١٩٠٦) عبر خلالها من بحر بافين إلى بحر بيرنغ . لكن هذا الطريق لم يتأت قطعه في موسم ملاحي واحد الا في ١٩٤٤ وكان ذلك من قبل الكندي لارسن [3].

اما الاجزاء الأخرى من أمريكا الشمالية فقد ظل بعضها غير معروف للأوربيين حتى وقت متأخر، لكن الأكتشافات تواصلت واسهمت فيها بلدان مختلفة إلى ان عرفت كل اجزاء القارة ومناطقها في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين [4].

(١) خليج فروبشو ومضيق ديفز.

(2) Lesnikov, Tam zhe str. 56.

(3) Magidovich, " Severnaya Amerika" str. 642.

(٤) انظر تفاصيل هذه الاكتشافات في:
Magidovich, " Severnaya Amerika" str. 638-643.

الفصل الثالث

استيطان أمريكا الشمالية

ما ان اكتشف الأوربيون العالم الجديد حتى بدأت عمليات هجرة واسعة الى الأرض الجديدة ، سببتها عوامل عديدة اقتصادية وسياسية ودينية، وباشر الأوربيون باستيطان الأرض الجديدة على الرغم من المصاعب الهائلة التي صادفوها في البداية.

لقد ابدى الهنود ، سكان البلاد الاصليون، مساعدات كبيرة للمستوطنين الأوائل وكثيراً ماكانت مساعداتهم هذه سبباً في انقاذ اولئك المستوطنين من موت محقق. لكن الهنود لم يلبثوا ان ادركوا مع الوقت ان القادمين الجدد لايهتمون بمصالحهم وانهم يمارسون، في سبيل تحقيق اهدافهم، عملية محو وافناء للقبائل الهندية . لهذا أخذ الهنود يقاومون المستوطنين ويحاولون اعاقة تقدمهم إلى اعماق القارة، فقام على هذا الاساس صراع دامي طويل محقت خلاله القبائل الهندية وافنيت فناء يكاد يكون تاماً.

لكن الصراع مع الهنود لم يكن السمة الوحيدة لعملية الاستيطان في أمريكا، فالرغبة في الاستحواذ على ثروات العالم الجديد اثارت تنافساً حادا وصراعا عنيفاً بين الدول الأوربية التي اسهمت في استيطان أمريكا. فاسبانيا التي كانت أول من اكتشف العالم الجديد، اسست هناك امبراطورية واسعة شملت كل أمريكا الجنوبية عدا البرازيل وكل أمريكا الوسطى والجزء الجنوبي من أمريكا الشمالية الممتد من فلوريدا إلى كليفورنيا. واسس الاسبان مستوطنات لهم في هذه الممتلكات الشاسعة . وكانت المستوطنة التي اسسوها في سان دومينجو في ١٤٩٦ أول مستوطنة للبيض في العالم الجديد. واليهم يعود ايضاً تأسيس أول

مستوطنة دائمة للبيض في الرقعة التي تؤلف الولايات المتحدة في الوقت الحاضر، وهي مستوطنة سانت أوغسطين في فلوريدا التي تأسست عام ١٥٦٥. بعد ذلك اقام الاسبان مناطق استقرار لهم على ساحل الأطلسي وعلى الضفاف الشمالية لخليج المكسيك وبالقرب من سانتافي الحالية في نيومكسيكو وكذلك في سان فرانسيسكو التي تعد ابعد ما وصل اليه الاسبان شمالاً في أمريكا الشمالية[1].

لكن سعة وثروة المستعمرات الاسبانية لم تساعد على ازدهار اسبانيا وتطورها وذلك بسبب سيادة النظام الاقطاعي الذي تجاوزه الزمن وطبيعة الحكم المستبد فيها. فأخذت اسبانيا بالضعف والتدهور الامر الذي مكن منافستها انجلترا من التفوق عليها حين تمكنت من تحطيم اسطولها الشهير الا رمادا الذي ارسله الملك الاسباني فيليب الثاني عام ١٥٨٨ بهدف " مسح انجلترا من على وجه الأرض" [2] فمنذ ذلك التاريخ اخذت اسبانيا تتخلف عن منافسيها في استعمار العالم الجديد وبدأت سيطرتها على المستعمرات وطرق التجارة العالمية تضعف.

استفادت هولندا من ضعف اسبانيا وتراخي سيطرتها على المستعمرات وطرق التجارة واستطاعت بعد ان قامت الثورة فيها ضد السيطرة الاسبانية ان تستولي مع الوقت على عدد من الجزر الاسبانية في الهند الغربية وعلى مناطق صغيرة نائية في أمريكا الجنوبية. واعطتها رحلة هدسن في ١٦٠٩ التي اشرنا اليها حجة للادعاء بملكية وادي نهر هدسن فبادر التجار الهولنديون إلى دخوله للمتاجرة مع الهنود واخذ المكتشفون الهولنديون يتحرون المناطق المتاخمة له. وبمضي الوقت اسس الهولنديون في المنطقة عدداً من الحصون ومناطق

(١) انظر:
Riegle and Haugh, Op. Cit., PP.12-14; Efimov, Tam zhe., str. 32-33.
(2) Tsit. Efimov, Tam zhe str. 33.

الاستقرار، ففي ١٦١٣ بنى هدسن في جزيرة مانهاتن كوخاً لخزن الحنطة لم يلبث ان تطور فاصبح مدينة متكاملة اطلق عليها اسم امستردام الجديدة. وفي ١٦٢١ ارسلت شركة الهند الشرقية الهولندية مجموعة متألفة من ثلاثين عائلة تأسست على الاثر حصون هولندية في الباني وفي مقابل فيلادلفيا الحالية وعند مصب نهر كونيكتيكوت [1]. وهكذا اصبح للهولنديين منطقة استعمار لايستهان بها اطلقوا عليها اسم هولندا الجديدة وعاصمتها امستردام الجديدة.

اسهمت السويد من جانبها في الصراع الدائر حول استعمار العالم الجديد الا ان كان اسهامها متواضعاً قياساً إلى الدول الأخرى حيث اقتصر على تأسيس بعض المستوطنات الصغيرة في منطقة ديلاوير الحالية. ولم يلبث ان ثار نزاع بين السويد وهولندا حول ملكية المنطقة الواقعة بين ديلاوير ونيويورك الحالية، انتهى باستيلاء هولندا عام ١٦٥٥ على الحصون التي اقامها السويديون في المنطقة [2].

لكن المستوطنات الهولندية كانت تعاني من ضعف في الداخل وضغط من الانجليز في الخارج ففي الداخل كانت قلة السكان اخطر المشاكل التي واجهت تلك المستوطنات إذ لم يتعد عدد السكان في جميع المستوطنات الهولندية يوم استولت عليها انجلترا في عام ١٦٦٤ العشرة آلاف نسمة نصفهم من الاجانب. وكان سبب هذه الشحة في عدد المستوطنين ان مالكي الأرض الذين كان يطلق عليهم اسم "Patroons" لم يكونوا يشجعون استيطان الفلاحين والمزارعين هناك لان ذلك من شأنه ان يثير نزاعات مع الهنود حول الأرض

(1) Riegle and Haugh, Op. Cit., PP.23-24; Efimov, Tam zhe str. 35
(2) لونس ايج . جبسون ، حرب عظمى ... في سبيل بناء إمبراطورية كبرى . في : ارل شنيك ميرز ، حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف إلى عصر الذرة، نقله إلى العربية فؤاد جميل، بغداد ١٩٥٨ ، ص ٦٦.

وهو امر لم يكن يريده اولئك الملاك الذين كانوا يهتمون بتجارة الفراء التي تتطلب اقامة علاقات سلمية مع الهنود.

من الناحية الأخرى تعرضت المستوطنات الهولندية لضغوط وتحرشات من الانجليز وذلك لأنها كانت تتوغل على شكل جيب داخل المستعمرات الانجليزية القائمة في شمالها وجنوبها والتي كان يقطنها ١٥٠ ألف انجليزي. لهذا قررت انجلترا بعد ان ازدادت قوتها نتيجة للثورة والحرب الاهلية التي قامت فيها في اواسط القرن السابع عشر ان تستولي على ممتلكات هولندا في العالم الجديد بالقوة فارسلت اسطولها في ١٦٦٤ إلى هناك لانجاز ذلك، واستطاع الاسطول دون ان يطلق طلقة واحدة الاستيلاء على نيوامستردام . ومع ان الهولنديين تمكنوا من استعادتها في ١٦٧٤ الا انهم فشلوا في الاحتفاظ بها أكثر من سنة واحدة إذ لم تلبث ان انتقلت مرة اخرى إلى الانجليز (١) الذين غيروا اسمها إلى نيويورك. ورغم ان الحكم الهولندي في أمريكا لم يعمر طويلاً فانه ترك اثاراً ما تزال قائمة حتى الوقت الحاضر، فالهولنديون هم الذين بنوا في مانهاتن جداراً للدفاع ضد الهنود ومن هنا أخذ وول ستريت المشهور حالياً اسمه.

اما الفرنسيون فقد امتلكوا نتيجة لحملات الاستكشاف التي اشرنا اليها في الفصل السابق مناطق شاسعة في أمريكا الشمالية شملت كندا وكل حوض المسيسبي وباشروا منذ ان وطأت اقدامهم العالم الجديد بتأسيس مستوطنات لهم في هذه المنطقة الواسعة. فبعد ان اختفى المستقر الصغير الذي اسسه كارتيه عام ١٥٤١ في كويبك كما ذكرنا عاد تشامبلين فاسس هناك في ١٦٠٨ مستوطنة جديدة اصبحت نواة للممتلكات الفرنسية في العالم الجديد التي اطلق عليها اسم "

---

(1) Efimov, Tam zhe str. 25.

انظر حول اسباب فشل الهولنديين الفصل الذي كتبه ريتشارد ب . موريس حول الموضوع في: ميرز ، المصدر السابق ، ص ٣٢-٤٠.

فرنسا الجديدة " وقبل ذلك بثلاث سنوات كان الفرنسيون قد اسسوا على ساحل نوفاسكوتيا أول مستوطنة دائمة لهم (١) . اما حوض المسيسبي فقد انشأوا فيه مستعمرة واسعة أطلقوا عليها اسم لويزيانا نسبة إلى الملك لويس الرابع عشر كما اسسوا عدداً من الحصن والمراكز العسكرية تصل بين لويزيانا ومنطقة نهر سانت لورنس في كندا (٢)، بالإضافة إلى المراكز التجارية التي ذكرنا بعضها في الفصل السابق.

لقد كانت الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية متفوقة من حيث المساحة على جميع مستعمرات الدول الأخرى هناك، لكنها كانت تعاني من نقاط ضعف خطيرة، لاسيما اذا ما قورنت بالمستعمرات الانجليزية التي كانت اقل منها مساحة بكثير. فالمستوطنات الفرنسية كانت متفرقة وموزعة على مساحة شاسعة من الأرض في حين ان سكان المستعمرات الانجليزية كانوا يؤلفون كتلة متراصة يرتبط بعضهم بالبعض الاخر . وفي حين كان الشغل الأساس للفرنسيين في العالم الجديد هو تجارة الفراء " ولم يفعلوا الا القليل لتطوير الزراعة " لان تجارتهم مع الهنود كانت تضطرهم إلى التنقل الدائم وراء القبائل الهندية التي كانت تصيد الحيوانات وتبيع فراءها لهم، كان شغل المستوطنين الانجليز الاساس هو الزراعة والحرف والصناعة. يضاف إلى ذلك ان فرنسا ، بسبب سيادة النظام الإقطاعي فيها، لم يكن بمقدورها تزويد مستعمراتها في العالم الجديد بعدد كاف من السكان على العكس من انجلترا التي كان النظام الرأسمالي فيها قد حقق درجة لايستهان بها من التطور الامر الذي اوجد فيضاً من السكان كانوا يهاجرون إلى العالم الجديد بحثاً عن فرص للعمل والاثراء. لهذا فقد كانت الممتلكات الفرنسية اوسع مساحة ولكنها اقل سكاناً من المستعمرات الانجليزية،

---

(1) Morison, Op. Cit., P.47.

(٢) عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص ١٢٤.

ففي ١٦٦٣ وهي السنة التي وضعت فيها تلك الممتلكات تحت الإدارة الملكية مباشرة بعد ان كانت تحت سلطة شركات التجارة الاحتكارية، لم يكن عدد السكان فيها يتعدى ٢٥٠٠ نسمة [١] . ولم يتغير هذا الواقع في القرن التالي، ففي ١٧٥٠ كان عدد السكان القاطنين في المستوطنات الفرنسية اقل بعشرين مرة من عدد السكان في المستعمرات الانجليزية [٢].

لقد حددت نقاط الضعف هذه إلى جانب عوامل أخرى مصير الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية حيث عجزت فرنسا بسبب ذلك عن الاحتفاظ بتلك الممتلكات في خضم الصراع العنيف الذي كان دائراً بين الدول الأوربية من اجل امتلاك العالم الجديد والهيمنة على ثرواته. ففي الصراع مع اسبانيا اضطرت فرنسا لان تتخلى عن اجزاء واسعة من ممتلكاتها في أمريكا الشمالية ، فبموجب معاهدة فونتنبلو عام ١٧٦٢ انتقلت لويزيانا باجمعها بما في ذلك مصب نهر المسيسبي والمنطقة الواقعة إلى الغرب من ذلك النهر وحتى جبال روكي إلى اسبانيا. ومع ان نابليون الذي كان يخطط لاعادة الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في أمريكا الشمالية استعاد الاقليم بموجب معاهدة ايلدفونسو السرية المعقودة في ١ تشرين الأول عام ١٨٠٠ واكد ذلك في معاهدة مدريد التي عقدت في ٢١ آذار ١٨٠١ الا ان متطلبات الصراع الذي كان يخوضه في أوربا دفعته إلى بيعه إلى الولايات المتحدة عام ١٨٠٣.

اما الصراع مع انجلترا فقد نتجت عنه سلسلة من الحروب سميت باسماء الملوك الانجليز الذين جرت في عهدهم مثل: " حرب الملك وليم " ١٦٨٩-١٦٩٧) و " حرب الملكة آن " (١٧٠١-١٧١٣) و " حرب الملك جورج "

(1) A.I.Konontsev, " Kanada" , Sovetskaya Istoricheskaya Entsiklopediya, T.6, Moskva 1965, str. 927.

(2) A.A. Fursenko, " Kolonialnyi Period (1607-1776 gg) V Akademiya Nauk SSSR, Institut Istorii, Ocherki Novoy I Noveyshey Istorii SSHA, T.1, Moskva 1960, P.10.

(١٧٤٤-١٧٤٨) واخيراً " الحرب الفرنسية -- الهندية " (١٧٥٤-١٧٦٣) ، وكانت هذه الاخيرة أكثر تلك الحروب حسماً إذ فقدت فرنسا بنتيجتها كل مستعمراتها في أمريكا الشمالية تقريباً [١].

وهكذا تفوقت انجلترا على خصومها في الصراع من اجل السيطرة على المستعمرات وطرق التجارة العالمية وخرجت من ذلك الصراع وهي تتمتع بسيطرة راسخة وهيمنة قوية في أمريكا الشمالية تسندها قوة بحرية متفوقة .

كانت محاولات انجلترا للاستيطان في أمريكا قد بدأت في عهد الملكة اليزابيث الأولى (١٥٥٨-١٦٠٣) فقد منحت الملكة المذكورة السير همفري جابرت في ١٥٧٨ براءة خولته " ان يبحث ويكتشف ويعثر على الأراضي البعيدة التي يسكنها البرابرة ومن لادين لهم، وهي الاقطار والمناطق التي لم تقع في حوزة أي امير مسيحي " فقام جلبرت برحلتين إلى أمريكا حاول خلالهما تأسيس مستعمرة هناك لكن المحاولتين كلتيهما باءتا بالفشل ودفع جلبرت حياته ثمنا لمحاولاته تلك إذ اختفى في البحر وهو في طريق عودته إلى الوطن [٢].

بعد موت جلبرت بستة اشهر منحت اليزبيث براءة اخرى مشابهة [٣] لأخيه غير الشقيق السير والتر رالي فقام هذا بارسال خمس بعثات إلى العالم

(١) عرفت هذه الحروب في أوربا باسماء اخرى هي على التوالي : " حرب عصبة اوكسبورغ (١٦٨٩-١٦٩٧) و " حرب الوراثة الاسبانية " (١٧٠٢-١٧١٣) و "حرب الوراثة النمساوية " (١٧٤٠-١٧٤٨) و " حرب السبع سنوات " (١٧٥٦-١٧٦٣).

(2) Commager, Op. Cit., P.6;

يويس ب . رايت ، " تجربة في الاستعمار " في : ميرز ، المصدر السابق ص ١٤.

(٣) انظر نص البراءة في :

Commager, Op. Cit., PP.6-7;

وانظر حول جهود رالي، تشارلز وماري بيرد، المصدر السابق، ص ١٠.

الجديد وانشأ مستعمرة في جزيرة روانوك اسماها فرجينيا لكن المستعمرة لم تلبث ان انتهت إذ اختفى مستوطنوها في ظروف غامضة (١).

اظهر الفشل الذي اصاب جهود جلبرت ورالي ان الاستيطان في العالم الجديد مهمة صعبة ليس بمقدور اشخاص منفردين الاضطلاع بها الامر الذي جعل الشركات التجارية (٢) ذات الامكانات الاوسع تتولى الامر. وعلى هذا الاساس فوض الملك جيمس الأول شركة فرجينيا ان تتخذ الاجراءات لتأسيس شركتين هما شركة لندن وشركة بلايموث يمنحان الحق في استيطان الساحل الأطلسي لأمريكا الشمالية وخصصت المنطقة الواقعة بين دائرتي عرض ٣٤° و ٤١° شمالاً لشركة لندن والمنطقة المحصورة بين دائرتي عرض ٣٨° و ٤٥° شمالاً لشركة بلايموث، اما المنطقة المتداخلة الواقعة بين دائرتي عرض ٣٨° و ٤١° شمالاً فقد كان للشركتين الحق في اقامة المستوطنات فيها بشرط ان لاتقل المسافة التي تفصل بين مستعمرة واخرى عن مائة ميل (٣).

باشرت الشركتان بارسال وجبات من المستوطنين إلى أمريكا غير ان هؤلاء جابهوا في البداية صعوبات جمة لم يستطيعوا في بعض الحالات تحملها، فالمستوطنة التي اسستها شركة بلايموث في المنطقة التي تؤلف ولاية مين في

---

(١) Harry J.Carman and Harold C. Syrett, A Hisotry of the American People Vol.1, New- York 1955, P.29.

(٢) ادى التطور الاقتصادي في أوربا الغربية إلى ظهور شركات تجارية حلت محل التجار المغامرين المنفردين الذين كانوا يضطلعون بالتجارة قبل ذلك، فما ان حل عام ١٧٠٠ الا وكانت توجد في انجلترا وفرنسا وهولندا والسويد أكثر من خمسين شركة من هذا النوع، وكانت انجلترا سباقة في هذا المضمار فقد تأسست فيها حتى نهاية القرن السادس عشر أي قبل تأسيس شركة الهند الشرقية الشهيرة في ١٦٠٠ ست شركات هي شركات : موسكو وكاثاي والبلطيق وليفانت ومراكش وافريقيا.

(٣) انظر نص البراءة في :
Commager, Op. Cit., PP.8-10.

[illegible] لم تلبث ان انهارت قبل ان تمضي سنة واحدة على تأسيسها وعاد مستوطنوها إلى انجلترا بعد ان عانوا كثيراً من العوز والحرمان (١).

اما شركة لندن فقد كانت اوفر حظاً إذ استطاع ١٢٠ مستوطناً ارسلتهم إلى امريكا ان يؤسسوا بقيادة القبطان كرستوفر نيوبورت مستوطنة اطلقوا عليها اسم جيمستاون تكريماً الملك الانجليزي جيمس الأول، وذلك في ايار ١٦٠٧. وقد تطورت جيمستاون فيما بعد واصبحت المدينة الرئيسة في مستعمرة فرجينيا وادت دوراً ملموساً في ترسيخ اقدام الانجليز في أمريكا الشمالية.

سارت عملية تأسيس المستعمرات الانجليزية في الشمال بطريق مختلف، إذ ومنذ بداية الاستيطان هناك مجموعة من البيورتان "Puretans" (٢) المنشقين عن الكنيسة الانجليكانية، اطلقوا على انفسهم اسم " القديسون" ويعرفون الان باسم " الحجاج " . وكان هؤلاء قد اضطروا إلى مغادرة انجلترا فعاشوا ردحاً من الزمن في ليدن في هولندا حيث نعموا بممارسة شعائرهم الدينية بحرية كانوا يفتقدونها في وطنهم الاصلي انجلترا، لكن ظروف حياتهم الجديدة الصعبة جعلتهم يتطلعون إلى العالم الجديد ولهذا فقد انتظموا في سفرة انطلقت من ميناء ساوثهامبتون في ايلول عام ١٦٢٠ ، وقد مول الرحلة عدد من التجار الانجليز ساهموا فيها بالاضافة إلى " الحجاج " اخلاطاً من الناس (٣) رغبوا هم ايضاً في السفر إلى العالم الجديد . وهكذا فقد حملت السفينة التي اقلت اولئك البيورتان

---

(١) Fursenko, Tam zhe str. 11.

(٢) بعد فصل الكنيسة الانجليزية عن روما وقيام الكنيسة الانجليكانية لم يكتف بعض الانجليز بذلك وارادوا المضي قدماً في الابتعاد عن روما " لتطهير " الكنيسة الانجليزية وقد اطلق على هؤلاء اسم " المطهرون " Puritans من الكلمة الانجليزية Purify التي تعني يطهر أو ينظف.

(٣) ضمت الرحلة ١٠٢ شخصاً بين رجل وامرأة وطفل. اما عدد " الحجاج " بينهم فكان خمسين.

واسمها مايفلاور Mayflower ، اناساً اخرين من الطائفة الانجليكانية، أملوا هم ايضاً ان يجدوا حياة افضل في العالم الجديد. وعلى الرغم من ان الرخصة التي اعطيت لهم كانت تقضي باستيطانهم في المنطقة العائدة لشركة لندن التي سبقت الإشارة اليها الا ان الرياح دفعت بسفينتهم وجعلتها ترسو في المنطقة التي تعرف برأس كود Cape Cod ، ضمن المنطقة المخصصة لشركة بلايوث وذلك في تشرين الثاني من عام ١٦٢٠.

وبسبب تزمت الحجاج ومضايقتهم لركاب السفينة الاخرين لاسباب طائفية، اوشك اولئك الركاب على التمرد فكان ذلك دافعاً لوضع ميثاق مايفلاور Mayflower Compalt المشهور الذي الذي وقعه كل الرجال البالغين من ركاب السفينة، قبل نزولهم إلى البر. وقد طرحت في هذا الميثاق فكرة سيادة الشعب وحقه في اقامة حكمه الخاص النابع من ارادته، حيث جاء فيه "نحن الموقعون ادناه نتفق بشكل مهيب امام الله وبحضور بعضنا مع البعض الاخر، ونتحد في مجتمع مدني ... اننا سوف نؤسس وننفذ القوانين والمراسيم والدساتير والوظائف العادلة والمتساوية للجميع التي نجدها ضرورية وملائمة لمصلحة المستوطنة العامة، اننا نعد بان نطيع كل القوانين من هذا النوع ونخضع لها" (١).

ولهذا فقد اعتاد المؤرخون والباحثون على اعتبار نيوانجلند موطناً للتقاليد الديموقراطية الأمريكية لان هذا الميثاق والمبادئ التي تضمنها، اصبح الأساس الذي ارتكز عليه الحكم، في أول الأمر، في مستعمرة بلايموث التي أسسها الحجاج في منطقة ولاية ماساتشيوستس الحالية بعد ان حصلوا على موافقة مجلس نيوانجلند الذي كان امتياز شركة بلايموث الذي رست مايفلاور في المنطقة المخصصة لها كما قلنا، قد انتقل اليه.

في السنوات التالية نزلت في سواحل ما ساتشيوستس مجموعات أخرى

(١) Commager, Op. Cit., PP.15-16.

من المهاجرين، كان قسم لايستهان به منهم من الهاربين من الملاحقة الدينية التي كانوا يتعرضون لها في انجلترا. وبهذا يكون الدافع الديني قد اضيف إلى دوافع الهجرة إلى أمريكا، علماً بان البحث عن ملاذ من الملاحقة الدينية لم يقتصر على الانجليز وحدهم بل شمل ايضاً الفرنسيين والالمان والهولنديين وغيرهم، ذلك ان الصراعات الدينية كانت آنذاك على اشدها في القارة الأوربية.

لكن الدافع الديني لم يكن الدافع الوحيد للهجرة إلى نيوانجلند، بل كان هناك دور ملموس للدافع الاقتصادي ايضاً، فقد مول سفرة الحجاج الذين اسسوا مستعمرة بلايموث كما ذكرنا التجار الانجليز الذين كانوا يأملون ان يجنوا الارباح من تأسيس مستعمرة انجليزية في أمريكا، وقد خصصوا لهذا الغرض مبلغاً من المال يقرب من ٢٠٠ ألف جنيه استرليني، وهو مبلغ يعادل ماصرفته شركة لندن على تأسيس جيمستاون (١).

لقد فرضت الظروف الصعبة على مستعمرة بلايموث ان يكون نموها شديد البطء فبعد أربعين سنة من قيامها لم يتجاوز عدد سكانها الالف نسمة، ومع ذلك فقد ظلت قائمة بذاتها إلى ان فرضت التطورات اللاحقة اتحادها مع مستعمرة ما ساتشيوستس في عام ١٦٩١ .

كانت مستعمرة ماساتشيوستس في اصلها مشروعاً تجارياً، فقبل ١٦٢٠ كانت اساطيل الصيد الانجليزية تتردد على مياه نيوانجلند لصيد السمك، ثم قامت فرقة من التجار ورجال الدين واعيان الريف البيوريتان، اطلقوا على انفسهم اسم "مغامرو دور تشستر Dorchester adventurers " بتأسيس مستوطنة لصيد السمك في رأس آن Cape Ann بالقرب من ميناء كلوستر Clousester . وعندما ظهر ان المستوطنة لن تكون مشروعاً ناجحاً اذا اقتصرت على الصيد اتجه المستوطنون نحو الاستقرار الدائم فحصل بعض

(١) Fursenko, Tam zhe str. 15.

رجال المال الانجليز واغلبهم من البيورتان وبعضهم من " مغامرو دورتشستر " من مجلس نيو انجلند في ١٦٢٨ على ارض اقاموا فيها في السنة التالية ما يعرف الان بمدينة سالم، وبعد ذلك بسنة حصلت شركة " خليج ما ساتشيوستس " التي تألفت بعد ان انضم إلى الجماعة السابقة عدد اخر من تجار لندن الأثرياء، على البراءة اللازمة من الملك شارل الأول، ومنذ ذلك الحين اخذت المستوطنة بالنمو السريع نسبياً. ففي الوقت الذي كان عدد المستوطنين فيها في ١٦٣٠ أي في السنة التالية لحصولها على البراءة ألف شخص ازداد هذا العدد فاصبح في العقد التالي نتيجة لما عرف بـ " الهجرة العظمى" ٢٥٠٠٠ مستوطن [١]. وواصلت المستعمرة نموها في العقود التالية إلى ان اصبحت مستعمرة ملكية وانضمت اليها مستعمرة بلايموث في ١٦٩١ .

بعد تأسيس ماساتشيوستس بدأ المستوطنون البيورتان ينتشرون في نيوانجلند ويؤسسون مستوطنات جديدة هناك فقد هاجر قسم منهم من ماساتشيوستس إلى وادي كونيكتيكوت واسسوا هناك في ١٦٣٥ و١٦٣٦ عددا من المدن منها هارتفورد إلى جانب المدن والمراكز التجارية التي اسسها هناك من سبقوهم بالاستقرار في المنطقة. بعد ذلك تأسست مستعمرة نيوهافن في ١٦٣٨ وفي ١٦٦٢ وضعت مستعمرة نيوهافن ومختلف مدن الوادي تحت ادارة موحدة بموجب براءة منحها الملك شارل الثاني لمستعمرة كونيكتيكوت التي كانت قد تأسست في المنطقة عام ١٦٣٨.

(1) Commager, Op .Cit., PP.16-18 ; Carman and Syrett, Op. Cit., P.25.

يذكر بعض الباحثين ان عدد السكان في ماساتشيوسنس بلغ في الثلاث عشرة سنة التي تلت ١٦٣٠، ستة عشر ألف مستوطن وان هذا التدفق في سيل المهاجرين عرف بـ " الهجرة العظمى " .

Perkins van Deusen, Op. Cit., P.26.

اما رودايلند. فقد قامت نتيجة للاختلافات الدينية في مستعمرة ماساتشيوستس ، فمؤسسها روجر وليامز [١] كان رائد إصلاح وادعية متحمساً للتسامح الديني وقف بصلابة ضد الامتيازات الطبقية وكان يعلن باستمرار بان حكومة مسؤولة امام الشعب افضل من حكومة تقوم على اساس حق الملوك الالهي وان حكام المجتمع ليسوا أكثر من وكلاء للناس الذين يحكموهم وبان واجب الدولة هو خدمة اهداف العدالة لاتقييد حرية الفكر والاعتقاد. ولم ترق افكار وليامز هذه لحكام ماساتشيوستس فقدموه للمحاكمة وحكم عليه في عام ١٦٣٥ بالنفي من ماساتشيوستس فغادرها إلى رودايلند وأسس هناك مع مجموعة من الرجال والنساء واسعي الاختلاف في ارائهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية لايجمعهم الا الاستياء من حكومة ماساتشيوستس ذات التوجه الثيوقراطي شديد المسماة بروفيدنس التي اصبحت اساساً لمستعمرة رودايلند. وعلى الرغم من صغر هذه المستعمرة إذ لاتتعدى مساحتها أربعين ميلاً مربعاً فقد منحت البراءة اللازمة في عام ١٦٦٣ [٢].

كذلك كانت مستعمرتا نيوهامبشير ومين نتيجة لتوسع ماساتشيوستس ايضا. ففي ١٦٢٣ منح شخصان انجليزيان هما فرناندو جورجز Fernando Gorges وجون ميسون John Mason المنطقة الواقعة بين نهري ميريماك والكينيبك وقام هذان بعد ذلك بست سنوات باقتسام المنطقة فيما بينهما بحيث اخذ ميسون الجزء الغربي واطلق عليه اسم نيوهامبشير واخذ جورجز الجزء الشرقي

(1) Perkins/ van Deusen, Op. Cit., PP.16-17;

ماكس شافيل ، " اقلية مؤلفة من شخص واحد " في ميرز ، المصدر السابق، ص ١٦-٥٥. وحول روجر وليامز انظر:

Kenneth C.Davis, Don't Know Much About History, Harper Collins 2004, PP.35-36.

(2) Carman and Syrett, Op. Cit., P.26.

واسماه مين ، لكن الاثنين اخفقا في تطوير الاستيطان في منطقتيهما الامر الذي مكن بعضاً من سكان ماساتشيوستس ممن يعتنقون معتقدات مختلفة من الاستيطان فيهما فمهد ذلك لاستيلاء ما ساتشيوستس عليهما في المدة ١٦٤١-١٦٤٣ وظلت المنطقتان تابعتين لماساتشيوستس حتى عام ١٦٧٩ ففي تلك السنة انفصلت نيوهامبشير واصبحت مستعمرة ملكية قائمة بذاتها، اما مين فلم تنفصل الا في عام ١٨٢٠ (١).

ادى توسع الاستيطان في نيوانجلند إلى الاصطدام بالهنود الذين انبروا للدفاع عن ارضهم التي كان المستوطنون يحاولن الاستيلاء عليها فدفع ذلك من جهة وعداء الهولنديين المتواجدين في نيو امستردام من جهة اخرى المستوطنين إلى الاعتقاد بضرورة توحيد جهودهم للوقوف بوجه هذه الاخطار فظهر نتيجة لذلك اتحاد نيوانجلند New England Confederation الذي ضم ماساتشيوستس وبلايموث وكونيكتكوت ونيوهافن . لقد تأسس هذا الاتحاد في ١٦٤٢ وظل قائماً حتى عام ١٦٨٤ (٢) .

في هذه الاثناء استولى الانجليز على مستعمرة هولندا الجديدة كما ذكرنا سابقاً ومنحها الملك إلى أخيه دوق يورك الذي اطلق عليها اسم نيويورك وبذلك اصبحت مستعمرة انجليزية بعد ان كانت مستعمرة هولندية واخذت بالنمو السريع وازدهرت فيها الزراعة وتجارة الفراء وساعدت على ذلك سهولة النقل في نهر هدسن فأخذ سكانها بالتزايد حتى بلغ عددهم في ١٦٩٦ حوالي ثلاثين ألف نسمة(٣).

(1) Carman and Syrett, Op. Cit., P.26.

(2) John D. Hicks, The Federal union, A History of the United States to 1885, P.36; Efimov, Tam zhe str. 45-46.

(3) United States Information Service, (ed.), An Outline of American History n.p.n.d.P.16.

وقام دوق يورك بفرض سلطته على المستوطنات التي أسسها الألمان والسويديون في المنطقة التي تؤلف ولاية ديلاوير في الوقت الحاضر، ثم عمد في ١٦٨١ إلى وضع الكونتيات السفلى الثلاث، وهو الاسم الذي كان يطلق على ولاية ديلاوير الحالية، تحت سلطة بنسلفانيا. وفي ١٧٠٣ اصبحت ديلاوير مستعمرة قائمة بذاتها لها جمعيتها الخاصة لكنها ظلت تحت السلطة العليا لمالك بنسلفانيا حتى قيام حرب الاستقلال (١).

قام دوق يورك ايضاً بمنح الأراضي المحاذية لنهر ديلاوير إلى شخصين من اصدقائه هما لورد بيركلي Berkely وسير جورج كارتيريت Carteret وكان هذا الاخير حاكماً لجزيرة جيرسي فسمى المنطقة نيوجرسي نسبة اليها وانقسمت في البداية إلى قسمين هما : نيوجرسي الشرقية ونيوجرسي الغربية . وفي ١٧٠٢ اعيد توحيد القسمين والفت منهما مستعمرة ملكية هي مستعمرة نيوجرسي (٢).

اما مستعمرة ميريلاند التي اطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى الملكة الامبراطورية ميري تيودور (٣) فكان صاحب مشروع تأسيسها جورج كالفيرت (لورد بالتيمو) الذي كان واحداً من انشط انصار الملك شارل الأول في البرلمان، وكان كاثوليكيا استقال من منصبه ووجه اهتمامه نحو تأسيس مستعمرة في

(1) Karman and Syrett, Op. Cit., PP.27-28.

(2) Perkins/ van Densen, Op. Cit., PP.17-18; Davis, Op. Cit., P.39.

(٣) تولت العرش الانجليزي في المدة ١٥٥٣-١٥٥٨. كانت شديدة التعصب للمذهب الكاثلويكي وقد اعادته إلى انجلترا في ١٥٥٤ بعد ان كان ابوها هنري الثامن قد فصل الكنيسة الانجليزية عن كنيسة روما. وقد اقترنت اعادة الكاثوليكية إلى انجلترا بموجه اضطهاد عنيفة ضد انصار الاصلاح الديني استحقت ميري بسببها لقب " ميري الدموية " .

أمريكا " يستطيع اخوانه في المعتقد [الكاثوليك] ان يذهبوا اليها على امل العيش بسلام " (١) ذلك ان الكاثوليك في انجلترا كانوا انذاك يعانون من قوانين صارمة سنتها الحكومة ضدهم في تلك المرحلة. وقد حصل جورج كالفيرت من الملك على براءة تمنحه ارضاً على جانبي خليج تشيسابيك لكنه توفي في نيسان ١٦٣٢ قبل ان تصدر البراءة رسمياً، ولهذا فانها صدرت باسم ابنه سيسيليوس كالفيرت (لورد بالتيمور الثاني) وذلك في حزيران ١٦٣٢ فقام هذا بتأسيس المستعمرة.

وكان الوضع مشابها لذلك بالنسبة لتأسيس مستعمرة بنسلفانيا التي اسسها وليم بن إذ كان هذا ينتمي إلى جماعة دينية اسمها جماعة الاصحاب Quakers وهي جماعة تأسست في انجلترا عام ١٦٢٤ وعرفت بحب السلم والدعوة له وتطلب مبادؤها من الاعضاء ان لايحاربوا ولايؤيدوا الحرب (٢) . وقد منح الملك شارل الثاني في ٤ آذار ١٦٨١ عائلة بن التي كان التاج مديناً لها بمبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمن مقداره ١٦ الف جنيه استرليني ، براءة بامتلاك الأرض الأمريكية الواقعة بين دائرتي عرض ٤٠° و ٤٣° شمالاً في مقابل ذلك الدين. وفي تشرين الأول من السنة التالية سافر بن إلى أرضه تلك وأسس هناك مدينة فيلادليفيا وقد صاحبته إلى هناك مجموعة من المستوطنين من طائفة الكويكرز التي احتلت في المستوطنة الجديدة وضعاً سائداً كالذي احتله الكاثوليك في ميريلاند . بعد ذلك بدأ المهاجرون يتوافدون على المستعمرة الجديدة بحيث بلغ عددهم فيها بعد سنة من مجيء بن اليها ما يقرب من أربعة آلاف أوربي هم

(1) A.C.Mclanghlin , A History of the American Nation, New York-Chicago 1913, P.41.

(٢) ستيفن فنسنن بنيه، أمريكا، ترجمة : عبد العزيز عبد المجيد، القاهرة ١٩٤٥، ص٣٣.

بالموجة الأولى من الهولنديين والفنلنديين والسويديين (١) . وقد اصبح للهجرة الألمانية فيما بعد دور كبير إلى جانب الكويكرز الانجليز في استيطان هذه المنطقة التي اصبحت تعرف ببنسلفانيا نسبة إلى لقب وليم .

اما بالنسبة للكارولينيتن الشمالية والجنوبية اللتين سميتا كذلك نسبة إلى الملك شارل الثاني فقد اختلف الوضع عما كان عليه بالنسبة لميريلاند وبنسلفانيا. لقد منح الملك الانجليزي في ١٦٦٣ ثمانية من الارستقراطيين ذوي النفوذ في بلاطه براءة باستيطان المنطقة الواقعة بين دائرتي عرض ٢٩° و ٣٦,٣٠° شمالاً وكان هؤلاء يأملون في تحقيق فوائد من استغلال هذه المنطقة وفق الأسلوب الاقطاعي. وقد وضع في انجلترا خصيصاً لهذا الغرض دستور خاص اطلق عليه اسم " الانظمة الاساسية" نص على انشاء نظام هرمي وفق الاسلوب الاقطاعي المعروف سواء في النظام السياسي في المستعمرتين أو في توزيع واستغلال الأرض فيهما . وعلى هذا الاساس بدأالاستيطان في المنطقة عام ١٦٧٠ فانشئ فيها مركزان الأول في البيمارلي ساوند Albemarle Saund والآخر في تشارلستون Charleston وقد تطور هذان المركزان فيما بعد واصبحا مستعمرتين منفصلتين هما كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية ففي ١٦٩١ عين في كارولينا الشمالية شخص لادارتها باعتباره نائباً لحاكم تشارلستون وظل الامر كذلك إلى عام ١٧١٢ حين عين حاكم مستقل لكارولينا الشمالية علماً بان التسمية شمالية وجنوبية شاعت اعتباراً من العام ١٧٠٠ . وفي ١٧١٩ تمرد سكان كارولينا الجنوبية على سلطة مالكي المستعمرة وأصبحت

(1) Fursenko, Tam zhe str. 18.

وبلغ عدد سكان فيلادليفيا في ١٧٠٠ أكثر من ثمانية عشر الفا ازدادوا حتى بلغوا في ١٧٧٦ نحو أربعين الفاً – جون ستيل جوردون، إمبراطورية الثروة، التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية ، ترجمة محمد مجد الدين باكير، الجزء الأول ، عالم المعرفة ٣٥٧ نوفمبر ٢٠٠٨ ، ص ٥٥.

منطقتهم مستعمرة ملكية قائمة بذاتها. وبعد ذلك بتسع سنوات جعلت كارولينا الشمالية التي كان اغلب سكانها مستوطنين زحفوا اليها من فرجينيا مستعمرة ملكية ايضاً [1] . وقدر عدد سكان الكاروليتين الشمالية والجنوبية في ١٧٥٠ باكثر من مائة الف نسمة [2].

اما جورجيا فقد اسسها احد اعضاء البرلمان الانجليزي عن حزب التوري هو جيمس اوغليثورب Oglethorpe وتسعة عشر شخصاً اخرون منحهم الملك جورج الثاني في ٢٠ حزيران ١٧٣٢ براءة جعلتهم قيمين على استيطان المنطقة الواقعة بين نهري سفانا Savannah والتاماها Altamaha لمدة احدى وعشرين سنة. وكانت هذه المنطقة في الاصل جزءاً من كارولينا الجنوبية احتفظ به التاج عندما تخلى مالكو الكاروليتين عنهما في ١٧٢٩.

لقد اراد اوغليثوب ، الذي عرف باهتمامه بمشكلة الفقر في انجلترا ورغبته في التفريج عن الفقراء، وزملاء له ان يجعلوا المنطقة مستقراً للاشخاص الذين سجنوا في بريطانيا بسبب عدم قدرتهم على ايفاء الديون المستحقة عليهم، وعلى هذا الاساس ابحر اوغليثورب بنفسه على رأس أول مجموعة من المستوطنين إلى هناك واسس سفانا في ١٢ شباط ١٧٣٢ . ولابد من الاشارة إلى ان الحكومة البريطانية كانت لها من وراء تأسيس جورجيا اهداف اخرى غير الاهداف الانسانية التي توخاها اوغليثورب وزملاؤه. لقد كانت تريد ان تجعل من جورجيا حاجزاً امام المستعمرات الاسبانية الواقعة إلى الجنوب منها ووسيلة للتقليل من كلفة اعالة الفقراء في بريطانيا نفسها. على اية حال اخذت جورجيا

(1) Perkins/ Van Deusen, Op. Cit., PP.19-20; Fursenko Tan zhe str. 19; Carman and syrett, Op. Cit., P.27; C.P.Nettels; Roots of the American Civilization, A.History of Colonial life, New York 1940, PP.186-188.

(2) United States Information Service, Op. Cit., P.18.

بعد تأسيس سفانا بالنمو ولكن ببطء شديد فلم يكن فيها من السكان حين اصبحت مستعمرة ملكية في عام ١٧٥١ الا أقل من تسعة آلاف شخص فقط [1].

بقيام جورجيا يكون عدد المستوطنات الانجليزية في أمريكا الشمالية عدا جزر الهند الغربية قد بلغ ثلاث عشرة مستعمرة احتلت المنطقة المحصورة بين جبال ابلاش غرباً وساحل المحيط الأطلسي شرقاً وكندا شمالا وفلوريدا جنوباً. وكانت هذه المستعمرات تختلف عن بعضها في طبيعة ارضها وفي نشاطها الاقتصادي وحتى في طبيعة نظام الادارة فيها. ومع ذلك فبالامكان تقسيمها إلى ثلاث مجموعات تضم كل منها مستعمرات تحمل الكثير من اوجه الشبه مع بعضها هي:

١- مستعمرات نيوانجلند وهي ماساتشيوستس ورودايلند ونيوهامشير وكونيكتيكوت.

٢- المستعمرات الوسطى وتشمل بنسلفانيا ونيويورك ونيوجرسي وديلاوير .

٣- المستعمرات الجنوبية وتضم فرجينيا وميلايلاند وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وجورجيا.

ادرك المستوطنون منذ البداية ان الحصول على الثروة في أمريكا ليس سهلاً وانه يتطلب جهداً مكثفاً وعملاً شاقاً لم يكن اغلب المستوطنين مؤهلين له، الا ان الجزء الأغلب من أولئك المستوطنين الاوائل كان يتألف من اشخاص لم يمارسوا العمل الجسدي ولم يكونوا راغبين فيه أتوا إلى العالم الجديد لاعتقادهم بانه يكفي وصولهم اليه لكي يصيبوا الثروة. ولهذا فبدلاً من ان ينصرفوا لبناء البيوت وخزن الغذاء استعداداً لفصل الشتاء، صرفوا الوقت في البحث غير المجدي عن الكنوز والاشياء الثمينة. وكانت النتيجة ان تحرج وضعهم لدرجة

(1) Monris (ed.), Op. Cit., P.76; Perkins/van Deusen, Op. Cit., PP.20-21; Carman and Syrett, Op. Cit., P.27.

كبيرة وماتت اعداد كبيرة من المستوطنين الذين اسسوا جيمستاون في الشتاء الأول الذي مر عليهم في موطنهم الجديد على الرغم من المساعدة التي قدمها لهم الهنود. اما الشتاء الثاني فكان " أسوء من سالفه وعرفه التاريخ باسم " شتاء الموت جوعاً " اكل فيه المستوطنون الفئران والجذور " (١) بل ان احدهم عمد إلى قتل زوجته واكل لحمها (٢) وقد مات خلال ذلك الشتاء اغلب المستوطنين إذ لم يبق منهم الا ستين شخصاً من اصل سبعمائة (٣).

ولم يكن حال مستوطني بلايموث في نيوانجلند بافضل من ذلك فقد جابهوا، كما كان الحال بالنسبة لمستوطني جيمستاون مصاعب جمة قبل ان تتمكن مستوطنتهم من الوقوف على قدميها، وعانوا الكثير من العوز والحرمان ومات الكثير منهم بسبب ذلك إذ لم يبق من المستوطنين الذين وصلوا إلى هناك أول مرة وعددهم مائة واثنين (٤) الا نصفهم لكن حصاد الموسم الأول حسن وضعهم (٥) وقد اقاموا بهذه المناسبة في نهاية العام الأول من وجودهم على الأرض الأمريكية احتفالاً اصبح اساساً لعيد الشكر Thanksgiving الذي يحتفل به الأمريكيون في الوقت الحاضر.

لقد ظهرت منذ الخطوات الأولى للاستيطان الانجليزي في أمريكا الحاجة إلى القوة العاملة التي بدونها لايمكن ان يحقق رجال الاعمال الانجليز الارباح التي كانوا يأملون بالحصول عليها من وراء عمليات الاستيطان. وقد ظلت

(١) بويس ب . رايت، المصدر السابق ، ص ١٧.

(٢) جون ستيل جوردون، المصدر السابق ، ص ٢٦.

(٣) Carman and Syrett, Op. Cit., P.24 ; Fursenlco, Tam zhe str. 12.

(٤) يذكر جورج ويلسون ان عددهم كان مائة وأربعة " ٥٠ رجلاً وعشرين امرأة وعدداً من الاطفال يبلغون الـ ٣٤ ومنهم من لم يبلغ الفطام " . جورج ف. ويلسون، "بذرة الديمقراطية الخصبة " . في ميرز ، المصدر السابق، ص ٢٤.

(5) Nettels, Op. Cit., PP.154-158.

الحاجة إلى القوة العاملة المشكلة الأهم في أمريكا طيلة مرحلة الاستيطان. وقد تم حل المشكلة في بداية الأمر عن طريق الهجرة وكانت الأوساط المتنفذة في انجلترا تشجع الهجرة إلى العالم الجديد لأنها رأت فيها وسيلة لتأمين الأيدي العاملة للمستوطنات من جهة وطريقة للتخلص من العناصر المشاغبة في انجلترا نفسها من جهة اخرى ، ذلك ان التطور الاقتصادي في انجلترا آنذاك قد ادى إلى زيادة جماهير الفقراء والعاطلين عن العمل فعملية " التسييج " جردت جماهير واسعة من الفلاحين من الأرض، وافلس نتيجة لتطور الرأسمالية في انجلترا الكثير من الحرفيين . ولم تستطع اعداد كبيرة من الحرفيين الذين اصابهم الافلاس والفلاحين الذين فقدوا الأرض ان يجدوا لهم عملاً في مؤسسات الانتاج الحديثة التي اقيمت وفق الأسلوب الرأسمالي فبقي جزء كبير منهم دون عمل. وبسبب اتساع الفقر وزيادة العاطلين عن العمل ازدادت وتواترت في انجلترا في القرن السابع عشر الاضطرابات، وكان من نتيجة ذلك ان " ساد اعتقاد واسع بان انجلترا قد اشبعت بالسكان وان انتقال نسبة من سكانها إلى ماوراء البحار سيكون امراً مفيداً للبلد وللافراد " (١). ان الرأسماليين وملاك الأرض الانجليز آملوا ان تؤدي هجرة هؤلاء إلى العالم الجديد إلى التخلص منهم ومن المشاكل التي يسببونها.

لقد زادت البطالة وانتشر الفقر في انجلترا آنذاك بدرجة لم يسبق لها مثيل. وقد عبر عن ذلك أحد كبار الساسة الانجليز قائلاً " ان هناك الافا كثيرة من السكان باعوا كل ما يملكون ، بما في ذلك القش الذي كانوا يستخدمونه فراشاً، ولم يستطيعوا الحصول على عمل لكسب أي قدر من المال . ان لحم الكلاب يعد طعاماً لذيذاً بالنسبة لهؤلاء" (٢). لهذا لم يكن من المستغرب ان تلاقي دعوات

(1) Perkins/ Van Deusom , Op . Cit., P.11.

(2) Quoted in ; Carman and Syrett, Op. Cit., P.28.

السفر إلى أمريكا صدى ايجابياً بين جماهير الفقراء والعاطلين عن العمل الذين كانوا يتطلعون إلى السفر إلى العالم الجديد علهم يجدون فيه مالم يجدوه في وطنهم، فنجدهم يستجيبون لدعوات الهجرة ويوقعون مع الذين يدعونهم اليها عقوداً للسفر إلى أمريكا والعمل في المستعمرات الانجليزية هناك. وبما ان اغلبية من كان يريد الهجرة لم يكونوا يملكون الأموال اللازمة، لذلك ، فانهم كانوا مضطرين لان يوقعوا مع التجار واصحاب السفن عقوداً كانت لصالح هؤلاء الأخيرين، إذ كان على المهاجر الذي يوقع مثل هذا العقد ان يعمل عند صاحب العمل مدة تتراوح بين السنتين والسبع سنوات في وضع يماثل وضع العبد، حيث كان يلزم بالقيام باي عمل يحدده صاحب العمل مقابل الاموال التي صرفت على سفره إلى أمريكا . لقد كان مثل هؤلاء العمال يسمون " خدم التعاقد " Indentured Servents ، وكانوا بعد أن يصلوا إلى أمريكا يصبحون موضوعاً للمساومة بين التجار واصحاب السفن من جهة ورجال الاعمال المحليين من جهة ثانية [1] .

وكان هناك صنف اخر من العبيد البيض المهاجرين هم الاشخاص الذين ادينوا في انجلترا بمختلف انواع الجرائم وحكم عليهم بالنفي والعمل في المستعمرات . وقد كان القانون الانجليزي انذاك شديد القسوة، يعاقب بالنفي والاشغال الشاقة على جرائم بسيطة كسرقة الملابس واحراق بيادر الغلال ومقاومة موظفي الكمارك عند جباية الضرائب وكثير من المخالفات المشابهة. ولم يكن من النادر ايضاً ان ينقل إلى المستعمرات الاشخاص الذين حكم عليهم بالاعدام، وعفا عنهم الملك لكي يذهبوا إلى هناك.

كان عدد خدم التعاقد في المستعمرات يتزايد باستمرار بسبب زيادة الطلب على قوة العمل هناك ، وزيادة الطلب هذه متأتية من وفرة الأرض

(1) Fursenko, Tam zhe str. P.14.

وسهولة الحصول عليها إذ ادى ذلك إلى ان يكون الطلب على القوة العاملة أكثر من العرض فاصبح العمل المأجور مكلفاً لاصحاب العمل الذين توجهوا بسبب ذلك الى التوسع في استخدام خدم التعاقد. وهكذا تزايد عدد هؤلاء بشكل ظاهر، ففي نهاية المرحلة الكولنيالية كان ثلاثة من كل اربعة من السكان في بنسلفانيا وميريلاند وفرجينيا من خدم التعاقد أو كانوا في السابق منهم.

غير ان الهجرة رغم تزايدها لم تستطع ان تسد حاجة المستعمرات إلى اليد العاملة، بشكل كامل، وظلت الحاجة إلى القوة العاملة قائمة بل كانت تتزايد مع الوقت. وقد حاول المستوطنون في أول الامر ان يسدوا هذه الحاجة عن طريق استعباد الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين، لكن محاولاتهم تلك لم تصب النجاح فتحولوا إلى استعباد الزنوج الذين أخذوا يجلبوهم من افريقيا [1].

لقد كان استخدم العبد الزنجي مرغوباً من المستوطنين أكثر من استخدام خدم التعاقد ذلك ان اعالة الاخير كانت تكلف أكثر بمرتين من اعالة الزنجي، فضلاً عن ان العبد الزنجي يبقى ملكاً لصاحبه مدى الحياة في حين يصبح خادم التعاقد حراً عند انتهاء مدة العقد، علماً بان الاثنين يجري شراؤهما بالثمن نفسه.

لهذه الأسباب أخذت عبودية الزنوج الافارقة تحل بالتدريج محل مؤسسة عبودية البيض.

لكن عبودية الزنوج لم تنتشر بالمقدار نفسه في جميع المستعمرات الانجليزية. لقد سادت في فرجينيا وفي المستعمرات الجنوبية الأخرى وهي ميريلاند وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وجورجيا، المزارع الكبيرة التي كان يزرع فيها التبغ والنيلة والرز، وهي مزروعات تتطلب ايدي عاملة رخيصة

(1) وصلت أول وجبة من العبيد الزنوج من افريقيا عام ١٦١٩، جلبها تجار العبيد الهولنديون إلى فرجينيا.

Dementev, Op. Cit., P.234;

فرانكلين أشر ، موجز تاريخ الولايات المتحدة، بيروت ١٩٥٤، ص ١٧.

الاسر الذي جعل عبودية الزنوج تنتشر في هذه المستعمرات بدرجة كبيرة، بحيث
اصبح الجنوب منذ ذلك الوقت منطقة يتميز تطورها الاقتصادي بعدد من الميزات
الخاصة بها.

اما المستعمرات الانجليزية في الشمال فقد سارت في طريق تطور
مغاير، فمن الشائع كما اشرنا اعتبار نيوانجلاند موطناً للتقاليد الديموقراطية
الأمريكية، وذلك بسبب ميثاق مايفلادر وعدد من العوامل الموضوعية المتعلقة
بظروف الاستيطان في الشمال والخصائص الجغرافية التي يمتاز بها الشمال
والتي تختلف كثيراً عن الخصائص التي يتميز بها الجنوب. فقد انتشر في
الجنوب الانتاج الواسع للمحاصيل الزراعية التي كان الطلب عليها كبيراً في
السوق الأوربية فادى ذلك إلى قيام المزارع الواسعة التي يستخدم فيها عمل
العبيد الزنوج فهيأ ذلك الظروف لسيادة الارستقراطيين اصحاب المزارع
الواسعة. اما في الشمال فقد تفوقت ، بخلاف الجنوب استثمارات المزارعين
الصغيرة والمتوسطة، كما شاع هناك امتلاك الأرض لا استئجارها، ففي اواسط
القرن الثامن عشر كانت نسبة المستأجرين إلى المالكين في الشمال ١ إلى ٥٠ [1]
. يضاف إلى ذلك ان ملكية الأرض الجماعية التي قامت في الشمال في سنوات
الاستيطان الأولى ظلت قائمة بعد ذلك لمدة طويلة نسبياً، وهذا كله يعني ان ملكية
الأرض كانت أكثر ديموقراطية في الشمال منها في الجنوب . يضاف إلى ذلك
ان سكان الشمال اوجدوا مؤسسات جماعية يشاركون من خلالها في تصريف
الكثير من الأمور العامة، ونعني ما عرف باجتماعات الأرياف واجتماعات المدن
Town Meetings ، وقد ظلت هذه المؤسسات قائمة حتى الثلث الاخير من
القرن الثامن عشر. وكل ذلك من شأنه، دون شك ان يشيع الديموقراطية في

(1) Fursenko, Tam zhe str. P.16.

الحياة السياسية في نيوانجلند ويؤلف مبرراً لاعتبار هذه المنطقة مهداً
للديموقراطية الأمريكية .

ومع ذلك ففي الشمال ايضاً كان هناك الكثير من المستوطنين الذين
لايملكون ارضاً وليس لهم الحق في المشاركة في الحياة السياسية . كما ان حرية
التعبير والمعتقد التي سعى مؤسسو مستعمرة بلايموث للحصول عليها عندما
كانوا في انجلترا كانت كما ظهر من ممارساتهم في هذه المستوطنة وفي
ماساتشوستس وحيدة الجانب فقد اخضعت جميع الامور والمواقع الاقتصادية
والسياسية هناك لسيطرة الكنيسة السائدة وتفاقم الخلاف بين هذه الكنيسة واتباع
المعتقدات الأخرى واصبح من يخالف معتقدات الكنيسة السائدة يتعرض
لملاحقات لاتقل قسوة عن الملاحقة التي كان البيورتان يتعرضون لها في انجلترا
واضطر الكثير من الذين لاينتمون إلى الكنيسة السائدة إلى البحث عن ملاذ
جديد ، وكانت النتيجة ان ظهرت مستوطنات جديدة مثل رودايلند وكنيكتكيرت
كما ذكرنا.

الفصل الرابع

الأحوال الاقتصادية في المستعمرات الانجليزية

ملكية الأرض والزراعة:

بعد النجاح الذي تحقق بتأسيس جيمستاون اخذ افراد الحاشـية وانـصار الملك السياسيون والاغنياء الذين كان التاج يلجأ إلى الاقتراض منهم في الازمات يسعون للحصول على براءات من الملك تخولهم امتلاك اراضـي فـي أمريكـا وتأسيس مستوطنات فيها. وكان الملك الانجليزي يتصرف بالارض الأمريكيـة كتصرفه بارض انجلترا ، وفق القاعدة التي ينص عليها القانون الانجليزي والتي تقضي " بان الأرض التي لا مالك لها تعتبر ملكاً للملك " [1]، فيمنح لمن يـشاء، براءات بامتلاك اجزاء منها متجاهلاً ان الأرض التي يمنحها لاقامة مـستعمرات فيها تقطنها قبائل من الهنود الحمر كانت قد سكنت هناك قبـل قـدوم الانجليـز بالاف السنين.

وهكذا اصبح العديد من الارسـتقراطيين واصـحاب الثـروة مـالكين لمستعمرات جديدة أسسوها في العالم الجديد فحلوا محل الشركات التجارية التـي سبق ذكرها والتي جرى الغاؤها بعد ان اصبحت مشروعات غير مربحة.

وتعد مستعمرة ميريلاند نموذجاً للمستعمرات التي تأسست بهذه الطريقـة فقد رأينا كيف ان اللورد بالتيمور قام بتأسيسها بعد حصوله على البراءة اللازمة لذلك من الملك . وقد منحت البراءة بالتيمور حقوقاً وامتيازات واسعة لم يـسبق الملك الانجليزي ان منحها لاي كان من قبل. لقد كانت هذه الحقوق واسعة إلـى

---

(1) ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكيـة ، نقلـه إلـى العربية مصطفى عامر، دار مصر للطباعة ، د.ت ، ص ١٥.

درجة بحيث جعلت ميريلاند اشبه بالامارة المستقلة لاترتبطها بالتاج الانجليزي الا التزامات السيادة الإقطاعية، فقد اعطت بالتيمور الحق في سن القوانين ومنح المناصب والألقاب وتعيين الحكام والقضاة وانشاء وحدات ادراية واعلان الحرب وعقد الصلح واعلان الاحكام العرفية، واصبح بالتيمور بموجبها المالك المطلق للأرض التي منحت له يحق له التصرف بها بالشكل الذي يراه بما في ذلك حقه في منحها لمن يشاء من الاشخاص على ان يلتزم الشخص الذي تمنح له بأداء الواجبات الإقطاعية التي يراها بالتيمور مناسبة كالاتاوات الإقطاعية والريع وغير ذلك. وقد حصل بالتيمور على كل هذه الحقوق مقابل اتاوة سنوية رمزية هي عبارة عن سهمين من سهام الهنود كان عليه ان يرسلها في عيد الفصح من كل سنة إلى مقر الملك الانجليزي في قلعة وندسور تأكيداً لتبعيته له بالاضافة إلى التزامه باقتطاع خمس ما يستخرج من الذهب لصالح التاج في حالة اكتشاف الذهب في تلك الأرض [١] .

عمد بالتيمور إلى تقسيم أراضي ميريلاند إلى ٦٠ وحدة ادارية اطلق على كل منها اسم " Manor " وهو الاسم الذي كان يطلق على الوحدات الإدارية في النظام الاداري الانجليزي القديم [٢] ، وشكل في كل من هذه الوحدات محكمة بارونات تتألف من المعمرين الاحرار ومن صلاحيتها النظر في النزاعات التي تحصل حول الأرض [٣].

(1) Commager , Op. Cit., PP.21-22.

انظر ايضاً:

W.H.Brown, Maryland. The History of A palatinate, Boston, 1888 , PP.18-19; M.P.Andrews, The Founding of Maryland, New York. London, 1933, PP.36-46.

(٢) الفرق بين المانور وعزبة الارض العادية هو ان مالك المانور كانت له سلطة قضائية.

(3) Fursemko, Tam zhe str. 18.

اراد بالتيمور ان يشجع الناس على الاستيطان في ميريلاند فعرض على الراغبين في السكن فيها ١٠٠ ايكر من الأرض لرئيس العائلة و١٠٠ ايكر لزوجة ولكل واحد من الخدم بالإضافة إلى ٥٠ ايكراً لكل طفل ، وكان يمنح ١٠٠٠ ايكر من الأرض زادها فيما بعد إلى ٢٠٠٠ ايكر لكل من يجلب معه خمسة مهاجرين [١]. لقد شجع بالتيمور بشكل خاص الكاثوليك شركاءه في العمل على الاستيطان في ميريلاند وبالفعل فقد كان أكثر الاعيان الذين ذهبوا إلى هناك في أول الامر من الكاثوليك حيث احتلوا هناك وضعاً سائداً.

لقد كان بالتيمور يتمتع في ميريلاند بسلطة غير محدودة تقريباً والارض التي كان يوزعها على المعمرين ظلت من الناحية القانونية ملكاً له لان المعمرين كانوا يستلمونها منه على أساس الإيجار الوراثي وكانوا ملزمين بان يدفعوا له في كل سنة ايجارا ثابتا كان في البداية عينياً مقداره ٢٠ باوناً من الحنطة عن كل ١٠٠ ايكر من الأرض ثم اصبح نقدياً مقداره ٢ أو ٤ شلنات عن كل ١٠٠ ايكر من الأرض [٢].

كان الوضع مشابهاً لذلك في بعض المستعمرات الأخرى التي تأسست بعد ميريلاند ولاسيما في بنسلفانيا التي كانت ملكاً لمؤسسها بن . وقد سعى هذا الاخير لجلب اليد العاملة لمستعمرته فوضع بياناً عن الاقليم الذي يمتلكه في أمريكا وقام بطبعه ونشره على نطاق واسع في انجلترا واقطار القارة الأوربية الأخرى واصدر مجموعة من الشروط والامتيازات تتعلق بتنظيم استغلال الأرض والعلاقة بالهنود ويغير ذلك من المسائل [٣] ، ثم قام برحلة إلى المانيا ونشر هناك بين

(1) Fursemko, Tam the str. 18.

(2) Andrews, Op. Cit., P.173; Fursemko, Tam zhe str. 18.

(٣) انظر ذلك في :

Commager , Op. Cit., PP.35-36.

الفلاحين والحرفيين اعلانات حاول فيها ان يغريهم بالهجرة إلى أمريكا والاستقرار في مستعمرته حيث، وعد كل من يهاجر إلى أمريكا ويستقر في بنسلفانيا بـ ٥٠٠ ايكر من الأرض. وقد وافق بعض الفلاحين والحرفيين على الهجرة إلى أمريكا تخلصاً من الاستغلال الواقع عليهم آنذاك وتسلموا هناك بالفعل الأرض التي وعدوا بها لكن كان عليهم ان يدفعوا لمالكها ايجاراً سنوياً نقدياً وعينياً [1].

بهذه الطريقة وباعتماد أساليب دعائية هي " اقرب ما تكون إلى وسائل الدعاية الحديثة " [2] أمن بن لمستعمرته سيلاً من المهاجرين كان يزداد في كل سنة حتى بلغ عدد من استقر هناك في نهاية المرحلة الكولنيالية ٣٠٠٠٠ شخص من مختلف القوميات والعقائد والمهن [3].

لقد كان الدور الذي اداه بن في عملية الاستيطان كبيراً ومؤثراً حتى ان احد الباحثين كتب عن ذلك يقول ان " التراث الذي خلفه [بن] لمستقبل الولايات المتحدة كان بالغ الأهمية، لايدانيه من [كذا] اسداه أي مستوطن واي انجليزي اخر من مصلحي القرن السابع عشر " [4].

كان الوضع في الكارولينيتين الشمالية والجنوبية يختلف عما هو عليه في ميريلاند وبنسلفانيا، فقد حاول مالكو هاتين المستعمرتين زرع النظام الاقطاعي فيهما لكن محاولاتهم كان نصيبها الفشل وذلك لوجود اراضي شاغرة واسعة غير

---

(1) Fursenko, Tam zhe str. 19.

(٢) فرانسيس وايتني، موجز التاريخ الأمريكي، تعريب مركز الاستعلامات الأمريكية في القاهرة، القاهرة، د.ت، ص ١٣.

(3) United States Information Service, Op. Cit., P.14.

(٤) كارل بريدن " وليم بن ... مؤسس مراكز الاستيطان " في مبرز ، المصدر السابق، ص ٤٧.

[illegible] الأمر الذي كان يعزز لدى المعمر نزعته لعدم الاعتراف بملكية أي كان الأرض التي يزرعها غير ملكيته هو فكيف يمكن ربط الفلاح بالارض في الوقت الذي كانت لديه امكانية الانتقال إلى ارض غير مستغلة فيصبح مزارعاً حراً. والواقع ان هذه الإمكانية كانت السبب الأساس الذي كان يجبر الفئات الحاكمة في المستعمرات على انتهاج سياسة حرة وعلى التساهل في الأمور الخاصة بملكية الأرض وفي الشوؤن الدينية وغير ذلك من الامور " تبعاً لمطالب الشعب التي يؤيدها التهديد الصريح أو الضمني بالهجرة الجماعية إلى المناطق الخالية " [1] . ان ذلك بالذات كان العامل الاساس في فشل محاولة زرع، الأنظمة الإقطاعية في الكارولينيتين لانه كان يجبر العناصر الإقطاعية على التراجع عندما تتأزم الامور بينها وبين المعمرين ولهذا فان التبعية الاقطاعية كانت اسمية فقط.

والواقع ان النزاع بين المعمرين والعناصر الإقطاعية كان يؤلف جانباً هاماً من جوانب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات قبل حرب الاستقلال، كما ان الصراع مع المعمرين ومحاولة اخضاعهم كان يحتل مكاناً مهماً في سياسة انجلترا والسلطات الكولنيالية في المستعمرات على السواء، وكانت الحكومة الانجليزية حريصة على الدوام على الانحياز إلى المالكين ضد المعمرين، ففي ١٦٨٣ مثلاً منعت الافراد من شراء الأرض من الهنود وهدفها من ذلك ايقاف الانتقال نحو الغرب، وفي ثلاثينيات القرن الثامن عشر اصدر المجلس الملكي الاعلى مرسوماً منع فيه الانتقال الكيفي إلى مناطق جديدة والاستيلاء على الأرض والخروج خارج نطاق المستعمرات الحدودية [2].

---

(1) فرنسي وايتني ، المصدر السابق ، ص ٢٣ . انظر ايضاً:

Perkins/ Van Deusen, Op. Cit., P.21; United States Information Service, Op. Cit., P.18.

(2) Fursenko, Tam zhe str. 19.

وكانت السلطات الرسمية في المستعمرات تسعى جاهدة لتنفيذ هذه القرارات والمراسيم مما يجعلها في مواجهة المزارعين الامر الذي كانت له انعكاساته على الاستقرار في المستعمرات.

وهكذا حفلت المستعمرات بنزاعات حادة حول الأرض بين المزارعين ومالكي الأرض ، وكان للاحداث الثورية التي جرت في انجلترا اثر كبير في اذكاء الصراع بين الجانبين (١) ، حيث أدت إلى تعزيز واتساع الحركة الشعبية في المستعمرات ضد العناصر الارستقراطية المهيمنة. وقد اتضح ذلك بشكل خاص في ميريلاند التي اقترنت فيها حركة الجماهير من اجل الغاء الايجار بنضالها من اجل اشاعة الديمقراطية في حكم المستعمرة لاسيما وان آل بالتيمور حاولوا " ان يجعلوا من ميريلاند بلاداً ارستقراطية بالمعنى التقليدي كما كانوا يحلمون بحكمها والتمتع فيها بما يتمتع به الملوك من امتيازات وحقوق " (٢). لكن آل بالتيمور لم يستطيعوا تحقيق أحلامهم هذه فقد اضطروا تحت ضغط الحركة الشعبية إلى الموافقة على ان يتولى بروتستانتي حكم المستعمرة. وفي المرحلة المحصورة بين ١٦٥٤ و ١٦٨٩ شهدت ميريلاند خمسة صدامات مسلحة، وجرد آل بالتيمور خلال هذه المدة مرتين من حقهم في حكم المستعمرة وبالتالي من حقهم في تسلم إيجار الأرض، ولكنهم استطاعوا في المرتين استعادة سلطتهم

---

(١) حول تأثير الثورة والحرب الأهلية في انجلترا على أوضاع المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد. انظر:

Efimov, Tam . zhe str. 45-50.

وحول تأثير الثورة الجليلة على المستعمرات انظر:

G.H.Guttridge, The Colonial Policy of William III in America and the west Indies, Cambridge 1922, PP.1-40.

(٢) فرنسيس وايتني، المصدر السابق ، ص ٢١.

وظلوا حتى حرب الاستقلال يملكون ميريلاند ويتسلمون إيجار الأرض وغيره من الاتاوات (١).

وكانت المعارضة للسلطة الاقطاعية اكثر شدة من ذلك في الكارولينيتين، حيث تركز الكفاح هناك ضد تطبيق " الانظمة الاساسية " وكان مما ادى إلى اتساع هذا الكفاح ان بعض اجزاء الأراضي التي منحت من قبل الملك لمستوطني الكارولينيتين كانت قد سكنها قبل ذلك مستوطنون من فرجينيا ، ولم يقبل هؤلاء الاعتراف بالمالكين الجدد. على كل حال كانت المعارضة " للانظمة الأساسية " شديدة إلى درجة اضطرت السلطات معها إلى الغاء تلك الانظمة في سنة ١٦٩٨، ولكن ذلك لم ينه الصراع القائم في المستعمرتين.

والواقع ان الصراع كان ظاهرة عامة في جميع المستعمرات فحتى بنسلفانيا التي تميز مؤسسها بن بنزعته الانسانية لم تخل منه إذ لم تلبث المعارضة لعائلة بن ان قامت واخذت بالاتساع إلى درجة تحولت إلى انتفاضة في عام ١٧٦٣ (٢)، قام بها السكان الذين ارسلوا بنيامين فرانكلين إلى انجلترا في ١٧٦٥ ، ليطلب الغاء ملكية آل بن للمستعمرة (٣).

لم ينته الصراع بين مالكي الأرض ومستأجريها بل تعقد اكثر بسبب مطالبة سكان المستوطنات الحدودية بتنظيم حماية كافية لها ضد هجمات الاسبان في الجنوب وضد الهنود في الغرب.

ان تطور الاستيطان كان يتطلب التقدم باستمرار نحو الغرب واشغال اراضي جديدة وكان ذلك يؤدي بالطبع إلى مصادمات مستمرة مع الهنود الذين

---

(1) Fursenko, Tam zhe str. 20.

انظر ايضاً:

Brown, Op. Cit.,

(2) Dementev, Op. Cit., P.233.

(3) E.Wright, Fabric of Freedom 1763-1800, New York 1961, P.4.

كان المستوطنون يستولون على اراضيهم. كانت هذه المصادمات تتحول في بعض الاحيان إلى حروب طويلة بين الجانبين . لقد تميز النزاع بين سكان الحدود والهنود بقسوة شديدة من جانب المستوطنين الذين " حملوا كرها شديدا لسكان البلاد الاصليين ونزعوا دوماً للقضاء عليهم" [١] وارتكبوا ضدهم العديد من المجازر الوحشية.

وطبيعي ان السلطات في المستعمرات كان يهمها لدرجة ما استقرار الوضع عند سكان المناطق الحدودية ذلك ان هؤلاء السكان كانوا يؤلفون حاجزا ضد الهنود، لكن تقدم المستوطنين غرباً وما يؤدي اليه من نزاعات مع الهنود كان يعيق التجار والموظفين عن تطوير تجارة الفراء التي كانت مربحة جدا. يضاف إلى ذلك ان التقدم نحو الغرب والاستيلاء على اراضي جديدة هناك كان يجرد مالكي المستعمرات من امكانية ترسيخ سلطتهم الاقطاعية ومن فرض الانظمة التي يريدونها على سكان مستعمراتهم. ولهذا كانت السلطات ترفض في اغلب الحالات الاستجابة لمطالب المزارعين بشأن تخصيص الاموال اللازمة لادارة الصراع مع الهنود ، فكان ذلك إلى جانب خشونة سكان الحدود ورغبتهم في التخلص من القيود التي تفرضها عليهم السلطة واستعدادهم للدفاع عن حقوقهم ونزعتهم الديموقراطية، كل ذلك جعل الصراع بينهم وبين سلطات المستعمرات يتفاقم ويتسع ويتحول إلى واحدة من أهم الظواهر في حياة المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد في تلك المرحلة، فقد اشتد الصراع في الكارولينيتين مثلاً بين مالكي المستعمرتين وسكان الحدود واستغرق عقوداً عدة من السنين وانتهى في ١٧١٩ بحملة قام بها الحدوديون المسلحون على

---

(١) رولان موسنيه واخرون، تاريخ الحضارات العام، القرن الثامن عشر، عهد الانوار، نقله إلى العربية يوسف داغر، فريدم داغر، الطبعة الثانية ، بيروت – باريس ١٩٨٧، ص ٣٥٠.

عاصمة كارولاينا الجنوبية . وقد ادى هذا الصراع الى جانب عوامل اخرى كما اشرنا الى الغاء " الانظمة الاساسية" وشراء التاج للكارولينيتين من مالكيها وتحويلهما الى مستعمرتين ملكيتين [١].

لكن ذلك لم يغير من الوضع كثيرا إذ تواصل الصراع بين الفئة المتنفذة المسيطرة على المستعمرات وصغار مزارعي الغرب طيلة المرحلة الكولنالية وادى اكثر من مرة إلى ثورات مكشوفة [٢] ، كانت اكبرها انتفاضة ١٦٧٦ في فرجينيا بقيادة ناثانيل بيكون والانتفاضة التي قادها وليم برندركاست في نيويورك في ١٧٦٥-١٧٦٦ وقبلها انتفاضة ليسلر [٣].

وهكذا اصبحت قضية امتلاك الأرض في المستعمرات واحدة من اهم المشاكل القائمة هناك افرزت عدداً من الصراعات والتناقضات كان اهمها التناقض الآخذ بالاتساع بين المحاولات التي تقوم بها السلطة لزرع المؤسسات الاقطاعية والاتجاه العام نحو التطور الرأسمالي وهو الاتجاه الذي ساد في المستعمرات الانجليزية وكان يتقوى ويتعزز بمرور الوقت إلى ان ادى بالنتيجة الى فشل محاولات اقامة انظمة اقطاعية هناك.

ولكن لماذا امكن نقل الاقطاع إلى المستعمرات الفرنسية والاسبانية في العالم الجديد وزرعه هناك ولم تنجح هذه العملية في المستعمرات الانجليزية علماً بان الأرض الشاغرة كانت موجودة ايضاً في كندا والمكسيك وغيرها من المناطق التي استعمرتها فرنسا واسبانيا حيث اقام الفرنسيون والاسبان هناك مزارع واسعة على اسس اقطاعية راسخة وكان مالكو الأرض هناك يتسلمون

---

(١) Fursenko, Tam zhe str. 21.

(٢) انظر امثلة على هذه الثورات في ستيفن فنسنت بنيه ، المصدر السابق، ص ٤٢-٤٣.

(٣) سيأتي الحديث عن هذه الانتفاضات في الفصل القادم.

من المزارعين الايجار الاقطاعي المألوف. ان السبب في ذلك يكمن في ان النظام الرأسمالي كان آنذاك قد تفوق في انجلترا الامر الذي ترتب عليه ان المهاجرين الانجليز الذين قدموا إلى العالم الجديد كانوا ينقلون معهم إلى هناك خصائص هذا النظام بعكس الفرنسيين والاسبان الذين كانت بلدانهم ما تزال في مرحلة هيمنة النظام الإقطاعي.

لقد انعكس الصراع حول ملكية الأرض على جميع اوجه الاقتصاد الزراعي الأخرى علماً بان الزراعة كانت الفرع الاساس لاقتصاد المستعمرات طيلة المرحلة التي سبقت حرب الاستقلال وبالتالي فانها كانت الشغل الأول والرئيس للمهاجرين في تلك المرحلة.

وجه المستوطنون كل جهدهم في البداية نحو تأمين المحاصيل الضرورية للحياة ونعني المحاصيل الغذائية التي كانت بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت ولهذا فقد تطورت الزراعة منذ ان بدأ الاستيطان وظلت تتسع إلى ان اصبحت الحرفة الأولى للمستوطنين حتى بلغت نسبة من يشتغل فيها قبل حرب الاستقلال أكثر من تسعة اعشار سكان المستعمرات ولم يكن يسكن في المدن في تلك المرحلة الا ٣,٣% منهم [١].

لقد ساعدت على ذلك الظروف الملائمة التي وجدها المستوطنون الأوربيون في العالم الجديد ، فعندما وصل هؤلاء إلى الأرض الأمريكية لم يجدوا امامهم وفرة بالارض الخصبة الصالحة للزراعة والمياه اللازمة لذلك فحسب بل وجدوا ايضاً عدداً من المحاصيل الزراعية الجديدة كان ينتجها السكان الاصليون هناك مثل الفول والطماطة واليقطين والبطاطة والذرة والتبغ التي كان

---

(1) Fursenko, Tam zhe str. 26.

انظر ايضاً:

Nettels, Op. Cit., P.229.

الهنود يزرعونها منذ مدة طويلة قبل ان يبدأ الاستيطان الأوربي. وقد اوجد ذلك، الى جانب ما جلبه المستوطنون معهم بعد ان استقروا في الأرض الجديدة من انواع الفواكه والخضروات [١]، تنوعاً كبيراً في المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع هناك.

كان المحصول الرئيس هو الذرة التي ظلت لفترة طويلة تؤلف الطعام الاساس للمستوطنين. والواقع ان الذرة كانت تتميز بافضليات كثيرة جعلتها أكثر المحاصيل ملاءمة للظروف الجديدة التي وجد المستوطنون انفسهم فيها في المرحلة الأولى من وجودهم على الأرض الأمريكية. وهذه الافضليات لاتكمن في سرعة النضوج الذي لايستغرق أكثر من ثلاثة اشهر ولا في وفرة الناتج حيث كانت الحبة الواحدة تعطي سبعين ضعفاً ولا في امكانية استغلال جميع اجزاء النبتة سواء للأكل أو لعلف الحيوانات أو حتى استخدامها فراشاً خشناً، ليس في كل ذلك فحسب بل ايضاً وبالدرجة الأولى في سهولة زراعتها، إذ ليست الحاجة ماسة حتى لحراثة الأرض عند زراعة الذرة، حيث كان الهنود يختارون مساحة قابلة الاحراش وينظفونها من الاشجار ثم يحرقون الاشجار التي قطعوها ويزرعون الذرة في الأرض التي تكون قد تسمدت ببقايا الاشجار المحروقة، وغالبا ما يزرعون بين شتلات الذرة محاصيل اخرى كاليقطين والفول. وقد تعلم المستوطنون الأوربيون من الهنود هذه الطريقة وظلوا يتبعونها لمدة طويلة [٢]، ذلك لانها تساعد على الاقتصاد في اليد العاملة وتعطي في المراحل الأولى مردوداً مرضياً تماماً .

---

(1) انظر حول ذلك :

A.M.Schlesinger, D.R.Fox (ed.), A History of American Life, Vol. III Provincieal Society 1690-1763, by J.T.Adams, the Macmillan Company, 1927, PP.26-27.

(2) Nettels, Op. Cit., P.230; Fursenko, Tam zhe str, P.26.

لقد تطورت الزراعة في المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد بشكل مختلف باختلاف الظروف الطبيعية السائدة في تلك المستعمرات، فقد انعكس الاختلاف القائم بين المناطق المختلفة في التربة وطبيعة الأرض والمناخ على الزراعة بالطبع سواء في نوع المحاصيل الزراعية المنتجة أو في طابع العلاقات الزراعية . والواقع اننا نستطيع ان نتبين هناك ثلاث مناطق اقتصادية متمايزة من بعضها.

ففي الشمال في نيوانجلند كان الجو بارداً والارض وعرة كثيرة الصخور والارض المستوية قليلة وتربتها رقيقة ولهذا فانها لم تكن تصلح للزراعة الواسعة الأمر الذي كان له اثره على العلاقات الزراعية فسادت هناك الاستثمارة الصغيرة التي كان الانتاج فيها يحمل لدرجة ملحوظة طابع الانتاج القائم على الاكتفاء الذاتي. ولكن بمرور الزمن بدأ ينتشر هناك ايضاً الانتاج لغرض التبادل التجاري، ولاسيما في المناطق المتاخمة للمدن الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي .

لقد كان الشغل الاساس للمزارعين في بيوانجلند انتاج المحاصيل الغذائية لسد الحاجة المحلية بالدرجة الأولى ولهذا فان هذه المنطقة لاتصدر مواد غذائية بل اتجهت إلى التوسع في بعض الصناعات التي كانت تصدر منتجاتها بدلاً من المنتجات الزراعية [١]. كذلك اتجه المزارعون هنا نحو تربية الماشية، ولكن على نطاق اضيق مما كان عليه الحال في المناطق الجنوبية، علماً بان الهنود في هذه المنطقة لم يكونوا، عندما قدم اليهم الأوربيون، قد عرفوا تدجين الحيوان (باستثناء الكلب) ، ولذلك فقد جلب المستوطنون الماشية من أوربا واخذوا يربونها هناك، ولم تلبث ان اتسعت هناك تربية الخنازير والاغنام [٢].

(1) Nettels, Op. Cit., P. 229.
(2) Fursenko, Tam zhe str. 27.

تؤلف المستعمرات الوسطى المنطقة الاقتصادية الثانية من المناطق الثلاث التي اشرنا إلى وجودها في الممتلكات الانجليزية في أمريكا الشمالية، وهذه المنطقة تلتقي فيها خصائص المنطقتين الاخريتين الشمالية والجنوبية فالى جانب الاستثمارات الصغيرة التي تتميز بها المنطقة الشمالية أي منطقة نيوانجلند كانت توجد هناك ايضاً المزارع الكبيرة التي هي من خصائص المنطقة الجنوبية. وفي هذه المزارع جميعها كانت تزرع محاصيل مهمة مثل الكتان والشعير والشوفان والحنطة وكذلك التبغ الذي كان يزرع هناك للاستهلاك المحلي فقط، كما كان سكان هذه المستعمرات يربون الدواجن والماشية ولاسيما البقر والاغنام وكذلك الخيل [١].

ويؤلف الجنوب حيث الظروف أكثر ملاءمة للزراعة المنطقة الاقتصادية الثالثة. فوجود مساحات واسعة من الأرض الخصبة جداً والمناخ الحار الملائم ووفرة المياه ساعد على قيام مزارع واسعة جداً يزرع فيها التبغ والرز والنيلة وهي محاصيل كان الطلب عليها كبيراً في السوق العالمية . كذلك كانت تربية الماشية تشغل جانباً مهماً من نشاط المزارعين في الجنوب . ولهذا كان الجنوب يعد مصدراً مهماً من مصادر المنتجات الحيوانية، ففي ١٦٤٩ كان يوجد في فرجينيا وحدها ٢٠ ألف رأس من البقر، وقد تضاعف هذا العدد في المدة من ١٦٤٩ إلى ١٦٦٥ أي في ١٦ سنة فقط، خمس مرات [٢]. اما في كارولينا الجنوبية ، فعلى الرغم من الوباء الذي اجتاح الجنوب عام ١٦٩٥ وقتل أكثر من مائة الف رأس من الماشية كان الشخص بعد سنوات قليلة من ذلك " يذهل للعدد الكبير والزيادة السريعة " في عدد الماشية " حيث كان المزارع الغني يملك ألف رأس وحيث كان من الشائع ان يمتلك الشخص هناك مائتي رأس في الاقل " [٣].

(1) Nettels, Op. Cit., P. 234.
(2) Nettels, Op. Cit., P. 233.
(3) Schlesinger and fox , Op. Cit., P.30.

كان التبغ واحداً من اهم المحاصيل التي تزرع في الجنوب في المرحلة الكولنيالية وقد بدأت زراعته في فرجينيا في ١٦١٢ ثم انتقلت زراعته بعد ذلك إلى ميريلاند في ثلاثينيات القرن السابع عشر والى كارولينا الشمالية في ستينيات ذلك القرن. وقد اتسعت زراعة التبغ في الجنوب ولاسيما في فرجينيا بدرجة لم يسبق لها مثيل ولم يشهدها أي محصول اخر، ففي جيمستاون عاصمة هذه الولاية اقبل الناس جميعاً على زراعته بحيث تحولت ارض السوق نفسها إلى مزرعة للتبغ [١] . وابدى احد الكتاب قلقه من مخاطر ان تكون فرجينيا " قائمة على الدخان " [٢] . وكان السبب في هذا الاقبال الكبير على زراعة التبغ هو الربح الكبير الذي كان يحققه انتاجه، بسبب الطلب الكبير عليه في أوربا، ذلك ان زراعة التبغ عند صرف نفس الجهد والمال كانت تعطي بالمقارنة مع الحبوب مثلاً ربحاً أكثر بست مرات [٣] . ولم تلبث الحكومة الانجليزية ان ادركت ضخامة الربح الذي يمكن ان تحصل عليه من التبغ الفرجيني الذي يمكن ان يعوضها عن المبالغ الكبيرة التي كانت تصرفها على شراء التبغ الاجنبي، ففي ١٦١٥ فقط صرفت انجلترا مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني نقداً لشراء التبغ الاجنبي من اسبانيا اساساً [٤] بينما يمكنها الان ، أي بعد ان توسعت زراعة التبغ في فرجينيا ان تشتريه منها عن طريق مقايضته بالبضائع الانجليزية، كما ان التجار الانجليز هم الذين سيقومون بهذه العملية، وكل ذلك من شأنه ان يوفر لانجلترا الرأسمال النقدي ويوسع الاسواق لبضائعها ويوفر فائدة وربحاً لتجارها. ولهذا كله اصدرت الحكومة الانجليزية قرارات تتعلق بانتاج التبغ في العالم

(١) ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر ، المصدر السابق، ص ٩.

(٢) Quoted in Nettels , Op. Cit., P.231.

(٣) Fursenko, Tam zhe str. 27.

(٤) Nettels, Op. Cit., P. 231;

رايت، المصدر السابق، ص ١٩.

الجديدة اصبحت التجارة بهذا المحصول بموجبها تدر على الخزينة الملكية دخلاً مقداره ١٦ ألف جنيه استرليني سنوياً [١].

وهكذا كانت مساحة الأرض التي تزرع تبغاً في الجنوب تزداد باستمرار . ولم تكن هذه الزيادة تحصل بسبب التوسع في زراعة التبغ وزيادة مساحة المزرعة فقط ولكنها حصلت ايضاً بسبب من ان التبغ واسلوب زراعته الى انهاك التربة ويقلل من خصوبتها بسرعة الامر الذي يحتم الانتقال إلى ارض جديدة لاتلبث ان تنهك هي الأخرى بعد ثلاث أو اربع سنوات مما يحتم الانتقال إلى غيرها وهكذا. وكانت النتيجة ان ازداد الطلب على الأرض واتسعت المضاربة بها بحيث ان الاشتغال بها " ابتلع جهود الأمريكان أكثر من أي شيء آخر " [٢] على حد تعبير احد الكتاب الأمريكان. ونتج عن ذلك ايضاً ان انتشر مزارع الجنوب في مساحات واسعة جداً إلى درجة بحيث ان مزارع فرجينيا وحدها كانت في نهاية القرن الثامن عشر تشغل مساحة تعادل مساحة انجلترا باسرها [٣].

كان نظام المزارع الواسعة هذا يتطلب قدراً كبيراً من قوة العمل الوفيرة وقد امكن الحصول على قوة العمل هذه عن طريق استخدام العبيد الزنوج في المزارع. وقد ساعد استخدام العبيد في المزارع بدوره على تطور نظام المزارع الكبيرة، فلكي يكون العمل مربحاً كان لابد ان يكون هناك ٢٠ فداناً من الأرض مقابل كل عبد يشتغل في المزرعة . واذا اخذنا بنظر

(1) Fursenko, Tam zhe str. 27.

(2) Quoted in Herbert Aptheker, the American Revalution 1763-1783 London 1960, P.30.

(3) Fursenko, Tam zhe str. 28.

انتشر نظام المزارع الواسعة في المستعمرات الوسطى ايضاً فقد بلغت مساحة بعض هذه المزارع في نيويورك مثلاً ٧٠٠٠٠٠ فدان – تشارلز وماري بيرد ، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣، ٣٥.

الاعتبار ضرورة استخدام مراقب يشرف على عمل العبيد وان استخدام المراقب يزيد من المصروفات التي يتكبدها صاحب المزرعة فان عدد العاملين في المزرعة يجب ان لايقل عن ٢٠ عبداً لكي تكون المزرعة مربحة. وادى ذلك إلى ان تصبح المزارع في الجنوب واسعة جداً فقد بلغت سعة بعضها في كارولينا الجنوبية وجورجيا ٢٠٠٠ هكتار ، اما في فرجينيا فان المزارع التي تبلغ مساحتها ١٠-٢٠ الف هكتار كانت تعتبر ظاهرة اعتيادية (1) بل وجدت فيها مزرعة بلغت مساحتها ٧٠,٠٠٠ هكتار.

والواقع ان عمل العبيد الزنوج لم يكن في بداية الامر قوة العمل الرئيسة في المستعمرات الأمريكية. ان قوة العمل الأساسية كانت في البداية في فرجينيا وميريلاند والكارولينيتين وفي جميع المستعمرات الأخرى تتألف من " خدم التعاقد " الذين سبقت الإشارة اليهم ، وكان عدد الزنوج قليلاً نسبياً. وقد استمر الحال كذلك حتى نهاية القرن السابع عشر تقريباً، ففي ١٦٧١ مثلاً كان يشتغل في مزارع فرجينيا ما يقرب من ٦ آلاف من الخدم المتعاقدين والفين فقط من العبيد الزنوج علماً بان عدد سكان المستعمرة كان ٥٣ ألف نسمة (2). لكن عدد الزنوج لم يلبث ان أخذ بالتزايد اعتباراً من ١٦٨٠ بفعل عوامل متعددة منها اشتداد المنافسة بين مزارعي التبغ مما حتم البحث عن قوة عمل أرخص لتقليل كلفة الانتاج ومنها تأسيس مستعمرة بنسلفانيا في ١٦٨١ التي تحولت اليها اعداد كبيرة من الخدم المتعاقدين القادمين من أوربا ومنها ايضاً عزوف اصحاب المزارع عن استخدام خدم التعاقد لان استخدامهم " ينطوي على عيوب متأصلة فالشخص العامل بموجبه يحصل على حريته بالضبط في الوقت الذي يصبح فيه

(1) Fursenko, Tam zhe str. 28.

(2) Tam zhe str. 28;
تشارلز وماري بيرد ، المصدر السابق ، ص ٣٧.

أقل قيمة لمستخدمه فيكون على هذا الاخير ان يدرب على العمل ايدي جديدة بينما يتحول الخادم المتعاقد الذي حصل على حريته [بعد انتهاء مدة العقد] والذي يحتمل ان يصبح مزارعاً ايضاً إلى منافس لسيده السابق " (1) . لهذا كله اخذ عدد الزنوج بالتزايد في المستعمرات الجنوبية إلى ان بلغ في ١٧٧٠ أقل قليلاً من نصف مجموع السكان في فرجينيا التي كان عدد سكانها انذاك ٤٥٠,٠٠٠ نسمة، وثلث مجموع السكان البالغ عددهم ٢٠,٠٠٠ نسمة في ميريلاند، اما في كارولينا الجنوبية فقد كان عددهم أكثر من عدد البيض بنسبة اثنين إلى واحد (2) ، وكانت سعة المزرعة تزداد بمقدار ما كان يزداد ورود العبيد من افريقيا فقد زاد معدل سعة المزرعة في فرجينيا مثلاً من ٦٥ هكتاراً في المدة ١٦٢٦-١٦٣٢ إلى ٢٨٠ هكتاراً في ١٦٩٥-١٧٠٠ (3).

وهكذا تعزز في الجنوب منذ نهاية القرن السابع عشر نظام المزارع الكبيرة القائم على عمل العبيد ، وكان ذلك مشروطاً إلى حد كبير بالطلب على التبغ في السوق الأوربية وكانت المزارع الكبيرة ، كقاعدة تنتج بالاضافة إلى التبغ والمحاصيل الأخرى التي تذهب للتصدير محاصيل غذائية تكفي للاستهلاك السنوي فقط ، أي ان كل مزرعة كانت تكتفي عادة بما تنتجه هي بواسطة عمل العبيد من تلك المحاصيل.

لكن العمل العبودي في المزارع الكبيرة لم يلبث ان أخذ يعاني من ازمة عميقة لم يتخلص منها ويتحول إلى عمل مربح لاصحاب المزارع الا في نهاية القرن الثامن عشر وبالارتباط مع الثورة الصناعية التي قامت آنذاك في بريطانيا وتحول الأمريكان إلى زراعة القطن. وكانت هذه الازمة نتيجة لعدد من الاسباب

(1) Nettels, Op. Cit., P.232.

(2) الن نفنز . هنري ستيل كوماجر ، المصدر السابق، ص ٤٧.

(3) Fursenko, Tam zhe str. PP.28-29.

يأتي انخفاض اسعار التبغ بشدة في مقدمتها.

كان السبب في انخفاض اسعار التبغ يكمن في تزايد انتاجه سنة بعد اخرى ، ففي ١٦١٩ بلغت كمية التبغ المصدر من أمريكا ٨ آلاف كيلوغرام واستمرت بالتزايد حتى بلغت في ١٦٩٠ ثمانية ملايين كيلوغرام وفي ١٧٧٠ ما يقرب من ٤٠ مليون كيلوغرام [١] . وادت هذه الزيادة الكبيرة في كمية التبغ المصدر ، بالإضافة إلى ان اقطاراً اخرى اصبحت تنتج التبغ ايضاً، إلى انخفاض اسعار هذا المحصول. وكان الهبوط بالاسعار كبيراً ومحسوساً، ففي خلال عشرين سنة فقط وهي المدة المحصورة بين ١٦١٩و ١٦٣٩ هبطت الاسعار بمقدار عشر مرات تقريباً [٢]. وادى هبوط الاسعار هذا إلى افلاس اصحاب المزارع الكبيرة وزيادة مديونيتهم للتجار الانجليز الذين كانوا يوردون البضائع الصناعية إلى أمريكا مقابل التبغ، الامر الذي اوقع اصحاب المزارع في تبعية البيوتات التجارية في لندن [٣]. ورغم كره اصحاب المزارع لمديونيتهم لتلك البيوتات ومحاولاتهم التخلص منها الا انها كانت تتزايد مع الوقت حتى بلغ مجموع ديون المستعمرات الأمريكية في نهاية المرحلة الكولونيالية خمسة ملايين جنيه استرليني تقع خمسة اسداسها على اصحاب المزارع الكبيرة [٤].

كان تأثير انخفاض اسعار التبغ شديد السوء على المزارعين ولاسيما على الصغار منهم الذين لاتتيح لهم امكاناتهم الصمود طويلاً امام الخسائر التي حاقت بهم بسبب هذا الانخفاض ، علماً بان البعض منهم لم يكن يزرع أي محصول اخر غير التبغ. وقد حاول صغار المزارعين هؤلاء المقاومة وكانوا في

(١) Frsenko, Tam zhe str, P.29.

(٢) Tam zhe str. P.29.

(٣) انظر حول ذلك:

Aptheker, Op. Cit., P.29.

(٤) Fursenko, Op. Cit., Foot note 62, P.29.

[illegible] الاحيان يقومون بتدمير التبغ في المزارع الكبيرة. ذلك ما حصل مثلاً في ١٦٨٢ حين هبطت بشدة اسعار التبغ نتيجة لعدة سنين من المحصول الجيد فقام المزارعون بانتفاضة دمرت بنتيجتها في عدد من مناطق فرجينيا مساحات كبيرة من الأرض المزروعة.

وحاول اصحاب المزارع الكبيرة من جانبهم تلافي التذبذب في اسعار التبغ وطالبوا باقرار سعر ثابت له وشكلوا لهذا الغرض نوادي واتحادات تجارية خاصة وعقدوا فيما بينهم اتفاقات بشأن تقليص المساحة المزروعة واقرت الجمعيات التشريعية في المستعمرات قوانين ، عين بموجبها حد ادنى لسعر التبغ وخاصة انتاجه وتصديره. وحدث مرة في فرجينيا ان اشترت السلطات في المستعمرة كمية لايستهان بها من التبغ واحرقتها تلافياً لانخفاض سعره [١].

غير ان جميع هذه التدابير لم تؤد إلى النتيجة المرجوة وظلت الزراعة القائمة على المزارع الكبيرة في الجنوب تعاني من ازمة مستفحلة حتى العقد الاخير من القرن الثامن عشر، أي إلى ما بعد قيام الثورة الصناعية في بريطانيا واتجاه المزارعين الأمريكان إلى زراعة القطن الذي زادت حاجة الصناعة الانجليزية اليه.

والخلاصة ان واقع الزراعة في المستعمرات الانجليزية في أمريكا في المرحلة الكولونيالية لم يكن جيداً وحياة الفلاح لم تكن بهيجة ، والصورة القاتمة لواقع الزراعة في أمريكا انذاك رسمها احد الباحثين الأمريكان حين كتب يقول:

" لقد كانت حياة صعبة وبدائية وهزيلة تلك التي كان الفلاح الاعتيادي يعيشها، فاداواته كانت هي الأدوات المألوفة في بابل القديمة ... ان رخص الأرض ووفرتها ولد نوعاً من الزراعة التي تستنفد خصوبة التربة بسرعة. ان فلاح القرن السابع عشر لم يعتد استخدام المخصبات ولا اعتماد نظام تناوب

(١) Fursenko, Tam zhe str. P.30.

المحاصيل مفضلاً ترك الأرض بوراً لتنمو فيها الاعشاب، ولم تفلح هذه الطريقة باعادة انتاجيتها . اما المراعي فكانت بشكل عام فقيرة جداً ... الخيول والخنازير التي كانت تغريها على الدوام حقول الحبوب النامية والبساتين والحدائق كانت تميل إلى القفز فوق الحواجز الخشبية البسيطة لكي تشارك في الوليمة ... اشجار الفاكهة كانت تنمو دون ان تحظى بالتشذيب أو التطعيم تهاجمها مختلف الطفيليات التي تستعصي على فهم الفلاح . سحب البعوض والذباب كانت ترهق الإنسان والحيوان على السواء. الفراخ كانت تسقط فريسة للراكون وابن عرس والمنك والجرذان تدعو نفسها لاكل اللفت والكرنب والسناجب والغربان كانت تمرح في حقول الذرة ... " (١).

الصناعة والتجارة:

شهدت المستعمرات الانجليزية في المرحلة الكولنيالية تطورات ملحوظة في مجال الحرف والصنائع مما ادى إلى تطور ملحوظ في الصناعة والتجارة، على الرغم من أن الزراعة ظلت الفرع الرئيس للاقتصاد فقد كان المستوطن يمارس إلى جانب الزراعة والصيد حرفاً مختلفة كالنجارة والحدادة وصناعة الفخار والحياكة، ذلك ان ضعف قوته الشرائية وظروف الانتاج الطبيعي حتمت عليه ان يصمهع بنفسه الكثير من السلع التي يحتاجها. ومع ان سكان المستوطنات لم يقصدوا انشاء نظام اقتصادي جديد يختلف عما الفوه في أوربا فان ظروف العالم الجديد كان لها اثرها على نشاطهم الاقتصادي فأخذت تظهر في المستعمرات ولاسيما الشمالية منها ورشات حرفية متنوعة مثل ورشات الحياكة وصنع الطابوق وصهر الحديد كما ظهرت المطاحن والمجازر وغيرها.

(١) Nettels, Op. Cit., P. 222

لكن هذه العملية أخذت تصطدم بالسياسة التي كانت بريطانيا تنتهجها ازاء المستعمرات في المجال الاقتصادي وهي سياسة الميركانتلزم التي كانت تهدف إلى جعل المستعمرات مجرد مجهز للصناعة الانجليزية بالمواد الخام وسوقا لبيع البضائع الانجليزية. ولتحقيق ذلك صدرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر قوانين الملاحة (١) التي عينت سلعاً معينة منها السكر والتبغ والنيلة وادوات الملاحة، أجبرت سكان المستعمرات على ان لايصدروها إلى أي بلد غير انجلترا، والتي حتمت على البضائع المتجهة إلى المستعمرات ان ترسل إلى هناك الا عن طريق انجلترا حيث تفرض عليها هناك ضرائب التصدير وأجور شحن اضافية واعباء أخرى تزيد من كلفتها، وكان الهدف من ذلك هو السيطرة على السوق الأمريكية وجعلها سوقاً للبضائع الانجليزية فقط.

ومع ذلك فان سياسة انجلترا كانت في واقع الامر تؤدي في بعض الاحيان إلى عكس النتائج التي تتوخاها ذلك ان الانجليز عمدوا إلى تشجيع

(١) هي قوانين اصدرها البرلمان الانجليزي لحماية تجارة انجلترا البحرية من المنافسة الاجنبية. صدر أول قانون منها في ٩ تشرين الأول عام ١٦٥١ وقضى بان لاتحمل البضائع القادمة إلى انجلترا من اسيا وافريقيا وامريكا الا على سفن انجليزية، اما البضائع القادمة من أوربا فيجب ان تحمل على سفن انجليزية أو سفن تابعة للبلد الذي انتج تلك البضائع. وفي ١٦٦٠ صدر قانون الملاحة الثاني الذي شدد هذه القيود بان منع السفن غير الانجليزية من التعامل مع المستعمرات الانجليزية وتضمن قائمة بعدد من المواد منها السكر والتبغ والقطن والصوف والنيلة ، قضى بان لاتشحن الا إلى انجلترا، أي انه منع المستعمرات من تصدير تلك المواد إلى الخارج مباشرة وكان بعض هذه المواد كالتبغ مثلاً ذا اهمية خاصة بالنسبة المستعمرات الانجليزية في أمريكا. وقد صدرت بعد ذلك قوانين اخرى زادت من القيود المفروضة على التجارة واضافت مواداً اخرى إلى قائمة المواد الممنوع تصديرها إلى الخارج منها المولاس وجلود القندس.

صناعة بعض البضائع التي تحتاجها انجلترا وبذلوا جهوداً مكثفة لجعل المستعمرات تقتصر في صناعتها على تلك البضائع [1] . وتعد صناعة الاخشاب ومواد الملاحة مثلاً نموذجياً في هذا الشأن ، فقد تأسست هذه الصناعة بمبادرة مباشرة من الحكومة الانجليزية وبأمر منها ، وكان يراد لها ان تجهز صناعة السفن في انجلترا بالخامات التي كانت تلك الصناعة تعتمد في الحصول عليها قبل ذلك على اقطار البلطيق [2]. وقد خلقت سياسة التشجيع التي اتبعتها الحكومة الانجليزية تجاه هذه الصناعة والطلب الكبير على مواد الملاحة وغيرها من المواد الخشبية في السوق ظروفاً ملائمة جداً لتطور هذا الفرع من فروع الانتاج الذي يعود تاريخه إلى الايام الأولى للاستيطان الانجليزي في أمريكا . ان بعضا من أكثر مناطق الاستيطان قدماً في مستعمرات مين ونيوهامبشير وجورجيا كانت في أول امرها عبارة عن معسكرات لقاطعي الاخشاب، واول البضائع التي شحنت إلى انجلترا في ١٦٠٨ من جيمستاون وفي ١٦٢١ من نيوبلايموث كانت تتألف بالأساس من الألواح الخشبية وأدوات الملاحة [3].

غير ان صناعة الأخشاب التي اريد لها في البداية ان تكرس للتصدير كلياً لم تلبث ان اخذت بالتطور، فقد خلقت وفرة المواد الأولية ووجود رأس المال وسعة السوق الخارجي الظروف الملائمة لقيام مشاريع رأسمالية في هذا الفرع من فروع الصناعة، فأخذ بفضل ذلك بالاتساع ولاسيما بعد استخدام قوة المياه في مصانع نشر الأخشاب واقامة تلك المصانع على مساقط المياه [4] . والاهم من

(1) Guttridge, Op. Cit., P.174.
(2) Ibid. PP.174-175.
(3) Fursenko, Tam zhe str. 31.
(4) تأسس أول مصنع من هذا النوع في مين بالقرب من يورك في ١٦٢٣ واول مصنع في نيوهامبشير في ١٦٣٥ ، وقد وفرت هذه المصانع جهداً كبيراً فالواحد منها كان أكثر فاعلية من عمل الفرد الواحد بعشرين مرة .
Nettels, Op. Cit., P.245.

إلا ان تطور هذه الصناعة كانت له انعكاسات ايجابية على بعض فروع الصناعة المهمة الأخرى وادى إلى تنشيطها وتطورها ولاسيما صناعة السفن، فبعد ان كانت السفن الأولى التي بناها المستوطنون في سنوات الاستيطان الأولى عبارة عن زوارق صغيرة كانوا يتنقلون بواسطتها في الانهار ويقومون بالمتاجرة مع الهنود، اخذت السفن المصنوعة في المستعمرات تكبر مع الوقت وتزداد حمولتها فبينما صنعت في ١٦٣١ سفن صالحة للنقل البحري بين المناطق الساحلية بلغت حمولة الواحدة منها ٦٠ طناً، وفي ١٦٥٠ بلغت حمولة السفينة ٣٠٠ طن ، اما في ١٧٢٠ فقد بلغت حمولة بعض السفن التي صنعت هناك ٧٠٠ طن [1] .
واعتباراً من بداية القرن الثامن عشر اصبح بناء السفن الفرع الرئيس للصناعة في نيوانجلند واصبح هذا الفرع الصناعي هناك متطوراً بدرجة تفوق كثيراً عما هو في المستعمرات الأخرى، ففي حين كانت حمولة السفينة التي تصنع هناك في ١٦٤١ خمسين طناً، ازدادت في ١٦٥٠ فاصبحت ٣٠٠ طن، وفي ١٦٧٠ وفيها صنعت ماساتشيوستس ٧٣٠ سفينة، وبلغ انتاج ماساتشيوستس في المدة من ١٦٩٦ إلى ١٧١٣ مالايقل عن ١١٨ سفينة مجموع حمولتها ٦٩٥٠٠ طن ، وقد بني نصف هذا العدد في بوسطن التي كانت تحوي في ١٧٢٠ اربع عشرة ترسانة تنتج مايقرب من ٢٠٠ سفينة في السنة [2]. لقد انتجت نيوانجلند في ١٧٢١ حوالي ١٦٠ سفينة معدل حمولة الواحدة منها ٦٢ طناً. ومما له دلالة في هذا الشأن ان القسم الاغلب من هذه السفن بيع لرجال الاعمال من سكان المستعمرات ولاسيما تجار بوسطن، إذ بلغت نسبة ما اشتروه منها ٦٠% في حين بيعت النسبة الباقية ومقدارها ٤٠% إلى انجلترا وجزر الهند الغربية [3]. لقد كانت كلفة بناء السفينة في المستعمرات في بعض الأحيان اقل منها في أوربا

(1) Fursenko, Tam zhe str. 31.
(2) Efimov, Tam zhe str. 58.
(3) Nettels, Op. Cit., P. 246.

بمرتين علماً بان نوعية السفن التي كانت تبنى هناك لم تكن أسوء من نوعية السفن الأوربية، ولهذا كان الطلب كبيراً على السفن التي تصنع في المستعمرات حتى ان " الحرفيين الذين هاجروا إلى بنسلفانيا كانت لديهم طلبات على السفن قبل ان تؤسس فيلادلفيا " [1].

وهكذا اخذت صناعة السفن في المستعمرات تنافس صناعة المتربول. وقد كانت هذه المنافسة شديدة إلى درجة دفعت ارباب صناعة السفن في انجلترا أكثر من مرة إلى التوجه إلى البرلمان الانجليزي طالبين اتخاذ اجراءات ضد صناع السفن الأمريكان تكفل لهم التخلص من منافستهم، غير ان هذه التوجهات لم تؤد إلى نتيجة فلم يقم البرلمان ولا المؤسسات الحكومية التي تشرف على ادارة المستعمرات باتخاذ أي اجراء في هذا السبيل، بل على العكس من ذلك ادت قوانين الملاحة التي حتمت نقل بضائع التجارة الانجليزية على سفن انجليزية أو سفن تابعة لمستعمرات انجلترا إلى تطور صناعة السفن في المستعمرات بحيث اصبح عدد السفن المصنوعة في أمريكا يؤلف في نهاية المرحلة الكولنيالية ثلث السفن التي تبحر تحت العلم البريطاني [2].

لقد ابدت صناعة السفن في المستعمرات تأثيراً كبيراً على تطور حرفة صيد السمك هناك وهي حرفة قديمة مارسها المستوطنون منذ الايام الأولى لوصولهم إلى العالم الجديد وظلت هذه الحرفة تتسع مع الوقت بحيث ارتفع عدد السفن التي كانت تعمل في صيد السمك من ٨ في ١٦١٦ إلى ٣٥ في ١٦٢٢ والى ٥٠ في ١٦٢٤ [3]. اما في ١٦٧٥ فقد كان عدد السفن التي تعمل في هذا الحقل ٦٦٧ سفينة يشتغل عليها مايقرب من أربعة الاف شخص [4]. وكان الطلب

(1) Ibid. P. 246.
(2) United Stats Information Service, Op. Cit., P.12.
(3) Nettels, Op. Cit., P. 243.
(4) Fursenko, Tam zhe str. P.32.

على السمك وراء هذا التطور الكبير في هذه الحرفة ذلك ان السمك لم يكن مادة غذائية اساسية للسكان فقط بل كان يستخدم ايضاً في تسميد التربة بالإضافة إلى تصديره إلى الخارج. وقد اتسع تصدير السمك إلى الاقطار الاجنبية إلى درجة اصبح الأمريكان معها ينافسون انجلترا في توريد السمك إلى فرنسا واسبانيا والبرتغال بل انهم احتكروا سوق الهند الغربية احتكاراً يكاد يكون تاماً.

شجعت انجلترا ايضاً انتاج الحديد الخام في المستعمرات وذلك لان صهر الحديد كان انذاك يعتمد على استخدام فحم الخشب الذي يعتمد انتاجه على وفرة الغابات التي كانت موجودة بكثرة في العالم الجديد، في الوقت الذي بدأت فيه غابات انجلترا بالتناقص بسرعة [1] بسبب التوسع في تنظيف الأرض لاستخدامها في الزراعة والرعي. وقد ساعدت على ذلك ايضاً وفرة خامات الحديد في المستعمرات. لقد بدأت اعمال صهر الحديد في ١٦٢٠ لكنها لم تلبث ان توقفت، وكان هذا التوقف موقتاً إذ لم تلبث هذه النصاعة ان استؤنفت في القرن الثامن عشر [2] واخذت منذ ذلك الوقت بالتطور بشكل ثابت، ففي ١٧٧٥ كان عدد افران صهر الحديد في المستعمرات البريطانية في أمريكا يفوق عددها في انجلترا وويلز، وكان معدل انتاجها يعادل الانتاج في انجلترا حيث بلغ ٣٠٠ طن من الحديد المسبوك لكل فرن و ١٥٠ طناً من قضبان الحديد لكل كور، وفي الوقت نفسه ازداد تصدير الحديد الخام من المستعمرات إلى انجلترا من ٣٠٠ طن في ١٧٥٠ إلى ٧٥٢٠ طناً في ١٧٧١ [3].

وهكذا فان سياسة الحكومة البريطانية كانت في بعض الاحيان تساعد، بغض النظر عن ارادة الانجليز على تطور الانتاج الصناعي في المستعمرات،

(1) H.A.Faulkner, American Political and Social History , New York, 1943, P.52.
(2) Nettels, Op. Cit., PP. 247-248.
(3) Efimov, Tam zhe str. 57.

وقد رأينا ذلك واضحاً في صناعة الاخشاب وصناعة السفن، وهو واضح ايضا في عدد من الصناعات الأخرى كإنتاج الكتان والقنب والحديد وبعض الأنواع الأخرى من المعادن.

لكن ذلك يجب ان لايصرفنا عن ادراك الحقيقة الأساسية وهي ان المحل الأول في سياسة بريطانيا تجاه المستعمرات كانت تحتله الاجراءات والتدابير التي كانت تتخذ لتحديد الانتاج الصناعي فيها،ذلك الانتاج الذي اصبح مع الوقت ينافس الصناعة الانجليزية. وكانت هذه المنافسة تشتد مع الوقت بحيث دفعت المؤسسات البريطانية التي تشرف على ادارة المستعمرات إلى اصدار عدد من القوانين والقرارات منعت فيها انتاج الكثير من البضائع في المستعمرات، من ذلك انها على سبيل المثال لا الحصر اصدرت في ١٦٩٩ قانوناً منع تصدير الصوف والمنتجات الصوفية من المستعمرات وفي ١٧٣٢ أصدرت قانون القبعات، وفي ١٧٥٠ صدر قانون منع انشاء افران لدلفنة المعادن في المستعمرات ومنع المستوطنين من صنع حدوات الخيل والمسامير والازرار وغير ذلك [1]. لقد حرصت الحكومة البريطانية على منع انشاء مصانع وورشات لقطع الحديد وتصنيعه في المستعمرات على الرغم من انها ، كما رأينا، كانت تشجع استخراج خاماته وصهره، إذ انها كانت تعمل على تصديره إلى بريطانيا على شكل خامات اولية ليتم تصنيعه هناك.

اتضحت سياسة المنع والتحديد التي كانت الحكومة البريطانية تنتهجها تجاه الصناعة في المستعمرات في فرع اخر من فروع الإنتاج هو صناعة النسيج التي اخذت تتسع في المستعمرات بسرعة بحيث اصبحت تقام مصانع حديثة لانتاجه، الامر الذي اصبح يؤلف خطراً متزايداً على صناعة النسيج الصوفي

(1) Richard D.Heffner, A Documentary History of the United states, New American Library, 1956, P.10 ; Dementev, Tam the str. 234.

الانجليزية، فبادرت الحكومة الانجليزية إلى اتخاذ التدابير لتحديد إنتاج النسيج الصوفي والمتاجرة به في المستعمرات.

وهكذا اصبحت القيود التي كانت الحكومة الانجليزية تفرضها على النشاط الاقتصادي في المستعمرات اعباءً يزداد ثقلها على السكان هناك مع الوقت. غير انه من الواجب ان نلاحظ ان السلطات الانجليزية لم تكن تستطيع دائماً تطبيق الأوامر والقوانين التي تصدرها لاسباب كثيرة ، فبالاضافة إلى بعد المستعمرات والظروف السائدة فيها التي جعلت من " آلاف القوانين التي قامت الحاجة اليها لحفظ النظام في المجتمع الانجليزي المعقد جداً" بعيدة عن الواقع وعديمة الفائدة في المستعمرات ، فاهملت وحلت محلها " قوانين جديدة من صنع المستعمرين انفسهم " [1]، كانت السلطات الإدارية في المستعمرات التي انيط بها تنفيذ تلك الاوامر والقوانين كثيراً ما عدلت عن تنفيذها أو عن مراعاة الدقة في تنفيذها وذلك لان حكام المستعمرات وغيرهم من افراد الإدارة فيها كانوا في احيان كثيرة ذوي مصلحة في تطوير هذه الحرفة أو تلك ، الأمر الذي يدفعهم إلى تجاهل قوانين المنع التي تصدرها الحكومة الانجليزية بشأن تلك الحرفة. يضاف إلى ذلك ان انجلترا كانت لفترة طويلة عاجزة عن فرض سيطرتها التامة على اقتصاد المستعمرات بسبب انشغالها باوضاعها الداخلية التي نجمت عن الصراع بين الملوك والبرلمان وقيام الثورة والحرب الأهلية فيها، وبسبب المنافسة التي كانت تخوضها في العالم الجديد مع الدول الأوربية الأخرى التي لها مستعمرات هناك ولاسيما فرنسا. لهذا كله لم تستطع إجراءات المنع التي اتخذتها الحكومة الانجليزية ان تعيق التطور الصناعي في مستعمراتها في العالم الجديد ، وكثيراً ما كانت المستعمرات تتحدى تلك الإجراءات، وبلغ الأمر ان بنسلفانيا ونيوجرسي وماساتشيوستس خصصت جوائز لمن يؤسس معامل لإنتاج

(1) United States Information Service, Op. Cit., P.28.

المصنوعات الحديدية، وكان ذلك بعد صدور قانون ١٧٥٠ الذي اشرنا إلى انه منع انشاء مثل هذه المعامل [1].

كانت نتيجة ذلك ان اتسع الانتاج الصناعي في المستعمرات على الضد من رغبة السلطات الانجليزية. ولكن على الرغم من تنوع وتعدد السلع التي كانت تصنع في المستعمرات فانها لم تكن كافية لتغطية كل ماكان يحتاجه السكان هناك من بضائع لكي يؤمنوا لانفسهم مستوى من العيش يماثل المستوى الأوربي. ولهذا فقد اقتضت الضرورة بان تشتري المستعمرات من الاقطار المتقدمة في أوربا وفي مقدمتها انجلترا عدداً لايستهان به من البضائع كمكائن الطحن والأدوات التي يحتاجها المزارعون والحرفيون كالفؤوس والسكاكين وسكك المحاريث ومعدات الحرب كالبارود والمدافع وادوات المطبخ والمائدة واللوازم البيتية كالابر ومصائد الفئران والاثاث والأنسجة القطنية والصوفية وغير ذلك من البضائع . كان هذا بالطبع قبل ان تتطور الصناعة وتصبح المستعمرات منتجة لعدد كبير من هذه السلع. وكانت المشكلة الاساسية التي واجهت المستعمرات آنذاك هي ايجاد الوسائل التي تمكنها من دفع قيمة ما تستورده من سلع. وقد حاول سكان المستعمرات حل هذه المشكلة بتصدير منتجاتهم إلى أوربا. لهذا كانت الخاصية المميزة للتجارة في المستعمرات هي انها كانت منذ البداية تجارة خارجية ، وقد القت هذه الحقيقة بظلالها على مجمل النشاط التجاري سواء في داخل كل مستعمرة أو بين مستعمرة واخرى.

وهكذا فقد انطوت التجارة الخارجية لفرجينيا وميريلاند على تبادل للتبغ والفرو تبادلاً مباشراً مع البضائع الأوربية ، وكان ذلك يتم اساساً مع انجلترا . لقد كانت هذه التجارة مهمة بالنسبة لهاتين المستعمرتين إلى درجة بحيث ان وضعهما الاقتصادي كان يعتمد عليها بشكل كلي تقريباً فسجلات الضرائب

---

(1) Efimov, Tam zhe str.57.

الانجليزية تظهر ان فرجينيا وميريلاند اشترتا في الثماني عشرة سنة التي تلت عام ١٦٩٨ من بريطانيا بضائع بلغ معدل قيمتها ١٥٤٢٠٠ جنيه استرليني في السنة في حين باعت لبريطانيا في المدة نفسها بضائع بلغ معدل قيمتها ٢٤٥٩٠٠ جنيه استرليني في السنة. ان هذه الأرقام تشير إلى ازدهار التبادل التجاري بين انجلترا والمستعمرات. ولكن ينبغي ان لايفهم من ذلك كما لاحظ احد الباحثين ان المستعمرات كانت الجهة المستفيدة على الرغم من ان الارقام تشير إلى ان الميزان التجاري بين الجانبين يميل لصالح المستعمرات بمقدار ٩١٧٠٠ جنيه استرليني في السنة، وذلك لان اسعار البضائع المستوردة إلى المستعمرات تمثل قيمة هذه البضائع قبل ان تشحن من انجلترا، في حين تمثل اسعار صادرات المستعمرات قيمة منتجاتها المصدرة قبل ان تشحن منها إلى انجلترا، ولهذا فان المبالغ التي استقيت منها هذه الأرقام لاتذكر التكاليف الكثيرة غير المنظورة التي كان على سكان المستعمرات ان يدفعوها ومنها اجور الشحن التي تدفع إلى اصحاب السفن الانجليز والفوائد والعمولات التي يأخذها التجار الانجليز والنفقات التي ينفقها سكان المستعمرات لشراء العبيد واستخدام خدم التعاقد واقساط التأمين على الشحنات المنقولة، والفوائد المفروضة على المزارعين مقابل القروض التي منحت لهم من قبل الرأسماليين الانجليز . كل هذه المكاسب كان يحققها الرأسماليون الانجليز " الذين كانوا يديرون عملاً واسعاً متعدد المجالات ... وكان في خدمتهم عدد كبير من المحامين يدمون مصالحهم في المحاكم ويبحثون باستمرار عن الاسناد من الحكومة البريطانية ويجدونه لديها ... وفي الحقيقة فان العمليات المفروضة على تجارة المستعمرات كانت تمليها ضرورة تحقيق الفرص والاستثمارات المفيدة لهذه الطبقة المهيمنة " [1].

---

(1) Nettels , Op. Cit., PP.252-253.

وكانت الفائدة التي يحققها البريطانيون أوضح من ذلك في المستعمرات الشمالية، ففي الثماني عشرة سنة التي اعقبت ١٦٩٨ اشترت نيوانجلاند ونيويورك من بريطانيا بضائع كان معدل قيمتها السنوي ١٠٣٥٠٠ جنيه استرليني وباعت لبريطانيا بالمقابل بضائع بلغ معدل قيمتها السنوي ٣٧٤٠٠ جنيه استرليني، أي ان العجز في الميزان التجاري لهذه المستعمرات بلغ ٦٦١٠٠ جنيه استرليني في السنة [١]. ولكن ينبغي ان نذكر ان المصاريف غير المنظورة التي ذكرناها بالنسبة للمستعمرات الجنوبية ليس لها تأثير يذكر هنا وذلك لان مدن المستعمرات الشمالية: بوسطن وفيلادلفيا ونيويورك، كان لكل منها تجارها الذين يقومون بتجارتهم على سفنهم الخاصة [٢]، ولهذا فان اجور الشحن والفوائد والعمولات التي يكسبها التجار البريطانيون عندما يصدرون البضائع البريطانية إلى المستعمرات الشمالية تعادلها مكاسب مشابهة يحققها تجار تلك المستعمرات عند حملهم لبضائع مستعمراتهم وبيعها في السوق البريطانية.

كانت تجارة الفرو واحدة من اهم مفردات التجارة الخارجية للمستعمرات ذلك انها كانت منذ البداية خاضعة لمتطلبات التصدير [٣]، فقد صدرت فورت اورنج وحدها سنة ١٦٥٦ ما يقرب من ٣٥٠٠٠ من فراء القندس وثعلب الماء، ومع ان قيمة صادرات كارولينا الجنوبية لم تزد في ١٦٨٧ على ٢٠٠٠ جنيه

---

(1) Ibid. PP.258-259.

(٢) بلغ عدد السفن التي تعمل في التجارة مع انجلترا ١١٠٠ سفينة يشتغل عليها ٢٩ ألف بحار.

Efimov, Tam zhe str. 57.

(٣) ساعدت تجارة الفراء على ان تقوم في المستعمرات صناعة القبعات وملابس الفرو، وقد اتسعت هذه الصناعة حتى نهاية القرن السابع عشر إلى درجة دفعت الحكومة الانجليزية التي رأت فيها خطراً على مصالح تجار وصناعي انجلترا إلى منعها.

Fursenko, Tam zhe str. 34.

استرليني فان هذه التجارة أصبحت في ١٧٠٥ الفرع الرئيس لتجارة المستعمرة [١].

ابدت تجارة التصدير تأثيراً كبيراً على تطور الملاحة البحرية في المستعمرات، ذلك ان قيام هذه الملاحة التي شهدت توسعاً كبيراً ابتداءً من النصف الثاني من القرن السابع عشر كان مرتبطاً بضرورة توريد البضائع المعدة للتصدير إلى موانئ التصدير ومن هناك كانت تحمل على سفن انجليزية إلى انجلترا، وفي مقابل هذه البضائع كان مالكو السفن الذين يشتغلون بالنقل البحري يجلبون إلى الموانئ التي نقلوا منها تلك البضائع المنتجات الاجنبية حيث يجري من هناك توزيعها على المناطق المجاورة. لقد كان هذا النوع من النقل في البداية يقتصر على نيوانجلاند وعلى المستعمرات الوسطى جزئياً، لكنه لم يلبث ان انتشر فشمل المستعمرات الجنوبية ايضاً. وبمرور الوقت اصبحت السفن الامريكية تؤدي دوراً كبيراً في النقل عبر المحيط واصبحت قبيل حرب الاستقلال تنقل ٧٥% من تجارة المستعمرات مع بريطانيا [٢].

ساعد تطور تجارة التصدير على قيام وتطور العلاقات الاقتصادية بين المستعمرات، فالنقل بين المستعمرات كان يتسع مع الوقت ويزداد عدد السفن التي تعمل فيه، ولم يلبث ان اتخذ طابعاً منتظماً، والاهم من ذلك ان البضائع المنقولة كانت في البداية هي البضائع المعدة للتصدير ولكن حجم البضائع المنتجة في المستعمرات والمعدة لارسالها إلى المستعمرات والمناطق الأخرى في امريكا كان يتزايد بمقدار ما كانت الزراعة والحرف تتطور هناك بحيث اصبحت التجارة الداخلية التي تقوم بها المستعمرات مع نيوانجلاند في ١٧١٦ "تساوي تقريباً تجارتها مع المتربول" حسب ما يؤكده احد الاقتصاديين البريطانيين [٣]

---

(1) Nettels , Op. Cit., PP.225-226.

(2) Fursenko, Tam zhe str. 34.

(3) Tsit. Tam zhe str. 35.

وفي ١٧٢٠ كان نحو ٢٠% من الحمولة التي غادرت ميناء نيويورك تتجه إلى موانئ المستعمرات الأخرى وليس إلى أوربا أو جزر الهند الغربية (١).

اما عن المواد التي كانت المستعمرات تتاجر بها مع بعضها فقد كانت تتالف في المرحلة الأولى من المواد الغذائية كالحبوب والطحين التي كانت المستعمرات الوسطى تصدرها إلى الشمال والجنوب والسمك والروم الذي كان يصدر من نيوانجلند إلى المستعمرات الجنوبية وبدرجة اقل إلى المستعمرات الوسطى.

وابتداءً من نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ومن اواسط القرن الثامن عشر على وجه الخصوص اصبحت المنتجات الصناعية تحتل مكاناً ملحوظاً في التجارة القائمة بين المستعمرات، فقد كانت نيوانجلند ومعها المستعمرات الوسطى وان بدرجة اقل تبيع إلى الجنوب المصنوعات الخشبية والسفن الصغيرة والبراميل والدلاء وغيرها من البضائع المصنوعة. كذلك احتلت المتاجرة بالحديد والمصنوعات الحديدية محلاً بارزاً في تجارة المستعمرات مع بعضها حيث كانت ماساتشيوستس تشتري الحديد الزهر من المستعمرات الأخرى وتصهره وتصنع منه القدور والمراجل والمسامير ومختلف الأدوات الأخرى ثم ترسلها للبيع في المستعمرات الجنوبية والوسطى. واعتباراً من أواسط القرن السابع عشر اصبحت بنسلفانيا تقوم بدور متزايد في تجارة الأدوات المصنوعة من الحديد ففي ١٧٥٢ صدر من فيلادلفيا أكثر من ٤٦٠٠ طن من القضبان الحديدية بيع القسم الاغلب منها في المستعمرات الأمريكية الأخرى وفي جزر الهند الغربية (٢) . وقد قدر لبنسلفانيا ان تصبح فيما بعد مصدراً غاية في الاهمية لتزويد المستعمرات بالادوات المستخدمة في الزراعة

(١) جون ستيل جوردون، المصدر السابق، ص ٦٥.

(2) Fursenko , Tam zhe str. 35.

ومختلف انواع الادوات المصنوعة من الحديد. وكانت الملابس هي الأخرى مادة مهمة من مواد التجارة بين المستعمرات حيث كانت نيوانجلند والمستعمرات الوسطى جزئياً تورد إلى الجنوب كمية لايستهان بها من الاحذية وتأخذ من هناك الخامات الضرورية لصناعتها. وكانت المستعمرات تتاجر بالمنسوجات الصوفية على الرغم من اجراءات المنع التي اتخذتها الحكومة البريطانية والتي ادت إلى ان تكون تجارة المنسوجات القطنية والملابس المصنوعة منها اوسع نطاقاً من تجارة المنسوجات الصوفية.

ظلت تجارة المستعمرات لوقت طويل تتركز بشكل كلي في الشريط الساحلي، ذلك ان البحر وبدرجة اقل الانهار كانت تؤلف الطرق التجارية الوحيدة. ولهذا فقد كانت تقام في المدن الساحلية ايام سوق كان سكان المستعمرات يبادلون فيها منتجاتهم كما كانت تقام ايضاً اسواق موسمية في المدن الكبيرة مرة أو مرتين في السنة يجري فيها تبادل بضائع المستعمرات على نطاق واسع.

اما المناطق الداخلية من البلاد فان التجارة فيها كانت تعتمد على حالة الطرق البرية التي كانت " قليلة غير جيدة ، وكانت الرحلة التي طولها بضع مئات من الاميال تستغرق عدة اسابيع بالعربة " (١) . وقد حتمت حالة الطرق البرية هذه على المستوطنين ان يستخدموا في المناطق التي لاتوجد فيها انهار يمكن ان تستخدم للمواصلات ، الحيوانات لحمل البضاعة أو جرها. واعتبارا من نهاية القرن السابع عشر بدأ بناء الطرق الصالحة لسير العربات التي تجرها الخيول، ولكن ذلك كان يجري ببطء شديد حتى يمكن القول ان المستعمرات لم تكن تمتلك ، حتى بداية حرب الاستقلال طرقاً كبيرة يمكن استخدامها لنقل كميات كبيرة من البضائع لمسافة طويلة نسبياً. لقد كانت المواصلات صعبة إلى

(١) فرانكاين اشر، المصدر السابق، ص ٣٢.

مثلاً ان بيلامونت الذي عين حاكماً عاماً لاقليم نيوانجلاند في اواخر القرن السابع عشر لاقى صعوبات كبيرة في الوصول من نيويورك إلى بوسطن [1].

لقد كان ذلك يعيق الاتصال بين المستعمرات ولهذا فلم تؤسس اتصالات بريدية فيما بينها الا في بداية القرن الثامن عشر. ومع ذلك فان هذه الاتصالات لم تكن في بداية الامر منتظمة وكان البريد ينقل على ظهور الحيوانات أو في عربات غير كبيرة وفي ١٧٥٦ اقيمت لأول مرة مواصلات لنقل الركاب بين نيويورك وفيلادلفيا. ومع ان المسافة بين المدينتين لاتتعدى ١٥٠ كيلومتراً فان قطعها كان يستغرق ثلاثة ايام ، وعندما ادخلت بعض التحسينات على المركبات المستخدمة بعد بضعة سنوات بحيث تقلصت المدة اللازمة للوصول إلى يومين، عد ذلك تطوراً كبيراً واطلق على العربة الجديدة اسم " السفينة الطائرة " [2].

كان النقص في النقود عقبة كبيرة اخرى تعيق التجارة الداخلية في المستعمرات. وسبب هذا النقص العجز الذي يعاني منه الميزان التجاري للمستعمرات مع انجلترا من جهة واصرار الحكومة الانجليزية على عدم تزويد المستعمرات بكمية كبيرة من النقود المعدنية لان الرأي السائد لدى الادارة الانجليزية هو ان المستعمرات يجب ان تزود انجلترا بالنقود وليس العكس تمشيا مع سياسة الميركانتلزم. وقد دفع النقص الكبير الذي كانت المستعمرات تحسه بالنقود المعدنية إلى ان يلجأ السكان هناك إلى استعمال بعض السلع بمثابة نقود، وقد استخدمت لهذا الغرض الواح الخشب في نيوهامبشير والحنطة واللحم والبازلاء والذرة الهندية والشعير في نيوانجلاند والمستعمرات الوسطى وكارولينا الشمالية، والتبغ في فرجينيا وميريلاند [3]. غير ان ذلك لم يساعد على حل المشكلة فالسلع التي استخدمت نقوداً كانت اقيامها تتذبذب باستمرار كما انها

(1) Guttridge, Op. cit., P.103.
(2) Fursenko, Tam zhe str. 36.
(3) Nettels , Op. Cit., P. 266.

كانت كبيرة الحجم يصعب نقلها وليست موحدة من حيث النوعية فبعضها جيد وبعضها الاخر رديء ، الامر الذي دفع إلى التمرد على قرارات منع سك النقود في المستعمرات ففي ١٦٥٢ بدأت ماساتشيوستس بسك نقدها الخاص على الرغم من القوانين الصارمة التي فرضتها بهذا الشأن الحكومة البريطانية [1].

لقد ساعد استخدام السلع نقوداً رغم مساوئ ذلك على تطور التداول النقدي وادى بشكل خاص إلى التوجه إلى استعمال النقود الورقية وهذا بدوره ساعد على تنشيط الحياة الاقتصادية في المستعمرات. وكانت ماساتشيوستس سباقة في استخدام هذا النوع الاخير من النقود فقد اصدرت في العام ١٦٩٠ صكوك ائتمان هي عبارة عن وعود دفع مستقبلية عدت أول نقود ورقية ليس في أمريكا فقط بل في العالم الغربي ايضاً [2].

لكن النقود الورقية لم تكن تستخدم الا في ميدان التجارة الداخلية، اما في ميدان التجارة الخارجية فلم تكن تستخدم الا النقود المعدنية التي كانت التجارة مع جزر الهند الغربية مصدراً مهماً للحصول عليها. والواقع ان جزر الهند الغربية لم تقتصر اهميتها بالنسبة للمستعمرات على كونها مصدراً للعملة المعدنية التي تحتاجها تلك المستعمرات بل تعدت ذلك إلى كونها سوقاً مهمة لبيع بضائع المستعمرات وركناً اساسياً من اركان ما يسمى بـ" التجارة الثلاثية " التي كانت قائمة بين المستعمرات وجزر الهند الغربية وافريقيا، حيث كانت نيوانجلاند تورد الطحين والسمك واللحم والملح والمواد الخشبية إلى جزر الهند الغربية وتحصل في مقابل ذلك على العملة اما نقداً أو على شكل حوالات ، كما تشتري من هناك السكر ودبس السكر الذي يستخدم في صناعة الروم المنتشرة على نطاق واسع في المستعمرات الشمالية حيث ينقله اصحاب السفن والتجار إلى افريقيا ويبادلونه

(1) جون ستيل جوردن ، المصدر السابق ، ص ٦٠.
(2) المصدر نفسه ، ص ٦٢.

هناك بالعبيد الذين يجلبوهم إلى العالم الجديد ويبيعوهم إلى اصحاب المزارع الكبيرة في جزر الهند الغربية والمستعمرات الجنوبية : جورجيا وميريلاند والكارولينيتين . وقد تكونت حول هذه التجارة الثلاثية في المستعمرات شبكة معقدة من المصالح يمكن عدها واحداً من العوامل المهمة التي ساعدت على نهوض اقتصاد المستعمرات [1].

وهكذا حقق التطور الاقتصادي في المستعمرات حتى أواسط القرن الثامن عشر نجاحات ملحوظة، فالى جانب تطور الزراعة وزيادة انتاج المحاصيل الزراعية تطورت الصناعة وظهرت في المستعمرات مراكز صناعية كبيرة نسبياً مثل لين وويلمنجتون وهيفرهل التي كان سكانها باجمعهم تقريبا يعملون في ميدان الصناعة. ونمت وتطورت المدن التجارية والصناعية مثل بوسطن ونيويورك وفيلادلفيا وازداد عدد السكان فيها، فقد بلغ عدد سكان فيلادلفيا آنذاك ٣٠ ألف نسمة وسكان بوسطن ٢٢ ألف نسمة وسكان إقليم نيويورك ٣٠ ألف نسمة اما مدينة نيويورك لوحدها فقد بلغ عدد سكانها ١٨ ألف نسمة [2]. كذلك ازداد عدد السكان على نطاق المستعمرات ككل ، وكانت الزيادة سريعة بحيث كان العدد يتضاعف كل خمس وعشرين سنة ففي الوقت الذي كان فيه عدد سكان المستعمرات في ١٦٩٠ حوالي ربع مليون اصبح في ١٧٧٥ أكثر من مليونين ونصف [3].

لقد ادى التطور الاقتصادي إلى زيادة الثروة وتركزها في ايدي فئة صغيرة نسبياً من الناس الامر الذي ادى إلى ان تظهر وتأخذ بالنمو في

(1) Faulkner, Op. Cit., PP.52-53; Fursenko, Tam zhe str. 37.

(2) United States Information Service, Op. Cit., PP.14, 16; Fursenko Tam zhe str. 38 foot note 79.

(3) United States Information service, Op. Cit., P.9.

المستعمرات البرجوازية التي كانت اعداد أفرادها ومقدار ثروتهم يزدادان مع الوقت.

كان ابعاد الهنود بالقوة والخداع والاستيلاء على اراضيهم واحداً من المصادر الاساسية لزيادة ثراء البرجوازية الأمريكية، فمن المعروف مثلاً ان بيتر جفرسون والد توماس جفرسون الرئيس الثالث للولايات المتحدة اشترى ارضاً مساحتها ٤٠٠ ايكر مربع بسطل من البنش [1] ، كما اشترى شخص اخر اسمه بيترمينوت جزيرة مانهاتن التي تؤلف في الوقت الحاضر مركز مدينة نيويورك باشياء تافهة لاتتعدى قيمتها ٢٤ دولاراً [2] . وكان التجار البيض في السنوات الأولى من الاستيطان يحصلون في مقابل حلي قيمتها بضعة شلنات على فرو قيمته عدة جنيهات استرلينية، فقد حصل جون سمث وهو احد مؤسسي جيمستاون على ٥٠ جلداً قيمتها ٢٥٠ دولاراً بقدر واحد من النحاس، وباع احد مستوطني نيوانجلند لهنود كانوا يعانون من سوء المحصول ٣٦٤ بوشلاً [3] من الذرة بـ ٣٦٤ فرو من فراء القندس [4].

يضاف إلى ذلك ان المستوطنين كانوا يتقدمون باستمرار نحو الغرب ويزيحون الهنود عن طريقهم ويستولون على اراضيهم بالقوة أو بالخداع بل كثيراً

(1) Ibid. P.18.

والبنش Punch نوع من المشروبات المسكرة يصنع من خليط من الكحول وعصير الليمون والتوابل والشاي والماء.

(2) انظر تفاصيل الصفقة في :

Davis, Op. Cit., P.37.

(3) البوشل Bushel مقياس لحجوم المواد السائلة والصلبة من نوع الحبوب وماشابهها في بريطانيا والبلدان التي تستخدم نظام المقاييس الانجليزي يعادل ٣٦,٣٦٨ لتراً . اما في الولايات المتحدة فانه لايستخدم الا لقياس حجوم المواد الصلبة من نوع الحبوب ويعادل هناك ٣٥,٢٣٨ لتراً.

(4) Fursenko, Tam zhe str. 39.

ما كانوا يمحقون قراهم ويقتلون سكانها دون ان يرحموا النساء والاطفال والشيوخ[1]. لقد كان شعار المستوطنين كما يذكر احد المؤرخين الأمريكان هو " المتوحشون يجب ان يذهبوا " وقد طوروه فيما بعد إلى شعار اخر اصدق تعبيراً عن موقفهم من الهنود هو " الهندي الجيد هو الهندي الميت فقط " [2] وهكذا قضى المستوطنون البيض على الكثير من قرى ومستوطنات الهنود ومحقوا الالاف من سكانها بحيث كانت مستوطناتهم " تؤسس على عظام ودماء السكان الهنود بالمعنى الحرفي للكلمة " [3].

وهكذا كان استغلال الهنود الحمر سواء بخداعهم أو بمحقهم والاستيلاء على اراضيهم مصدراً مهماً من مصادر تراكم رأس المال والثروة لدى المستوطنين البيض. اما المصدر المهم الاخر فهو التجارة الخارجية ولاسيما تجارة التهريب التي كانت مصدراً لثروات العديد من تجار نيوانجلند واصحاب السفن فيها. لقد كانت تجارة التهريب تدر ربحاً أكثر بكثير من التجارة الشرعية، وكانت تمارس على نطاق واسع من خلال التجارة الثلاثية التي كانت كما ذكرنا مصدراً يزود المستعمرات الجنوبية باليد العاملة ومصدراً للعملة المعدنية تجلبها المستعمرات من جزر الهند الغربية. لقد كانت الارباح التي تدرها تجارة العبيد والعمليات التجارية مع جزر الهند الغربية كبيرة إلى درجة جذبت اعداداً كبيرة جداً من سكان المستعمرات للمشاركة فيها. يكفي ان نقول ان عدد من كان يموت في الطريق من العبيد المنقولين من افريقيا كان كبيراً بحيث يبلغ في بعض الاحيان نصف العدد الكلي بسبب رداءة وسوء الظروف التي يحاطون بها اثناء

(1) انظر امثلة على ذلك في : فرانكلين آشر ، المصدر السابق، ص ٢٩ ؛
Efimov, Tam zhe str. 51-54.

(2) Tsit. Fursenko, Tam zhe str. 39.

(3) Tam zhe str. 39-40.

الأسر، ومع ذلك فان الربح من هذه التجارة كان كبيراً جداً بحيث انه كان يبلغ مئات بالمئة.

لقد كان تراكم الثروة على هذا النحو اساساً لظهور وتطور طبقة برجوازية نشطة في المستعمرات وكان التناقض بين مصالح هذه الطبقة ومصالح الرأسماليين الانجليز يزداد بمقدار ما كانت المستعمرات تتطور اقتصادياً ففي الوقت الذي كان فيه الرأسماليون الانجليز ينظرون إلى المستعمرات على انها مصدر للخامات وسوقاً لبيع منتجات الصناعة الانجليزية، تطورت البرجوازية الأمريكية وأخذت تنافس الانجليز في التجارة مع الهنود وفي بناء السفن وفي التجارة مع جزر الهند الغربية وغير ذلك من الميادين . وبمرور الوقت أصبحت مصالح هذه البرجوازية تتعارض أكثر فأكثر مع سياسة بريطانيا الأمر الذي جعلها تتخذ موقف المعارضة تجاه هذه السياسة. وكانت هذه المعارضة تشتد مع الوقت بالارتباط مع اتساع وتعمق التطورات الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات إلى ان بلغت حد العمل من اجل الاستقلال عن بريطانيا.

الفصل الخامس

الحياة السياسية والثقافية في المستعمرات الانجليزية

الحياة السياسية :

كان القسم الأغلب من المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد قبل حرب الاستقلال يعد ملكاً للتاج البريطاني ويخضع لإدارة السلطة الملكية بشكل مباشر، وكان الملك الانجليزي يعين حكام هذا القسم من المستعمرات من بين افراد الطبقة الارستقراطية أو من بين الموظفين الملكيين في المستعمرات أو كانوا يرسلون من انجلترا . وقد شذت عن ذلك مستعمرتان ملكيتان هما كونيكتيكوت ورود ايلند ، اللتان كان لسكانهما الحق في انتخاب حكامهما، غير ان الاشخاص الذين ينتخبون حكاماً بهذه الطريقة كان يتوجب عليهم ان يحصلوا على مصادقة الملك على انتخابهم قبل ان يباشروا بمهام مناصبهم. والى جانب ذلك كان هناك عدد من المستعمرات مثل ميريلاند وبنسلفانيا وديلاوير ظلت فيها سلطة الاشخاص الذين امتلكوها بموجب براءات خاصة صادرة عن الملك الانجليزي[1]، قائمة حتى حرب الاستقلال وقد احتفظ هؤلاء الملاك بالحق في تعيين حكام هذه المستعمرات ، ولكن في هذه الحالة ايضاً يتوجب على هؤلاء الحكام ان يستحصلوا موافقة الملك الانجليزي على تعيينهم.

تعد مستعمرة فرجينيا مثلاً نموذجاً للنوع الأول من المستعمرات فبعد ان الغيت في ١٦٢٤ شركة فرجينيا التي كانت براءات ١٦٠٩ و١٦١٢ قد نقلت

---

(١) انظر الفصل الثالث.

إليها ادارة المستعمرة [١] انتقلت حقوقها وسلطاتها إلى الملك الانجليزي ولكن الاطار السياسي للمستعمرة ظل دون تغيير بما في ذلك الجمعية المنتخبة من السكان التي كانت الشركة قد سمحت بتأسيسها واجتمعت لأول مرة في ٩ آب ١٦١٩ . لقد اصبح الملك الانجليزي الان هو الذي يعين حاكم المستعمرة مباشرة وكان هذا الحاكم في العادة انجليزياً ينتمي إلى الطبقة العليا من المجتمع مهمته ان يحمي السلطة الانجليزية في المستعمرة ويحافظ عليها، ولهذا فقد منح سلطات واسعة جداً فهو الذي يطبق القوانين ويقود المليشيا المحلية ويملك الأرض باسم الملك ويدعو الهيئة التشريعية إلى الاجتماع ومن حقه ان يعترض على قراراتها أو يؤجل اجتماعاتها أو يحلها ويجري انتخابات جديدة . لقد كان من حقه ايضا تعيين الموظفين في المستعمرة، وقد مكنته سلطته هذه في التعيين من ان يؤلف مجموعة من الاتباع ومن ان يسيطر في بعض الحالات على الجمعية التشريعية لاسيما وان قانون ١٦٨٠ جعله مستقلاً عن الهيئة التشريعية لانه جعل راتبه لايعتمد على الجمعية التشريعية، كما كان الحال قبل ذلك بل يأتي من ضريبة جديدة فرضها هذا القانون مقدارها سنتان عن كل هوگشيد [٢] من التبغ المصدر إلى الخارج [٣].

اما الهيئة التشريعية في فرجينيا فقد كانت تتألف من مجلسين يتكون الأول من ستة اعضاء يعينهم الملك من بين سكان المستعمرة الاثرياء ذوي النفوذ. وكان اطلاع هؤلاء على الشؤون المحلية وارتباطاتهم الواسعة تعطيهم امتيازاً على الحاكم الذي كان مضطراً بسبب كونه غريباً عن المستعمرة ان

(١) انظر نص هاتين البراءتين في :
Commager, Op. Cit., PP.10-13.

(٢) الهوگشيد Hogshead برميل سعته ما بين ٦٣ و١٤٠ غالوناً وهو في أمريكا مقياس للسوائل يعادل ٦٣ غالوناً.

(٣) Nettels , Op. Cit., P.165.

يعتمد عليهم في اغلب الاحيان في الحصول على المعلومات والمشورة. لقد كان بامكان هذا المجلس ان يقترح اللوائح القانونية ويلغي التدابير التي يقرها المجلس الثاني أي الجمعية المنتخبة. ولهذا فقد كان هذا المجلس عبارة عن " اوليكاركية تستطيع ان تدبط اعمال المجلس المنتخب [من السكان] وان تكبح العدواني من الحكام وتسيطر على الضعيف منهم وتساوم من يقبل منهم بيع المنافع بثمن " [١]. اما المجلس الثاني أو الادنى في الهيئة التشريعية فكان يتألف من اعضاء ينتخبهم السكان وكان لهذا المجلس الحق في سن القوانين واصدار القرارات على ان لاتتعارض مع القوانين المعمول بها في انجلترا، والجهة التي تحدد تعارض هذه القوانين مع قوانين انجلترا من عدمه هي حاكم المستعمرة. والقوانين التي يصدرها هذا المجلس خاضعة للنقض من قبل الملك الانجليزي ، لكن اذا اقر القانون لايعود بامكان الملك الغاؤه، الجهة التي لها الحق في الغائه في هذه الحالة هي الهيئة التشريعية في المستعمرة أو البرلمان الانجليزي. وقد كان لهذا المبدأ اهمية كبيرة بالنسبة لسكان المستعمرات إذ انه كان يحميهم من تحكم الملك وتعسفه وتدخله في امور ذات اهمية اساسية بالنسبة لهم، طالما ان كل مستعمرة قد تراكمت فيها بمرور الزمن مجموعة كبيرة من القوانين تنظم مختلف شؤون الحياة فيها [٢]. والواقع ان هذا المجلس كان قبل ١٦٨٩ يشغل مركزاً ثانوياً في شؤون الحكم في المستعمرة وذلك بسبب الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها حاكم المستعمرة والمجلس الاعلى للهيئة التشريعية والقيود التي يفرضونها عليه. ويبدو ان جميع الرجال الاحرار أي الذين لم يكونوا عبيداً أو خدم تعاقد كان لهم قبل ١٦٧٠ الحق في التصويت في انتخابات النواب، ولكن قانوني ١٦٧٠ و١٦٨٤ حددا حق التصويت بمالكي الأرض الاحرار وحرما من

(1) Nettels , Op. Cit., P.166.

(2) See Bernhard Knollenberg, Origin of the American Revolution, Indianapolis, 1961, PP.35-36.

هذا الحق الاحرار من الرجال الذين لم تكن لديهم ارض يمتلكونها بحجة ان هؤلاء كانوا يقومون بـ " شغب " في الانتخابات ويختارون اشخاصاً " غير مناسبين " نواباً في المجلس، وبهذا يكون هذان القانونان قد " شددا من قبضة اوليكاركية الثروة على حكومة المستعمرة " (١).

ان هذا الشكل من الحكم الذي كان قائماً في فرجينيا هو نفسه الذي كان موجوداً بوجه عام في جميع المستعمرات الملكية الأخرى.

ويختلف الامر عن ذلك في مستعمرتي كونيكتيكوت ورود ايلند ، ففي كونيكتيكوت كان الرجال الاحرار يجتمعون مرة في السنة لانتخاب حاكم المستعمرة وهيئة مساعدين له. وكان على كل من هارتفورد Hartford وندسور Windsor وذرزفيلد Wethersfield وهي المستوطنات الثلاث التي تتالف منها المستعمرة ان تختار أربعة مندوبين يؤلفون مع الحاكم ومساعديه هيئة عامة يدخل في سلطتها منح الأرض وفرض الضرائب وسن القوانين وتعيين الرجال الاحرار الذين يحق لهم وحدهم انتخاب الحاكم والمساعدين والمندوبين، والهيئة العامة هذه تفوق الحاكم في اهميتها حيث لايمكن ان تحل أو يؤجل اجتماعها الا بقرار من اغلبية اعضائها ، كما يمكن ان تدعى للاجتماع دون موافقة الحاكم، وليس للحاكم الحق في الاعتراض على التدابير والاجراءات التي تتخذها بل انه لايشترك في التصويت الذي يجري فيها الا في حالة تعادل الاصوات، كما انه لايجوز ان يبقى في منصبه أكثر من سنتين متتاليتين ولايكون مؤهلاً لان ينتخب حاكماً الا اذا كان قد خدم في منصب مساعد الحاكم قبل ذلك، والمساعد لايجوز ان يبقى في منصبه أكثر من سنة واحدة. ومع انه لايوجد في كونيكتيكوت شرط للمشاركة في الانتخابات يتعلق بالمعتقد الديني الا ان حق الانتخاب كان محصوراً بالرجال الاحرار، والهيئة العامة عند تعيينها لهؤلاء

(1) Nettels , Op. Cit., P.166.

تقبل الا رجالا "من المعتقد القديم " ، كما ان الحاكم لايمكن ان يكون الا من افراد الطائفة الدينية المقبولة، وكان جميع قادة كونيكتيكوت يرفضون فكرة التسامح ويعتقدون بان الدولة يجب ان تعمل مع الكنيسة للمحافظة على انتظام العقيدة الدينية، وقد صدرت في المستعمرة قوانين فيها تمييز واضح ضد من ينتمي الى طوائف دينية غير الكنيسة البيوريتانية السائدة هناك (١).

كان الوضع في رود ايلند مشابهاً لما كان عليه في كونيكتيكوت الا ان سكان تلك المستعمرة اصروا على فصل الكنيسة عن الدولة فصلاً تاماً فالحرية الدينية كانت تعني عندهم الحق في العبادة دون اكراه من جانب السلطة الزمنية على الرغم من انها لاتعفي الفرد من دفع الضرائب أو من العقوبة التي تفرض عليه في حالة الثورة على الحكومة أو حتى مقاومتها (٢).

اما عن المستعمرات التي يملكها اشخاص منفردون مثل ميريلاند ومين وبنسلفانيا أو مجموعة من الاشخاص مثل كارولينا فان نظام الحكم والادارة فيها كان متشابهاً. ان البراءات التي منحت بموجبها ملكية هذه المستعمرات باستثناء بنسلفانيا كانت تمنح مالكيها حقوقاً وصلاحيات واسعة تجعلهم من الناحية العملية حكاماً ذوي سيادة تقريباً في المناطق التي يمتلكونها (٣) . فقد كانوا يمتلكون الأرض ولهم الحق في ان يهبوها لمن يشاؤون ، كما انهم كانوا يمنحون الالقاب الاقطاعية ويعينون الموظفين دون الحاجة إلى مصادقة الملك على هذه التعيينات، وباعتبارهم مصدر العدالة فانهم كانوا يقيمون المحاكم وينظرون في استئناف

(1) Nettels , Op. Cit., PP.173-174.
(2) Ibid . PP.180-181.
(٣) انظر نص براءة ميريلاند مثلا في :
Commager , Op. Cit., PP.21-22.
وانظر تحليلاً لهذه البراءة في :
Andrews, Op. Cit., PP.36-46.

الاحكام ويعاقبون المذنبين أو يعفون عنهم، ويدخل في سلطتهم انـشاء وتجهيز وقيادة الجيوش للدفاع عن مستعمراتهم وتأسيس الكنائس وتعيين رجـال الـدين وسن القوانين واصدار الاوامر وفرض المراسـيم وتأسـيس المـدن والمـوانئ والاسواق والمعارض. وباختصار كان بامكانهم ان يفعلوا أي شيء بشرط واحد فقط هو ان القوانين التي يصدروها والقرارات التي يتخذونها يجـب ان تماثل القوانين السائدة في انجلترا والاحكام التي تصدرها محـاكمهم تكـون خاضعة للاستئناف لدى الملك الانجليزي.

لكن ذلك لم يكن ينطبق على بنسلفانيا فالبراءة التي منحت لبن بملكيتها لم تمنحه كل تلك الحقوق بل ان القوانين التي كانت تصدر فيها كان يتوجب رفعها إلى الملك في خلال خمس سنوات ويمكن للملك ان يلغيها خلال مدة ستة اشهر من تاريخ وصولها اليه، كذلك كان على بن ان يعين وكيلاً له يقيم فـي انجلترا للاجابة على التهم التي توجه اليه ، كما كان بامكان الملك الانجليزي والبرلمان فرض الضرائب على المستعمرة. وفيما عدا ذلك كان بن يتمتع بالحقوق الأخرى التي منحت لمالكي المستعمرات الاخرين.

كان المالكون في جميع المستعمرات من هـذا النـوع يعينـون الحكام ويعزلوهم متى شاؤوا ويفوضوهم السلطات التي يتمتعـون هـم بهـا ويعينون القوانين التي ينبغي عليهم ان يصدروها [1]. لهذا فان السلطات الواسعة الممنوحة للمالكين كان يمارسها فعلياً، لمصلحة هؤلاء المـالكين ، الحكـام الـذين كان المالكون يعينونهم في مستعمراتهم والذين كان همهم الأول حماية مصالح اولئك المالكين.

اما عن مؤسسات الحكم الأخرى في المستعمرات المملوكة فان اختلافات واضحة نشأت وتطورت وجعلت هذه المؤسسات تختلف بعض الـشيء بعضها

(1) Nettels , Op. Cit., PP.181-183.

عن البعض الأخر وان ظلت تتشابه في خصائصها العامة. ان المؤسسات التـي نجدها هنا هي مجلس الحاكم والجمعية التشريعية في كـل مـستعمرة ، ففـي ميريلاند كان مالك المستعمرة اللورد بالتيمور يعين أعضاء مجلس الحاكم. وكان التعيين عادة بتوصية من الحاكم ، وهم يستمرون اعضاء في المجلس طيلـة حياتهم ومهمتهم مراقبة الحكام واجبارهم على العمل حسب توجيهات المالك. اما الجمعية التشريعية فقد حصل فيها في عام ١٦٥٠ تطور هام إذ كان الحاكم قبـل هذا التاريخ يتشاور مع سكان المستعمرة في سن القوانين للمستعمرة عن طريـق دعوتهم إلى اجتماع عام يحضره جميع الرجال الاحرار أو من يوكلونه للحضور نيابة عنهم [1]، وقد استعيض عن هذه الاجتماعات العامة في سنة ١٦٥٠ بخطـة تقضي بانتخاب السكان لممثلين عنهم كانوا في بداية الامر يجتمعون سوية مع الحاكم ومجلسه لكنهم لم يلبثوا ان اخذوا يجتمعون في قاعة منفصلة خاصـة بهم وقد زادت هذه الممارسة الاخيرة من اهمية الجمعية واستقلاليتها ، ولكنهـا من الناحية الأخرى إلى تعزيز وتوسيع سلطة مجلس الحاكم لأنهـا اعطتـه سلطة معارضة ما يقرره ممثلو السكان في الجمعية. وعلى الرغم من المكتسبات التي حققها مستوطنو ميريلاند الاحرار الا ان الحكم في هذه المـستعمرة كـان حكماً اوليكاركيا خاضعاً لمالك المستعمرة كالفرت (اللورد بالتيمور) ، فالحـاكم الذي يعينه كالفرت كان يتمتع بسلطة تعطيل وحل الجمعية التشريعية والاعتراض على قراراتها، كما ان الحق في تعيين الموظفين الذي انيط به ايضاً مكنـه مـن السيطرة على الادارة العامة في المستعمرة عن طريق تعيين انصاره في المراكز

(1) عقد أول اجتماع من هذا النوع في عام ١٦٣٥ ولاتتوفر معلومات عما دار في هذا الاجتماع بسبب تدمير السجلات القديمة الخاصة بالمستعمرة ، واول دورة للجمعيـة حفظت السجلات الخاصة بها هي تلك التي عقدت في سنت ميري في المدة من ٢٥ كانون الثاني إلى ٢٤ آذار ١٦٣٨. انظر:
Andrews, Op. Cit., PP.76-77.

المؤثرة. كذلك كان من حق مجلس الحاكم ان يعارض قرارات الجمعية كما ذكرنا رغم ان هذه الجمعية منتخبة من السكان، علماً بانه، أي المجلس ، كان يتالف من اشخاص يجري اختيارهم بعناية ، ففي عام ١٦٦٩ كان هذا المجلس يضم ثلاثة من عائلة كالفرت بالاضافة إلى واحد من انسباء تلك العائلة واثنان من اصدقائها (١). ولم يكن للسكان ولا لممثليهم في الجمعية التشريعية أي سيطرة على تعيين موظفي الادارة أو منح الأرض أو على أي عمل تنفيذي. ومع ذلك فقد كان للجمعية الحق في اقتراح القوانين، كما انها حددت حق الحاكم في ممارسة النقض بمدة لاتتجاوز ثمانية عشر شهراً ، والاهم من ذلك ان الضرائب لم تكن تفرض والقوانين لم تكن تسن دون موافقة الجمعية التشريعية " وعلى ذلك فالرجال الاحرار كانوا يستطيعون مقاومة المالك حتى لو لم يستطيعوا السيطرة عليه" (٢).

ومع ان الكارولينتين كانتا من جملة المستعمرات المملوكة فان ملكيتها لم تكن تعود لشخص واحد كما ذكرنا بل لعدة اشخاص عددهم ثمانية. وعلى الرغم من فشل هؤلاء المالكين في فرض " الانظمة الاساسية " للاسباب التي ذكرناها فان هذه الانظمة التي وضعت لتكون اساساً لحكم المستعمرتين كان لها تأثير مهم على التطور السياسي فيها. لقد ميزت هذه الانظمة الابرز بين المالكين وسمته " بلاطين " (٣) ، واكدت في الوقت نفسه على ان كل واحد من المالكين ينبغي ان يكون له نفوذ يمارسه في شؤون المستعمرتين . وكان الحاكم في المستعمرة يعين من قبل " البلاطين " في حين يعين كل واحد من المالكين الاخرين نائباً له ويؤلف هؤلاء النواب مع الحاكم مجلساً يكون فيه الجميع متساوين، وكان هؤلاء

---

(١) Nettels , Op. Cit., P.184.

(٢) Ibid. P.185.

(٣) بلاطين Palatine هي التسمية التي تطلق على الأمير الاقطاعي الذي له امتيازات ملكية في مقاطعته.

النواب في بعض الاحيان يجتمعون مع عدد من الاشخاص المنتخبين من قبل السكان فيؤلفون مجلساً اكبر مهمته اعداد اللوائح القانونية وصرف النقود التي تفرضها الهيئة التشريعية وحشد القوات المسلحة واعلان الحرب والتفاوض لعقد المعاهدات ... الخ . وقد ظل الوضع على هذه الشاكلة حتى عام ١٦٩١ ففي ذلك العام اصبح جميع اعضاء المجلس يعينون من قبل المالكين، اما الهيئة التشريعية في كل من الكارولينتين فكانت تتألف من حاكم المستعمرة ونواب المالكين الذين اشرنا اليهم واعضاء ينتخبهم السكان الاحرار الذين يملكون ارضاً. وكان وضع هؤلاء الاعضاء المنتخبين في أول الامر ثانوياً لان قراراتهم كانت خاضعة للنقض من قبل نواب المالكين أو للاهمال من قبل المالكين انفسهم، كما ان مهمتهم كانت تقتصر على النظر في اللوائح التي تقدم اليهم من المجلس الاعلى الذي ذكرناه اعلاه، أي انهم لم يكن بامكانهم ان يقترحوا القوانين التي يرونها لازمة للمستعمرة . لكن مكانتهم ازدادت وتأثيرهم اتسع حين منحهم المالكون عام ١٦٩٣ الحق في اعداد اللوائح القانونية واحالتها للتشريع (١).

كان الوضع في بنسلفانيا التي كانت هي ايضاً من المستعمرات المملوكة مختلفاً عن ذلك بشكل ظاهر، فقد نص " هيكل الحكم " الأول الذي اصدره مالك المستعمرة بن في نيسان ١٦٨٢ على تأسيس مجلس يتألف من ٧٢ عضواً ينتخبهم سكان المستعمرة الذين يملكون ارضاً، ويدخل في اختصاصه اقتراح التدابير والقوانين الواجب اقرارها. كذلك نص الهيكل المذكور على تشكيل جمعية تتالف من ٢٠٠ عضو يجري انتخابهم بنفس الطريقة من قبل مالكي الأرض في المستعمرة ويدخل في سلطة هذه الجمعية قبول أو رفض اللوائح القانونية التي يعرضها عليها المجلس . وكان لحاكم المستعمرة الذي يعينه بن ثلاثة اصوات في المجلس لكنه لم يكن يمتلك سلطة نقض القرارات التي يتخذها

---

(1) Nettels , Op. Cit., PP. 186-188.

المجلس أو الجمعية . وفي عام ١٦٨٣ صدر هيكل جديد لادارة المستعمرة تقلص بموجبه عدد اعضاء المجلس إلى ١٨ عضواً وعدد اعضاء الجمعية إلى ٣٦ عضواً، واعطى للجمعية الحق في تعديل اللوائح التي يقترحها المجلس وادخل في سلطتها منح حق الانتخاب لمن يمتلك خمسين ايكراً من الأرض أو ملكية اخرى لاتقل قيمتها عن خمسين جنيهاً استرلينياً. وبموجب الهيكل الثالث الذي صدر في ١٦٩٦ أصبح عدد اعضاء المجلس ١٢ عضواً وعدد اعضاء الجمعية ٢٤ عضواً واصبح للجمعية الحق في اقتراح القوانين. وبسبب النزاعات التي كانت تحصل بين المجلس والجمعية وادعاء كل منهما بانه يمثل الناخبين صدر الهيكل الرابع في ١٧٠١ وبمقتضاه اصبحت السلطة التشريعية باجمعها من اختصاص الجمعية وتحدد عمل المجلس بالمجالين التنفيذي والقضائي فقط [1] وبهذا تكون الهيئة التشريعية في بنسلفانيا قد اصبحت تتألف من مجلس واحد، وهو امر ينبغي ان لاينظر اليه على انه نصر للديموقراطية لان اثرياء المستعمرة كانوا يسيطرون على ذلك المجلس ويوجهونه كما يريدون.

يظهر مما ذكر اعلاه ان جميع المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد باستثناء رودايلاند وكونيكتيكوت اللتين كانتا تتمتعان بحكام وهيئات تشريعية منتخبة بالكامل وماساتشيوستس التي كان المجلس فيها منتخباً، كان يسود فيها نفس الشكل من الحكم تقريباً، فالملك أو مالك المستعمرة يعين الحاكم وهذا بدوره يعين المجلس من بين السكان الاثرياء في الغالب. ويكون الحاكم عادة انجليزياً وان كان ذلك غير حتمي وغالباً ما يكون عسكرياً وكثيراً ما يكون الحاكم متغيباً فيقوم بواجباته نائب الحاكم. وحدث ان عين بعض الحكام قواداً عامين لكل القوات الانجليزية في أمريكا الشمالية بالاضافة إلى كونهم قواداً عامين للقوات

(1) Ibid. P.189.

المسلحة في مستعمراتهم [1] . كذلك كان لكل المستعمرات جمعيات منتخبة استطاعت ان تحوز مع الزمن، الحق بتشريع القوانين وفرض الضرائب بما يتفق وقوانين انجلترا والبراءات التي اسست بموجبها المستعمرات.

لقد شهد القرن الثامن عشر تطوراً سريعاً للطبقة الحاكمة في المستعمرات حيث اصبح المجلس في اغلب المستعمرات القوة السياسية الأولى، فاعضاؤه الذين يجري اختيارهم من افراد الاسر الثرية كانوا يستطيعون التأثير على الحكام بما يمتلكونه من خبرة ودراية في الشؤون المحلية وهي خبرة يفتقر اليها الحكام الذين يعينون من انجلترا ويتبدلون باستمرار. ومن الناحية الأخرى فان نفوذ المجلس يتفوق على نفوذ الجمعية المنتخبة بسبب ما يمتلكه اعضاؤه من اصوات في الهيئة التشريعية وبسبب طول مدة بقائهم في مناصبهم ومع ذلك فقد قامت الجمعيات المنتخبة بدور مهم في الحياة السياسية في المستعمرات حيث كان صغار الملاك يستطيعون من خلالها مقاومة المجلس الذي يمثل الارستقراطية.

ومع ذلك فان الجمعية المنتخبة لم تكن هيئة ديموقراطية لان حق الاقتراع كان مقتصراً على اصحاب الملكية مما ادى إلى ان يحرم من هذا الحق عمال التعاقد ومستأجرو الأرض من المزارعين وكل من يشتغل بالاجرة، أي ان جميع هؤلاء كانوا محرومين من المشاركة في الحياة السياسية. ان الجمعيات التشريعية في المستعمرات كانت في واقع الامر تابعة لحكام تلك المستعمرات ولكن اولئك الحكام كانوا ايضاً تابعين بشكل ما للجمعيات التشريعية في المستعمرات التي يحكموها ذلك ان تلك الجمعيات هي التي تقرر لهم رواتبهم وتصرفها لهم ، وحدث في أكثر من مناسبة ان حجزت الجمعية راتب الحاكم عقاباً له على تعطيله الجمعية عن سن القوانين [2].

(1) See Wright, Op. Cit., P.5.

(2) فرانكلين آشر، المصدر السابق ، ص ٣٢.

وهكذا قام بين حكام المستعمرات والجمعيات التشريعية فيها صراع حاد استمر وتواصل طيلة المرحلة الكولنيالية، فالعلية السائدة في المستعمرات والمتمثلة باصحاب المزارع الكبيرة في الجنوب والتجار ومالكي الأرض في المستعمرات الوسطى والشمالية وبممثلي الكنيسة السائدة كانت تسيطر على الجمعيات التشريعية لان ممثليها يؤلفون اغلبية اعضاء تلك الجمعيات، وكان احساسها بقوتها وسيطرتها على الاوضاع يزداد بمقدار ما كان النمو الاقتصادي يتسع في المستعمرات وتتطور فيها الزراعة والصناعة ولهذا فان ميلها للخضوع للقيود التي تجسدها سلطة الحكام كان يقل شيئاً فشيئاً.

لقد كانت الجمعيات التشريعية في المستعمرات تكافح باصرار من أجل توسيع حقوقها ومن أجل ان تتحول إلى مؤسسات أكثر نفوذاً وفاعلية في حياة المستعمرات، ويمكن القول انها استطاعت حتى نهاية المرحلة الكولنيالية ان تحقق ذلك بدرجة لايستهان بها إذ اصبحت تتمتع بحقوق واسعة منها تشريع القوانين وتأليف الحكومات المحلية وفرض الضرائب واقرار المصروفات العامة وكانت تستخدم صلاحياتها المالية لمراقبة الحكام [1]. لقد وقع حكام المستعمرات، باستثناء حاكمي كونيكتيكوت ورودايلند اللذين كان ينتخبهما السكان ولذلك فانهما لم يكونا يمثلان سلطة خارجية، وقعوا بين نارين فالحاكم من هؤلاء كان يتعرض للضغط من المستوطنين الذين كانوا يطالبون بحقوق وامتيازات جديدة باستمرار من جهة، ومن الجهة الأخرى كانت لديه تعليمات صريحة من السلطة الملكية أو من مالكي المستعمرة تلزمه بعدم الاستجابة لرغبات المستوطنين [2]. وغالباً ما كانت الحروب التي كانت تقوم مع فرنسا أو مع الهنود فرصة لانتزاع الامتيازات من حكام المستعمرات ، تنتهزها الجمعيات التشريعية . لقد ظهر ذلك واضحا

(1) Mclaughlin, Op. Cit., P.88.
(2) Wright, Op. Cit., P.6.

اثناء الحرب بين فرنسا وبريطانيا في ١٧٥٤-١٧٦٣ التي وقع العبء الاساس فيها في العالم الجديد على عاتق المستعمرات التي اضطلعت بالجزء الأكبر من المجهود الحربي هناك وكانت بريطانيا مدينة بالنصر الذي حققته هناك لجهود تلك المستعمرات.

ومع ذلك فان الصراع السياسي في المستعمرات لم يقتصر على النزاع الذي احتدم بين الجمعيات التشريعية والحكام، فكفاح المستوطنين من اجل اشاعة الديموقراطية في الانظمة السياسية وتوسيع حق الانتخاب كان يؤلف وجهاً مهماً آخر من اوجه الحياة السياسية هناك. ومع ان الجمعيات التشريعية في المستعمرات كان " في وسعها ان تقاوم الحاكم الملكي وان تتعبه وتضايقه كثيراً"[1] الا ان المزارعين لم يكن بامكانهم تحقيق مطالبهم من خلالها لان السيطرة على هذه الجمعيات كانت تعود للتجار ومالكي الأرض وهم اقلية بين سكان المستعمرات والسبب في ذلك هو ان حق الانتخاب كان مقيداً بجملة من الشروط المالية والدينية تجعل الاغلبية في تلك الجمعيات وقفاً على " الطبقة السائدة التي تحتكر كل المناصب المهمة " [2]، ففي بنسلفانيا مثلاً وهي واحدة من اكثر المستعمرات ديموقراطية كانت المقاطعات الساحلية الثلاث: تشستر Chester وبوكس Buks وفيلادلفيا Pliladelphia في ١٧٦٤ تنتخب إلى الجمعية التشريعية في المستعمرة ٢٦ مندوباً في حين تنتخب المقاطعات الحدودية الخمس، عشرة مندوبين فقط [3].

وكانت نسبة من يحق لهم التصويت في المناطق الريفية من بنسلفانيا ٨% فقط اما في العاصمة فيلادلفيا فلم تتعد هذه النسبة ٢% من السكان [4].

(1) ستيفن فنسنت بنيه ، المصدر السابق، ص٤٠.
(2) Wright, Op. Cit., P.6.
(3) Faulkner, Op. Cit., P.39.
(4) Fursenko, Tam zhe str. 43.

وكان الوضع مشابهاً لذلك في فرجينيا حيث " كان الـ ١٩٠٠٠ من الرجال الذين يعيشون في اسفل الشلالات يصنعون القوانين لاكثر من ٣٠٠٠٠ يسكنون في الاجزاء الأخرى من الولاية ويعينون كل رؤسائهم التنفيذيين والقضائيين" على حد تعبير جفرسون [1] .

وهكذا فقد حرم بسبب الشروط المالية المفروضة على حق الانتخاب وغيرها من الشروط فقراء المدينة والريف من المشاركة في الانتخابات وبالتالي من الاسهام في الحياة السياسية ، الامر الذي دفع السكان ولاسيما مزارعي الحدود الذين كانت لهم خلافات اخرى مع السلطات الحاكمة [2] في المستعمرات إلى ان يطرحوا، إلى جانب المطالب الاقتصادية ، مطالب سياسية تهدف إلى اشاعة الديموقراطية في الحياة السياسية في المستعمرات ويصروا على المساواة في التمثيل في الجمعيات التشريعية .

وهكذا تواصل الصراع السياسي في المستعمرات طيلة المرحلة الكولنيالية وتحول في احيان كثيرة إلى انتفاضات علنية اكبرها انتفاضة بيكون في فرجينيا وانتفاضة ليسلر في نيويورك وانتفاضة " المنظمين " التي قادها برندركاست في نيويورك ايضاً.

قامت انتفاضة بيكون في فرجينيا عام ١٦٧٦ لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية متعددة تأتي في مقدمتها المطالبة بمنح حق الانتخاب لجميع المواطنين الاحرا ر" وذلك لان الطبقة العاملة وطبقة العبيد وصغار الفلاحين شعروا كلهم انهم مغيبون فالذي لا أرض له لايحق له الاقتراع والذي لايملك مالاً

(1) Quoted in Faulkner, Op. Cit., P.39.
انظر حول ذلك ايضاً: تشارلز وماري بيرد، المصدر السابق ، ص ٨١-٨٢.

(2) انظر ص ٧٩-٨٠.

لاصوت له في المجال السياسي " [1]. اما السبب المباشر للانتفاضة فكان هجوم قام به الهنود على احدى مستوطنات الحدود، فتوجه ناتانيل بيكون، وكان يمتلك احدى المزارع في منطقة الحدود، إلى حاكم فرجينيا طلباً للمساعدة وجمع الحاكم في البداية فصيلاً من المتطوعين لكنه لم يلبث ان سرحه " وذلك لخوفه من ابقاء السلاح في ايدي المزارعين الذين جمعهم من جهة وعدم رغبته في توتير العلاقات مع الهنود كي لايسيء إلى تجارة الفراء التي كان هو شخصياً ذا مصلحة في ازدهارها من جهة اخرى " [2]. عند ذلك جمع بيكون فصيلاً من سكان الحدود واقتص بنفسه من الهنود ثم اتجه نحو جيمستاون عاصمة فرجينيا. ومع ان حاكم فرجينيا اعتقله الا ان سكان المدينة ثاروا واجبروا الحاكم على اخلاء سبيله فعاد إلى منطقة الحدود لكنه لم يلبث ان رجع واحتل جيمستاون وفرض على الحاكم اتخاذ تدابير اصلاحية عديدة واعلن منح حق الانتخاب لجميع المستوطنين الاحرار واعاد انتخاب الجمعية التشريعية. لكن الانتفاضة كانت سيئة التنظيم إذ ما ان مات بيكون فجأة بمرض الملاريا حتى ساد الاضطراب في صفوف انصاره وتمكنت السلطات من اعادة سيطرتها على الوضع فالغت جميع الانجازات التي حققها الثوار [3].

لقد قضي على انتفاضة بيكون لكن اثرها كان كبيراً ، ولا أدل على ذلك من ان منظمي الانتفاضات الشعبية ظلوا حتى بعد مضي سنوات كثيرة بعدها يعدون من اتباع بيكون ويطلق عليهم اسم " البيكونيون " [4].

(1) الن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق، ص ٢٨.

(2) Fursenko, Tam zhe str.22.

(3) انظر تفصيلات حول انتفاضة بيكون في : توماس جي . ورتن، قرص الشمس الدامي " في ميرز ، المصدر السابق ، ص ٥٦-٦٢ ؛
Morison, Op. Cit., PP.111-115; Mclaughlin, Op. Cit., PP.37-39; Davis, Op. Cit., PP.51-52.

(4) Fursenko, Tam zhe str. 23.

اما انتفاضة ليسلر فكانت مرتبطة بالإجراءات التي اتخذها جيمس الثاني حين عمد في ١٦٨٦ إلى ضم نيوانجلند ونيويورك ونيوجرسي بشكل اعتباطي في مقاطعة ملكية واحدة وعين لحكمها شخص يدعى ادموند انـدروس " وهو رجل نظام صارم لاهم له الا جمع المال والثروة للخزينة الملكية " فقام هذا بحل محاكم المستعمرات " ونصب نفسه قاضياً وراقب الصحافة وفـرض ضرائب باهضة، وعلى العموم أخذ يحكم دون ان يعير ارادة الشعب ادنـى اهتمـام"[١] فثار سكان نيويورك بقيادة جاكوب ليسلر في ١٦٨٩ وطردوا مبعوث انـدروس وعاشوا تحت قيادة ليسلر عامين كاملين. لقد استطاع ليسلر ان يحـرز النصر لبعض الوقت ، فبعد ان طرد مبعوث الحاكم اجرى انتخابات جديدة لمؤسسات السلطة على اساس حق التصويت العام لجميع السكان الأحرار بغض النظر عن وضعهم المالي، لكن قوات مرسلة من انجلترا وصلت إلى نيويـورك فـي اذار ١٦٩١ قمعت الانتفاضة فقبض على ليسلر وحكم عليه وعلى اقرب انصاره وهو شخص اسمه ملبورن بالاعدام ونفذ الحكم فيهما بالفعل . ومع ذلـك اضـطرت السلطات بعد الانتفاضة إلى توسيع حق الانتخاب بعض الشيء، غير ان نسبة من كان يحق لهم المشاركة في الانتخابات، حتى بعد هذا التوسيع لم تتعد ١٠% من السكان [٢].

لقد نشطت الحياة السياسية في المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد في القرن الثامن عشر وذلك بالارتباط مـع تنـامي المـستعمرات والتطـورات الاقتصادية والاجتماعية التي حصلت فيها وكان من ابرز مظاهر هـذا النـشاط اتساع كفاح المستوطنين من اجل المساواة وبروز حركات ومنظمات اجتماعية

---

(١) فرانكلين آشر ، المصدر السابق ، ص ٢٧.

(٢) Fursenko, Tam zhe str. 43.

عرفت عن هذا الكفاح منها حركة " المنظمون " [١] Regulators التي نظمـت الانتفاضة التي قادها برندركاست في نيويورك في ١٧٦٥-١٧٦٦ والانتفاضـة التي قامت في ١٧٦٨-١٧٧١ في كارولينا الشمالية، ومنظمة " ابناء الحرية " [٢] التي ادت دوراً مشهوداً في مناهضة سياسة بريطانيا الرامية إلى التضييق علـى الصناعة والتجارة في المستعمرات.

بدأت انتفاضة برندركاست في كونتية داتشيس في مستعمرة نيويورك في ١٧٦٦ واشترك فيها الفا شخص وجهوا للمستأجرين نداءً دعوهم فيه إلى التوقف من دفع ايجار الأرض ووعدوهم بتحرير أي شخص يتعرض للاعتقال بـسبب مشاركته في الحركة . لكن الحركة فشلت في النهاية على الرغم من انها توسعت وشملت في اذار ١٧٦٦ كونتية ويستشتر ووجدت انصاراً لها فـي مـستعمرتي نيوجرسي وكونيكتكوت المجاورتين . كما فشلت ايضاً الانتفاضة التي قامت بهـا الحركة في كارولينا الشمالية في المدة ١٧٦٨-١٧٧١ وذلك للفارق الكبير فـي

---

(١) المنظمون Regulators ، حركة ظهرت في اواسط القرن الثامن عشر في وقـت واحد تقريباً في نيويورك والكاروليينين الشمالية والجنوبية ، شن اعضاؤها كفاحـاً عنيداً ضد المؤسسات الاقطاعية التي جرى نقلها إلى العالم الجديد وعارضوا بـشدة التمييز وطالبوا بالتمثيل النسبي في مؤسسات السلطة ورفضوا بشكل قـاطع دفـع ايجار الأرض لمالكيها.

(٢) منظمة سياسية جماهيرية سرية تأسست في صيف ١٧٦٥ ، ضمت بالدرجة الأولى صغار البرجوازيين والحرفيين والمزارعين ، كان يقودها ممثلو الجناح الراديكـالي في الحركة الوطنية المناهضة للسيطرة البريطانية . عرفت كيف تقرن بين العمـل السري والعلني ، شنت نضالاً ضد الادارة الاستعمارية وادت دوراً كبيراً في تنفيـذ مقاطعة البضائع الانجليزية واجبار بريطانيا على التراجع في كثير من الحـالات ، اخذت اسمها من خطاب القاه في البرلمان اسحق بار Barre ، واطلق فيه هذا الاسم على سكان المستعمرات الذين يعارضون الاجراءات البريطانية.

الإمكانات بين انصار الحركة والسلطات الإقليمية ولان الحركة كانت ذات طابع محلي ولم تكن هناك صلة بين مراكزها المختلفة [١].

ان كفاح المستوطنين من اجل المساواة في الحقوق السياسية كان يستند إلى قاعدة فكرية صلبة تمثلت بافكار الفلاسفة والمفكرين التقدميين الانجليز التي انتقلت إلى العالم الجديد واصبحت اساساً لتطورات فكرية افضت إلى تنامي الوعي القومي لدى الأمريكيين وعززت نضالهم من أجل الحقوق السياسية اولا ومن اجل التخلص من سيطرة بريطانيا واحراز الاستقلال بعد ذلك.

الحياة الثقافية:

رافق التطور الاقتصادي الذي شهدته المستعمرات الانجليزية قبل حرب الاستقلال والمتمثل بنمو الصناعة واتساع التجارة الداخلية والخارجية ورسوخ الرأسمالية نظاماً اقتصادياً واجتماعياً سائداً، نهوض ثقافي وفكري واضح كان من ابرز مظاهره اتساع وتبلور الوعي القومي وبروز عناصر تكون امة أمريكية جديدة لها خصائصها المميزة وفي مقدمتها ثقافتها الجديدة المرتكزة على الافكار التقدمية التي اخذت بالانتشار في تلك المرحلة .

لقد شقت الافكار التقدمية الطريق لنفسها عبر صراع شديد مع الافكار والنظريات الرجعية التي تجاوزها الزمن ومع الهيمنة الفكرية التي كانت تمارسها الكنيسة، فلقد هيمنت على المؤلفات الأمريكية طيلة المدة التي سبقت القرن الثامن عشر الموضوعات الدينية، ولم تكن الموضوعات الدنيوية محبذة بل كانت في احيان كثيرة مثاراً للشك والريبة ، وسادت الاوهام وانتشرت عمليات اعدام

(١) للتفصيل انظر:

Fursenko, Tam zhe str 23-24.

السحرة واصطياد الاشباح وتركزت بيد الكنيسة جميع المعاهد الدراسية تقريباً حيث كانت المهمة الرئيسة لهذه المعاهد هي اعدادرجال الدين. والواقع انه لم يكن هناك من المدارس الحرة سوى اثنتين في كل من فرجينيا وكارولينا الجنوبية[١] ، وكان هذا الواقع مثار اغتباط وارتياح الفئة الحاكمة في المستعمرات فقد جاء في تقرير كتبه وليم بيركلي Berkely حاكم مستعمرة فرجينيا في اواخر القرن السابع عشر قوله " ... ولكنني اشكر الله على انه لاتوجد مدارس حرة أو طباعة وأمل ان لايكون لدينا شيء منها لمدة مائة سنة " [٢]. لكن هذا الواقع لم يلبث ان اخذ بالتغير وبدأت المؤلفات الدينية " تخلي مكانها بالتدريج لمؤلفات المتنورين البرجوازيين واخذت تنتشر بين البرجوازيين واصحاب المزارع الكبيرة والمتثقفين فلسفة الربوبية " [٣] وكان ذلك مرتبطاً بتغلغل افكار ونظريات عصر التنوير في المستعمرات والتطورات الكبيرة التي حصلت في مجال التعليم المدني وتطور العلم والادب والفن إذ كان المستوطنون يتأثرون باستمرار بالتيارات الفكرية التي تسود في العالم القديم عن طريق المثقفين القادمين من هناك، فقد قدم إلى نيوانجلند وحدها قبل ١٦٥٠ مائة وثلاثون رجلاً ممن كان قد تعلم في جامعات أوربا وانجلترا، كما ان البعض من المستوطنين ظلوا على صلة وثيقة بالمراكز الفكرية فيما وراء البحر حيث كانوا يستوردون من هناك الكتب

(١) ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق ، ص ٥٨.

(2) Quoted in Mclaughlin , Op. Cit., PP.38-39 Foot note 9 .

(3) M.N.Zakharova, " Voyna Angliiskikh Kolonii V Severnoy amerike Za Nezavisimost, Obrazovanie Soedinennkh Shtatov Ameriki " v Vsemirnaya istoriya, T.V Moskva, 1958, str. 514.

والربوبية Deism اتجاه ديني فلسفي يعترف بالله خالقاً للكون ولكنه لايقر بتأثيره الدائم في تطور الطبيعة والمجتمع.

والادوات العلمية ويزودون المراسلين الأوربيين بتقارير عن ملاحظاتهم للظواهر الطبيعية في أمريكا (١).

وكان لتطور التعليم في المستعمرات هو الاخر اثر كبير في تطور العلم واتساع الثقافة هناك، وابرز ظاهرة يمكن ان تلاحظ في هذا المجال هي تنامي نظام المدارس العامة. وكانت نيوانجلند ، وفيها اقر التعليم الابتدائي الالزامي لأول مرة سباقة في هذا المضمار (٢).

وهنا لابد ان نلاحظ بان البيئة الطبيعية المختلفة وطبيعة الاستيطان المتباينة في مختلف المستعمرات كان لها الاثر الأول في تحديد نوع وطريقة التعليم، ففي الوقت الذي نجح فيه وتطور نظام التعليم العام في نيوانجلند بفضل السكن الكثيف هناك لم يكن من الممكن لهذا النظام ان يقوم في المستعمرات الجنوبية وذلك بسبب سعة المزارع وتباعدها وانتشار السكان في مناطق واسعة جداً. ولهذا كان المزارعون هناك يشتركون مع اقرب جيرانهم في استئجار معلمين خصوصيين لتعليم اولادهم، وكان الاغنياء منهم يرسلون اولادهم للتعليم في انجلترا، اما الفقراء فكانوا يزودون اولادهم بمبادئ المعرفة بانفسهم.

واختلف الوضع في المستعمرات الوسطى ايضاً " فنيويورك التي كانت مشغولة كثيراً بالتقدم المادي ... تأخرت كثيراً عن نيوانجلند وعن المستعمرات الأخرى " وكانت المدارس فيها فقيرة وغير كافية، الامر الذي دفع الاثرياء من السكان إلى ان يستأجروا معلمين خصوصيين لاولادهم (٣).

(١) Nettels , Op. Cit., P.484;
تشارلز وماري بيرد، المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤، ٧٠.

(٢) United States Information Service, Op. Cit., P.20;
تشارلز وماري بيرد ، المصدر السابق ، ص ٧٢.

(٣) United States Information Service, Op. Cit., P.20.

لكن بنسلفانيا كانت واحدة من المستعمرات المبرزة في مجال التعليم فقد تأسست أول مدرسة فيها عام ١٦٨٣ أي في السنة التالية لوصول أول طائفة من المستوطنين اليها. ولم تلبث شبكة المدارس ان انتشرت في فيلادلفيا وفي مناطق بنسلفانيا الأخرى، كما اسست مدارس مسائية للبالغين ، غير انه لم يكن هناك مدارس خاصة بالنساء بل كان الاثرياء من السكان يستأجرون لبناتهم معلمين خصوصيين يعلمونهن الفرنسية والموسيقى والرقص والرسم والغناء وغيرها (١).

ولم تتأخر مستوطنات الحدود عن غيرها من المستعمرات في هذا المجال فقد كان مستوطنوها على الرغم من قساوة حياتهم وبدائيتها يبذلون جهوداً كبيرة لاستقدام القسس والوعاظ لتعليم اولادهم.

ولم يقتصر التطور على المراحل الدنيا من التعليم إذ لم يلبث ان تأسس عدد من الكليات تحولت فيما بعد إلى جامعات كبرى لها مكانتها في عالم العلم والمعرفة، ففي سنة ١٦٣٦ تأسست هارفرد في ماساتشيوستس تلتها في نهاية القرن كلية وليم وميري في فرجينيا التي انشئت في الاصل عام ١٦٩٣ لتكون مدرسة لتعليم القسس ثم جامعة ييل في كونيكتيكوت وكلية فيلادلفيا وهي جامعة بنسلفانيا حاليا وكلية برنستون ثم كلية الملك وهي حالياً جامعة كولومبيا وغيرها(٢).

ومع ازدياد عدد المتعلمين اصبحت الكتب تحظى باهتمام متزايد شأنها في ذلك شأن الفنون كالرسم والموسيقى " واصبح تجار الكتب من الاشخاص البارزين في المستعمرات" (٣) . وكانت الكتب التي تبحث في كل المواضيع تستورد من انجلترا . وبالاضافة إلى المكتبات الخاصة ومخازن بيع الكتب اخذت

(١) United States Information Service, Op. Cit., PP.20-21.

(٢) انظر ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق ، ص ٢٧، ٥٨، ٥٩؛
United States Information Service, Op. Cit., PP.18-20.

(٣) ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق ، ص ٥٨.

تتأسس في مختلف المستعمرات المكتبات العامة، ففي عام ١٧٠٠ تأسست أول مكتبة في تشارلستون وقبلها في ١٦٥٦ كانت قد تأسست مكتبة في بوسطن ، كما اسس بنيامين فرانكلين في بنسلفانيا مكتبة عامة وصفها بانها " ام جميع المكتبات في أمريكا الشمالية " (١) . والى جانب ذلك تأسست واخذت بالنمو مكتبات الكليات والجامعات التي اصبحت تضم آلاف المجلدات، فقد احتوت مكتبة كلية هارفرد مثلاً على خمسة آلاف مجلد (٢) في مختلف فروع المعرفة.

والى جانب استيراد الكتب والمطبوعات من الخارج اتسعت ايضاً طباعتها في داخل المستعمرات ، ففي ١٦٣٩ تأسست في كمبرج اقدم مطبعة في أمريكا توالى بعدها انشاء المطابع واتسع انتاجها، كما اتسع ايضاً اصدار الجرائد والمجلات ففي ١٧٠٤ بدأت بالصدور أول جريدة ناجحة (٣) في بوسطن لم تلبث ان اعقبتها صحف اخرى حتى بلغ عدد الصحف عند قيام حرب الاستقلال خمس صحف في بوسطن وثلاث في فيلادلفيا (٤).

لقد جرى ذلك كله كما ذكرنا عبر صراع عنيف ضد القوى المحافظة ، وفي مقدمتها رجال الكنيسة بمختلف طوائفها ، لكن الصراع ضد الكنيسة في العالم الجديد كان اسهل منه في أوربا التي كانت الكنيسة فيها تمتلك مواقع اقتصادية راسخة بسبب امتلاكها اراض واسعة لم تكن الكنيسة تمتلكها في العالم الجديد. يضاف إلى ذلك عوامل اخرى جعلت الصراع ضدها هناك اسهل، من ذلك انها كانت منقسمة إلى مذاهب متعادية، الامر الذي اضعفها إلى حد كبير في مواجهة القوى الفكرية الجديدة، ومن ذلك ايضاً سيادة البروتستانتية بمختلف

(1) Quoted in United states Information Service, Op. Cit., P.21.

(٢) ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق ، ص ٥٨.

(3) United States Information Service, Op. Cit., P.22.

(٤) ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق ، ص ٥٩؛ تشارلز وماري بيرد ، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦.

اتجاهاتها، ومعروف ان البروتستانتية في جوهرها هي ثورة في المجال الديني على الفكر الكاثوليكي الذي ساد المجتمع الاقطاعي في أوربا فقد " شددت في الفكر والدين قوى الفردية التي كانت الرأسمالية المبكرة قد عززتها في المجال الاقتصادي " (١).

وهكذا حقق الفكر الجديد والعلم في المستعمرات نجاحات ملحوظة واخذ يظهر في كليتي برنستون وييل وغيرهما علماء ليبرليون بين الاساتذة وتوالت الاكتشافات العلمية والنظريات مثل اكتشافات فرانكلين في حقل الفيزياء والتحسينات التي ادخلها رينتهاوزن على التلكسوب والبحوث التي اجراها بنيامين راش في حقل الطب النفسي وغير ذلك (٢) . لقد كانت هذه الاكتشافات علائم بارزة على طريق التقدم العلمي والفكري في المستعمرات في هذه المرحلة.

لقد افرز انتشار افكار التنوير في المستعمرات وتقدم الثقافة والفكر عموماً شخصيات فكرية لامعة انعكست في انتاجها الافكار التقدمية التي كانت تكافح لاثبات وجودها في مواجهة الفكر الرجعي. وكان ابرز ممثلي الافكار الجديدة في المستعمرات في تلك المرحلة بنيامين فرانكلين وتوماس جفرسون.

ولد فرانكلين في بوسطن عام ١٧٠٦ في عائلة غير ثرية كثيرة العدد وعمل في شبابه في مطبعة وكان محباً للكتب شغوفاً بالمطالعة ثقف نفسه واصبح عالماً مشهوراً عرفه العالم بتجاربه واختراعاته في مجال الكهرباء، ولاسيما اختراعه مانعة الصواعق. درس فرانكلين ، إلى جانب العلوم الطبيعية، الفلسفة والاقتصاد السياسي وتوصل فيهما إلى عدد من القوانين المهمة. واسس في فيلادلفيا في ١٧٢٨ حلقة من الحرفيين والتجار عرفت باسم " نادي المآزر الجلدية" الذي قدر له ان يكون اساساً للجمعية الفلسفية الأمريكية، كما اسس أول

(1) Nettels, Op. Cit., P.470.

(2) Zakharova, Tam zhe str. 515.

مكتبة عامة في بنسلفانيا وأول مستشفى وأول أكاديمية في أمريكا واصدر صحيفة كانت تهدف إلى " تجنب الخلافات ونشر الاخبار الصحيحة " سماها "Saterday Evening Post" . وعرف فرانكلين ايضاً بنشاطه السياسي حيث كان مناهضاً للرق واليه يعود الفضل في تأسيس أول جمعية لمناهضة العبودية في أمريكا وكان واحداً من ابرز ممثلي حركة التحرر في المستعمرات حيث دعا إلى اتحاد المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد ووضع مشروعاً متكاملاً لذلك قدمه إلى مؤتمر الباني عام ١٧٥٤ (١) وهو أول مؤتمر يضم ممثلي جميع المستعمرات وكان فرانكلين يمثل بنسلفانيا فيه. لقد نص مشروع فرانكلين هذا على تأليف حكومة مشتركة واحدة لجميع المستعمرات يرأسها رئيس جمهورية واحد يعينه ويدفع راتبه التاج البريطاني، اما السلطة التشريعية فتعود لمجلس يجري انتخابه مرة كل ثلاث سنوات، وتسيطر الحكومة المركزية على التجارة الخارجية والجيش والاسطول والسياسة الضرائبية. وبموجب هذا المشروع يعود الحق في فرض الضرائب إلى مجلس ممثلي الشعب الأنف الذكر (٢) . لقد وقف فرانكلين شأنه شأن مفكري أوربا التقدميين آنذاك ضد فرض الضرائب على السكان دون ان يكون لهؤلاء السكان حق التمثيل في الهيئة التشريعية. وقد دافع فرانكلين عن مشروعه هذا لاتحاد المستعمرات بحماس منطلقاً مما كان يؤكده باستمرار من " ان اتحاد المستعمرات ضروري ضرورة مطلقة للمحافظة عليها " وحيوي " لحماية امنها المتبادل وتوسيع المستوطنات البريطانية في أمريكا الشمالية " (٣).

(١) انظر نص المشروع في :
Commager, Op. Cit., PP.43-45.

(٢) انظر:
Fursenko, Tam zhe str. 44-45;
آلن نفنز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق ، ص ٦٠-٦١.

(٣) Tsit Fursenko, Tam zhe str. 45.

لقد تضمنت خطة فرانكلين هذه تقوية المستعمرات وتوسيع حقوقها واستقلالها الداخلي، لكنه كان ينطلق من ضرورة ان تبقى المستعمرات ضمن الإمبراطورية البريطانية، ولم يغير وجهة نظره هذه ويصبح من انصار الانفصال عن بريطانيا واعلان الاستقلال التام عنها الا فيما بعد، وقد جرى هذا التحول عنده بالارتباط مع تطور الحركة الثورية في المستعمرات . ومع ذلك فان اراءه كانت منذ ذلك الوقت تعبر عن تنامي الوعي القومي لسكان المستعمرات وقد كان ذلك احد الاسباب التي جعلت الحكومة البريطانية تتخذ موقفاً سلبياً من مشروعه المشار إليه، إذ عدت المشروع محاولة لمجابهة بريطانيا بالمستعمرات ولهذا فانها رفضته، ثم تبين ان سكان المستعمرات هم ايضاً لم يتحمسوا للمشروع وذلك لخشيتهم من ان يؤدي تطبيقه إلى تقوية السلطة المركزية، الامر الذي من شأنه ان يضعف ويحد من الامتيازات التي كانت بعض المستعمرات تتمتع بها.

اما توماس جفرسون ١٧٤٣-١٨٢٦ فقد عبر عن الوعي القومي للشعب الأمريكي بشكل اوضح. لقد كان جفرسون ينتمي إلى استقراطية الأرض وقدر له ان يصبح واحداً من أكثر الشخصيات راديكالية في الثورة الأمريكية. لقد تهيأت له الفرصة لان يدرس مختلف فروع المعرفة وكان شخصاً موهوباً عمل الكثير للدعوة لافكار التنوير. لقد آمن بنظرية العقد الاجتماعي وحقوق الإنسان الطبيعية، ومن هذا المنطلق انتقد الشكل الملكي للدولة ودافع عن فكرة سيادة الشعب وحقه في الثورة على حكامه الجائرين ، ففي معرض حديثه عن السلطة الملكية وسيادة الشعب في مؤلفه " استعراض حقوق أمريكا البريطانية" يقول ان الملك " ليس أكثر من كونه الموظف الرئيس للشعب يعين بموجب القانون ويمنح سلطة معينة لكي يساعد على تشغيل جهاز الدولة الذي وجد لفائدة الشعب ولهذا

فان الشعب يسيطر عليه ... ان الملوك هم خدم الشعب لا اسياده " [١]. ان سلطة الملك في رأيه متأتية من سلطة الشعب وكل واحد من الناس يجب ان يتمتع بحق لايمكن انتزاعه هو حق المشاركة في انشاء سلطة الدولة والسيطرة عليها، واذا ما انتهكت السلطة حقوق الشعب فمن حق الشعب ان يغير الحكومة ويستبدلها باخرى تستجيب لمطالبه على افضل وجه وتخدم مصالحه. لقد كان الشكل المثالي للحكم في رأي جفرسون هو جمهورية صغار مالكي الأرض إذ اطلق على " شغيلة الأرض" اسم " الشعب الذي اختاره الله " . وكان جفرسون يرحب بالثورات ويعتقد بضرورة تكرارها بصورة دورية. وقد جعلته نظراته هذه واحداً من قادة الجناح اليساري في حركة التحرر في المستعمرات معبراً في افكاره ومواقفه عن مصالح المزارعين والجناح الديموقراطي من البرجوازية [٢].

لقد تأثر فرانكلين وجفرسون كثيراً بالمتنورين الفرنسيين وفلاسفة الثورة الانجليزية ، فمن السهل على المرء ان يتبين في مؤلفاتهما ومؤلفات غيرهما ايضاً من الكتاب والمؤلفين الاخرين في المستعمرات انذاك تأثيرات روسو وفولتير ومونتسكيو وكوندرسيه وبيكون وملتون ولوك وغيرهم من مفكري أوربا التقدميين في تلك المرحلة.

لقد ساعدت الاجواء التي خلقها نهوض حركة التحرر في سبعينيات القرن الثامن عشر على بروز العديد من الكتاب والمؤلفين في المستعمرات منهم على سبيل المثال جيمس اوتيس وصوموئيل ادمز والشاعر فيليب فرينو الذي اشتهر بنزعته الديموقراطية الجذرية. وقد كان جميع هؤلاء متأثرين بالكتاب والفلاسفة الأوربيين الذين اشرنا اليهم ولاسيما الفيلسوف الانجليزي جون لوك

(1) Tsit E.W.Rozin, " Politicheskie Ucheniya V ssha v Period Borby za Nezavisimost" v K.A. Mokichev (red), Istoriya Politicheskikh Uchenii, Moskva, 1965, str. 250.

(2) Fusenko, Tam zhe str. 45.

الذي استهوى مثقفي المستعمرات أكثر من غيره من المفكرين لانه طور وعمق واغنى حق الشعب بالثورة من جانب ودعا إلى الوفاق الطبقي من جانب اخر[١]، لذا فان افكاره كانت تستجيب للوضع الذي نشأ في المستعمرات والذي تميز برغبة البرجوازية الأمريكية في التخلص من السيطرة البريطانية من جهة وسعيها لقمع تطلعات الجماهير الشعبية ونضالها ضد الاستغلال الذي تريد تلك البرجوازية فرضه عليها من جهة اخرى . ولهذا اصبحت افكار لوك واسعة الانتشار في المستعمرات إلى درجة بحيث ان مقتبسات من اقواله كانت تتضمنها في بعض الاحيان خطب الوعظ التي يلقيها القسس في الكنائس [٢] . وقد كان لذلك اثره في المستعمرات بحيث " اخذ الاعجاب بالملكية الانجليزية القائم على الاسناد بالاصل الالهي للسلطة الملكية يخلي مكانه لنظرية الحقوق الطبيعية والاصل التعاقدي للدولة " [٣].

ان ذلك كله يشير إلى طبيعة واصل الامة الجديدة الاخذة بالتكون في المستعمرات ونعني الامة الأمريكية التي تكون فكرها وثقافتها تحت تأثير قوي من الفكر والثقافة الأوربية ولاسيما الفكر الانجليزي والثقافة الانجليزية، فحين اندلعت حرب الاستقلال كان حوالي ثلاثة ارباع السكان البيض في المستعمرات من ذوي الدماء البريطانية [٤]، ولهذا فقد شاعت في المستعمرات الثقافة الانجليزية إلى درجة بحيث تحولت في بداية الامر إلى عائق امام الثقافة الأمريكية الوليدة التي كانت بسبب حداثتها وضعفها تسعى إلى تقليد الثقافة الانجليزية الاكثر تطوراً. ويذكر في هذا المجال ان الفئات الغنية السائدة في

(1) انظر خلاصة مركزة لافكار لوك في :
Rozin, Tam zhe str. 168.

(2) Zakharova, Tam zhe str. 515.

(3) Tam zhe str. 515.

(4) الن نفنز وهنري ستيل كوماجر ، المصدر السابق ، ص ٣٢.

المستعمرات ولاسيما اصحاب المزارع الكبيرة في الجنوب كانوا يسعون إلى تقليد الانجليز في كل شيء تقريباً فقد احاطوا انفسهم باشياء من انتاج انجليزي كانت تأتيهم من انجلترا في مقابل منتجات مزارعهم التي يبيعونها هناك فكانوا يؤثثون بيوتهم باثاث انجليزي ويرتدون الملابس الانجليزية والشعر المستعار الانجليزي ويقرأون الكتب والروايات الانجليزية ويرسلون ابناءهم للدراسة في الجامعات الانجليزية، وعلى العموم يسعون لان يعيشوا ويتصرفوا كما يعيش ويتصرف الانجليز . ومع ذلك فان الثقافة الانجليزية لم تلبث ان اصبحت بفعل عناصر اخرى دخلت في تكوين الثقافة الأمريكية ، عنصراً واحداً فقط من العناصر التي كونت تلك الثقافة.

تأتي في مقدمة هذه العناصر ثقافات الأمم الأخرى التي كانت اعداد كبيرة من افرادها تفد باستمرار على العالم الجديد وتندمج هناك مع من سبقها في القدوم ومع من يأتي بعدها. وقد قدر بعض الباحثين نسبة السكان غير الانجليز في المستعمرات في سنة ١٧٧٥ بحوالي ٤٠% يأتي في مقدمتهم الاسكتلنديون والايرلنديون حيث يؤلفون معاً سدس السكان يليهم الالمان الذين يؤلفون العشر وكانت تنضم إلى هؤلاء باستمرار اعداد من الفرنسيين والهولنديين وغيرهم [١]. وكانت الهجرة الالمانية بشكل خاص واسعة إلى درجة بحيث ان بنيامين فرانكلين قدر ان ثلث سكان بنسلفانيا قبل حرب الاستقلال مباشرة كانوا من الالمان [٢].

وكانت ثقافة الهنود الحمر القديمة ، وهم سكان البلاد الاصليين من العناصر الأخرى التي اثرت في تكوين الثقافة الأمريكية، ذلك ان قسماً من المستوطنين اختلط بالهنود وتأثر بثقافتهم القديمة واساطيرهم ودخل العديد من عناصر موروثهم الشعبي في اغاني الأمريكان وفولكورهم. لقد تعلم سكان

(١) Zakharova, Tam zhe str. 515.

(٢) الن نفنز وهنري ستيل كوماجر ، المصدر السابق، ص ٣٣.

المستعمرات من الهنود الشيء الكثير وساعدتهم الخبرة التي اكتسبوها منهم على تذليل العقبات التي واجهوها في حياتهم الجديدة وعلى التكيف للبيئة الجديدة التي وجدوا انفسهم فيها والسيطرة عليها. لقد " تعلم المستوطنون الجدد من الهنود كيف يزرعون الذرة ويسمدونها وكيف يطهون الواناً خاصة من الطعام وكيف يصنعون الزوارق الخفيفة والاحذية الملائمة للسير بين الثلوج وكيف يطاردون الفريسة ويدبغون جلود الغزلان ويحذقون الصناعات الخشبية، وبالخبرة والمران اصبح الرائد صائداً ومزارعاً ومحارباً في نفس الوقت. وقامت زراعات جديدة وفن معماري جديد واقتصاد منزلي جديد. ولم تمض عشر نسوات حتى كان في العالم الجديد رجال ليس بينهم وبين جيرانهم القدامى الذي تركوهم وراءهم في انجلترا شيء مشترك، وكان اطفالهم اقل منهم في ذلك " [١].

ومع ذلك فان الدور الحاسم في تكوين الثقافة الأمريكية يعود إلى ظروف الحياة المادية التي عاشها المستوطنون في اماكن استقرارهم الجديدة، فتحت تأثير هذه الظروف تكونت في اخر الامر خصائص الثقافة الأمريكية القومية الجديدة ومميزاتها. ومن المفيد ان نشير في هذا المجال إلى ان ظروف العالم الجديد وظروف الاستيطان بشكل عام خلقت تجربة جديدة تميزت باقامة انظمة ديموقراطية في عدد من المستعمرات فوفرت بذلك مجالاً صالحاً لتجربة افكار العديد من الفلاسفة الأوربيين الذين انتشرت اراؤهم ونظرياتهم فيما بعد في المستعمرات.

تلك هي الروافد التي كونت ثقافة الامة الأمريكية الجديدة وهي كما رأينا روافد متنوعة بل مختلفة. ولكن لابد من التأكيد بانه على الرغم من اختلاف وتنوع العناصر التي تألفت منها الثقافة الأمريكية وعلى الرغم من ان سكان المستعمرات لم يكونوا ينتمون إلى قومية واحدة بل كانوا من قوميات مختلفة لكل

(١) الن نفنز وهنري ستيل كوماجر ، المصدر السابق، ص ٣٦.

منها ثقافتها الناضجة، فقد سادت اللغة الانجليزية واصبحت اللغة التي يتكلمها الجميع على اختلاف اصولهم القومية، ذلك ان المستوطنين من غير الانجليز لم يعملوا على انشاء مستوطنات خاصة بهم على اساس قومي بل اختلطوا بالمستوطنين البريطانيين واستخدموا لغتهم وتبنوا نظرتهم إلى الحياة . وقد كان لهذه الحقيقة اهمية بالغة بالنسبة لعملية تكوين الثقافة الأمريكية ، والامة الأمريكية ذلك ان وحدة اللغة ساعدت على قيام وحدة شاملة عمت المستعمرات باجمعها واقامت فيما بين هذه المستعمرات رابطة قوية كانت تشتد وتتعزز مع الوقت.

لقد اسهمت التطورات الفكرية والثقافية التي حصلت في المستعمرات الانجليزية في العالم الجديد والتي نجم عنها ظهور فكر جديد وثقافة جديدة خاصة بالأمريكان في زيادة التناقض بين سكان المستعمرات وانجلترا الامر الذي ساعد على تهيئة الجو وتوفير الظروف الموضوعية لقيام حرب الاستقلال.

الفصل السادس

اشتداد النزاع بين بريطانيا والمستعمرات

كانت الخلافات بين بريطانيا ومستعمراتها في العالم الجديد تزداد وتتعمق مع الوقت، وذلك بمقدار ما كانت تلك المستعمرات تتطور اقتصادياً واجتماعياً وتعزز مكانتها منافساً لبريطانيا في التجارة والصناعة تزداد قوته وخطره باستمرار . وكانت هذه الخلافات تؤدي إلى اتساع العداء في المستعمرات لبريطانيا التي كانت تنتهج سياسة اضرت بمصالح أوساط واسعة من البرجوازية والمزارعين هناك.

ولكن على الرغم من ذلك ظلت هذه الأوساط ، قبل حرب السنوات السبع[1] تحرص على ان تكون علاقاتها ببريطانيا جيدة وذلك لخوفها من جيرانها الفرنسيين وحاجتها إلى الاسناد لكي تتمكن من الوقوف بوجه مطامعهم المتزايدة. وكانت بريطانيا من جانبها مضطرة ايضاً لتجنب النزاع مع المستعمرات خشية من ان تستغل فرنسا ، منافستها في الصراع من اجل التجارة والتوسع الاستعماري، هذا النزاع في وقت لم يكن لها فيه قوة عسكرية في المستعمرات تكفي حتى لمراقبة تنفيذ القوانين التي تصدرها الحكومة البريطانية.

لكن جملة من العوامل تضافرت في ستينيات القرن الثامن عشر، ولاسيما بعد انتهاء حرب السنوات السبع، وادت إلى تفاقم النزاع بين الجانبين . ففي ١٧٦٠ اعتلى العرش البريطاني جورج الثالث، وكان هذا يختلف عن سلفيه من

(١) بدأت الحرب بين بريطانيا وفرنسا في امريكا قبل بداية حرب السنوات السبع بسنتين وعرفت هناك بالحرب الهندية الفرنسية وقد قامت اثر نزاع اشتعل بين الانجليز والفرنسيين حول ملكية وادي اوهايو وادى بالنتيجة إلى قيام الحرب بينهما في عام ١٧٥٤ . انظر حول ذلك: لورنس ايج . جبسون، المصدر السابق ، ص ٦٨-٧٥.

آل هانوفر جورج الأول وجورج الثاني في انه اراد ان يكون ملكاً بالفعل لا بالقول فقط متجاوزاً القاعدة الدستورية التي تقول ان الملك يسود ولايحكم، ولم يكن راغباً في ان يحكم كما حكم سلفاه اللذان تركا شؤون البلاد لتدار من قبل مجلس الوزراء (١). ولهذا فقد ركز جهوده على السيطرة على البرلمان واختيار مستشاريه من اشخاص كانوا يوالونه ويتفقون معه وليس على اساس كفاءاتهم وقابلياتهم واطلاعهم على شؤون المستعمرات والمشكلات القائمة فيها ، فكرانفيل Granville الذي تولى منصب رئيس الوزراء في المدة من ١٠ نيسان ١٧٦٣ حتى ١٠ تموز ١٧٦٥ والذي ارتبطت باسمه واحدة من حلقات النزاع الحاد بين بريطانيا والمستعمرات لم يكن يمتلك من المواهب والقابليات ما يؤهله لادارة العلاقات مع المستعمرات كما ان نشاطه ومعرفته كانت مركزة في عالم المال والتجارة وليس في الامور العسكرية والسياسية وصلته بالمستعمرات ونشاطه هناك كان ينطلق من كونه واحداً من كبار مالكي الأرض هناك، ذلك انه كان قد ورث عن ابيه مساحة واسعة من الأرض في كارولينا الشمالية تمتد من دائرة عرض ٣٥,٣٤° شمالاً حتى الحدود الجنوبية لفرجينيا (٢).وقد اسهم ذلك في تعقيد الامور بين بريطانيا ومستعمراتها لاسيما وان الملك جورج الثالث لم يكن هو الأخر على دراية بالشؤون الأمريكية وكان كل همه ان يخضع الأمريكيين

---

(١) لم يكن جورج الأول يتكلم الانجليزية ولهذا فانه كان يفضل ان يتغيب عن اجتماعات مجلس الوزراء الذي ازدادت وظائفه وصلاحياته إلى درجة كبيرة بسبب ذلك، وقد اصبح ذلك سابقة دستورية على درجة كبيرة من الاهمية، فمنذ ذلك الحين اصبح من المتعارف عليه ان يجتمع المجلس بدون حضور الملك وان يكون له رئيسه الخاص. وبهذا الشكل تحول المجلس من هيئة استشارية كما كان في عهد آل تيودور وآل ستيورات إلى مجلس وزارة مستقل عن الملك يسيطر على جميع اجهزة ادارة الدولة.

(٢) Knollenberg, Op. Cit., 38.

السلطة ولما يقره من قوانين. وقد اعتقد الملك ومستشاروه بان الوقت قد حان لفرض سيطرة بريطانية قوية على المستعمرات لاسيما وان الخطر الفرنسي الذي كان يضطر الحكومة البريطانية إلى التهاون تجاه المستعمرات قد زال بعد انهيار فرنسا في حرب السنوات السبع وتنازلها عن كل مستعمراتها في العالم الجديد تقريباً لصالح بريطانيا واسبانيا. وقد دفعتهم إلى ذلك التطورات التي حصلت في العالم الجديد اثناء الحرب، فقد ازدادت قوة المستعمرات الاقتصادية والعسكرية خلال الحرب واصبح استمرار تطورها خطراً على بريطانيا لان استقلالها الاقتصادي ازداد وازدادت معه ايضاً منافستها لبريطانيا في الاسواق الداخلية والخارجية. ومن الناحية الأخرى ادت بداية الانقلاب الصناعي في بريطانيا وتدهور التجارة البريطانية بعد حرب السنوات السبع والمصاريف الكثيرة التي تكبدتها بريطانيا في هذه الحرب إلى زيادة رغبة البرجوازية الانجليزية في احتكار اسواق المستعمرات. ولهذا اتجهت السياسة البريطانية تجاه المستعمرات نحو اجبارها على تنفيذ جميع القوانين التي تصدرها الحكومة البريطانية والى تشديد سيطرة بريطانيا عليها.

لقد كانت هناك مشكلات كثيرة تثير النزاع بين الجانبين كان في مقدمتها عدم انصياع الأمريكيين لقوانين الملاحة وممارستهم التهريب على نطاق واسع جداً حتى أن المعاصرين يؤكدون ان تسعة اعشار التجار في نيوانجلند كانوا يمارسون التهريب، كما أن موظفي المستعمرات كانوا يتقاعسون في تنفيذ ما يطلب منهم لانهم كانوا يتسلمون رواتبهم من المستعمرات وليس من بريطانيا. يضاف إلى ذلك ان الرشوة والفساد كانت متفشية بينهم ولاسيما بين موظفي الكمارك لدرجة ان بريطانيا كانت تصرف على ادارة دائرة الكمارك أكثر من ثلاثة دولارات مقابل كل دولار يردها منها، ففي حين كانت كلفة ادارة دوائر الكمارك تبلغ ما بين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠ جنيه استرليني في السنة لم يكن يرد إلى

الخزينة البريطانية من تلك الدوائر الا ٢٠٠٠ جنيه استرليني في السنة[1]

وكانت نقمة البريطانيين على سكان المستعمرات قد زادت اثناء الحرب بسبب تملص هؤلاء من انظمة التجارة التي كانت تمنع ارسال التجهيزات إلى القوات الفرنسية. وقد دفع ذلك وزارة بيوت Bute التي تولت الحكم في بريطانيا في المدة من ٢٦ أيار ١٧٦٢ إلى ٨ نيسان ١٧٦٣ لان تتخذ اجراءات مشددة لضمان تنفيذ القوانين التي تقيد التجارة البحرية الأمريكية [2] ، فوضعت عمارة بحرية في ميناء هاليفاكس واصدرت لقائدها اوامر مشددة بان يفعل كل ما في وسعه لمساعدة ضباط الكمارك على تنفيذ القوانين بدقة. وقد اثارت التدابير القاسية التي اتخذتها الحكومة البريطانية لمكافحة التهريب ومنع المتاجرة مع الفرنسيين نقمة سكان المستعمرات لقسوتها ولانها كانت تجري في بعض الاحيان على اساس شكوك لم تثبت صحتها.

---

(1) John R.Alden, A History of the American Revolution New York 1969, P.60; Morris , Op.Cit., P.86; Hicks, Op. Cit., PP.90-91; Riegle and Haugh, Op. Cit., P.78.

(2) اصدرت الحكومة الانجليزية في المدة من ١٦٧٠ حتى ١٧٥٠ عدداً من القوانين والتعليمات فرضت بموجبها قيوداً كبيرة وصلت حد المنع في بعض الحالات على التجارة والصناعة في المستعمرات، الامر الذي سبب لرجال الاعمال والمزارعين الأمريكيين الكثير من الضرر، فمثلاً قدر احد المؤلفين في ١٧٦٥ المصاريف التي كان مزارعو التبغ في فرجينيا وميريلاند يتكبدونها بسبب القيود البريطانية المفروضة على تصدير التبغ من المستعمرات بـ ٢٧٠٠٠٠ جنيه استرليني في السنة، بينما توصل باحث آخر بنى حساباته على اساس ١٧٧٣ التي تعد سنة نموذجية بالنسبة للمدة موضوع البحث بان هذه القيود كانت تكلف زارعي التبغ في المستعمرات مالايقل عن ٢٠٠٠٠٠٠ دولار يقع أغلبها على فرجينيا وميلايلاند .
Knollenberg, Op. Cit., PP.158-161,163.

واثارت سياسة الحكومة البريطانية في المجال الزراعي هي الأخرى استياء سكان المستعمرات ونقمتهم إذ كان هؤلاء يأملون في الاستيلاء على الأراضي التي اخذت من فرنسا بعد الانتصار عليها في حرب السنوات السبع لكن الحكومة البريطانية خيبت امالهم. ان هذه الأراضي كان يسكنها فرنسيون وحلفاء لهم من الهنود، ولم يكن هؤلاء الهنود راضين عن الحكم البريطاني، وقد استغل الفرنسيون ذلك وحرضوهم على الخروج عن طاعة السلطات البريطانية فثار الهنود بقيادة زعيمهم المشهور بونتياك Pontiac واحتلوا عدداً من الحصون البريطانية وقتلوا العديد من الجنود النظاميين ومن المليشيا والمدنيين، لكن السلطات البريطانية تمكنت من التغلب عليهم في النهاية. ولكي لاتتكرر مثل هذه الاحداث اصدرت الحكومة البريطانية في ٧ تشرين الأول عام ١٧٦٣ مرسوماً يعد تلك الأراضي ملكاً للتاج ومنع استعمارها وزراعتها كما منع سكان المستعمرات من الانتقال إلى ما وراء جبال اليكاني (ابلاش) . وعلى الرغم من ان الحكومة البريطانية بررت هذا المنع بالحرص على منع الاصطدام بالهنود الا ان الدافع الحقيقي لذلك كان الرغبة في اعاقة توسيع الاستيطان نحو الغرب، لكي يسهل على السلطات جمع الضرائب والسيطرة على تجارة وانتاج المستوطنين وحصرهم في الشريط الساحلي الضيق بين جبال ابلاش والمحيط الأطلسي[1].

كان الدفاع عن المستعمرات مشكلة اخرى بالنسبة للانجليز فقد تطلب الأمر بناء قلاع وحصون ومرابطة حاميات فيها للحماية من الهنود ، وسبب ذلك الكثير من الإشكالات في العلاقة بين الانجليز والمستوطنين " فاذا كانت الحاميات تتألف من المستوطنين فقط يكون من الصعب انهاضها واشاعة الضبط فيه واذا كانت مختلطة مع الجنود الانجليز النظاميين كانت هناك غيرة وخصام دائميين

---

(1) حول هذا المرسوم ودوافع اصداره والعواقب التي ترتبت عليه انظر:
Alden, Op. Cit., PP.54-56.

[بين الجانبين]"[١]. ولهذا رأى الانجليز ان الحل يكمن في الاقتصار على استخدام القوات الانجليزية لان ذلك وحده يمكن في رايهم من اجبار المستوطنين على اطاعة القوانين. وعلى هذا الاساس قررت الحكومة البريطانية ان ترسل إلى أمريكا قوات نظامية تعدادها عشرة آلاف مقاتل واعلنت ان الهدف من ذلك هو توفير الحماية من الاسبان في الجنوب ومنع الكنديين والفرنسيين من الانتفاض ضد السلطة الانجليزية وتكون حاجزاً لصد هجمات الهنود. يعلق احد الباحثين الأمريكيين على هذا القرار بقوله : " لقد خلق قرار الاحتفاظ بذلك الجيش في أمريكا الشمالية مصاعب بعد مصاعب ودفع السياسيين البريطانيين لارتكاب الخطأ تلو الخطأ . سكان المستعمرات لم يسألوا فيما اذا كانوا يرغبون بمثل هذه الحماية، كما انهم لم يسألوا فيما اذا كانوا راغبين بالدفع من اجلها. لقد كانت القوات التي بأمرة الجنرال امهيرست Amherst [القائد العام للقوات البريطانية في أمريكا آنذاك] اكبر باكثر من مرتين من تلك التي كانت في الخدمة في أمريكا الشمالية قبل حرب السنوات السبع حين كان الفرنسيون اعداءً اقوياء، تولى عميقي التفكير من سكان المستعمرات العجب لماذا تكون هناك حاجة لمثل هذا العدد الكبير من القوات في الوقت الذي اختفى فيه الخطر الفرنسي بشكل كبير. هل المقصود ان يكون الجنود البريطانيون عاملاً يذكر سكان المستعمرات بانهم ملزمين بطاعة بريطانيا ؟ ... من المفهوم ان الأمريكيين سرعان ما بدأوا يشكون بان الجيش ربما يستخدم ضدهم أكثر من استخدامه لحمايتهم " [٢].

على اية حال اثار هذا القرار استياءً ظاهراً لدى سكان المستعمرات الذين لم يجدوا له سبباً غير رغبة الحكومة البريطانية في احكام السيطرة عليهم.

---

(1) Riegle and Hangh, Op. Cit., P.79.

(2) Alden, Op. Cit., PP.52-53.

كانت الحكومة البريطانية مصرة على تنفيذ القرار لكن ارسال قوات بريطانية إلى أمريكا ومرابطتها هناك يتطلب مالاً، وكذا الحال بالنسبة لقطعات الأسطول البريطاني المكلفة بحماية المستعمرات فهي الأخرى تتطلب مصاريف لاستهان بها. وقد دفع ذلك إلى جانب رغبة الحكومة البريطانية في تغطية الديون التي ترتبت عليها بسبب تكاليف حرب السنوات السبع [١]، إلى التفكير بضرورة ان تسهم المستعمرات في تحمل جزء من هذه التكاليف عن طريق اجبارها على دفع الضرائب. وعلى هذا الاساس اقر مجلس العموم البريطاني في ٩ اذار ١٧٦٤ قانون الدخل الأمريكي American Revenue Act الذي اقترحه رئيس الوزراء جورج كرانفيل والذي يعرف عادة بقانون السكر Sugar Act .

لقد ادخل القانون الجديد بعض التعديلات على قانون المولاس (دبس السكر) Molasses Act [٢]، وفرض ضرائب عالية جديدة على المنسوجات

---

(١) ازداد الدين الحكومي في بريطانيا خلال حرب السنوات السبع من ٥٣٠٠٠ جنيه استرليني في بداية الحرب إلى ١٤٠٠٠٠ جنيه استرليني في نهايتها.

Efimov, Tam zhe str. 86.

(٢) أكثر القوانين التي اصدرتها الحكومة البريطانية في المرحلة السابقة اثارة لاعتراض الأمريكيين، كان هدف الحكومة البريطانية من اصداره مساعدة المزارعين الانجليز في جزر الهند الغربية. فرضت بموجبه ضريبة كبيرة على السكر والمولاس والروم الواردة من خارج الإمبراطورية البريطانية على امل ان يؤدي ذلك إلى توقف سفن نيوانجلند عن حمل منتجات جزر الهند الغربية غير البريطانية وبالاخص منتجات الجزر الفرنسية، وقد اعترض التجار الأمريكيون على القانون بشدة لان السكر والمولاس الفرنسيين كانا ارخص من السكر والمولاس الانجليزيين كما ان بعض المنتجات الأمريكية الفائضة كالحبوب والسمك كانت تباع بشكل جيد في جزر الهند الغربية فجاء القانون الجديد ليقضي على هذه التجارة ويؤلف ضربة كبيرة لآلاف المزارعين وصيادي الاسماك الأمريكيين. لهذا كله جوبه القانون باحتجاجات قوية

والقهوة والنيلة غير البريطانية وعلى النبيذ المستورد من جزر ماديرا وجزر الكناري مباشرة وضاعف الضرائب المفروضة على البضائع الاجنبية التي يعاد شحنها في بريطانيا إلى المستعمرات وأضاف مواداً اخرى منها الحديد والجلود والحرير الخام إلى قائمة المواد التي فرض عليها قانون المولاس الضرائب وحظر استيراد الروم الاجنبي والنبيذ الفرنسي إلى المستعمرات [1].

كانت النقود سبباً اخر للمشاكل بين بريطانيا والمستعمرات، فالسياسة البريطانية كانت ، كما ذكرنا ، تؤدي إلى استنزاف النقود من المستعمرات وكانت الحكومة البريطانية ترفض ان ترسل نقوداً إلى المستعمرات وترفض ان تسمح بسكها هناك كما ترفض ان تسمح للمستعمرات بان تسك نقوداً خاصة بها، وقد حاولت المستعمرات ان تحل المسألة باستخدام مواد مختلفة بمثابة نقود، كما اشرنا سابقاً ، لكن ذلك خلق لها مشاكل اخرى لم يكن بالامكان حلها، ورأى الأمريكيون ان الحل يكمن في اصدار نقود ورقية، وهو ما فعلته اغلب المستعمرات. لكن للنقود الورقية مشاكلها ايضاً فقيمتها لم تكن ثابتة طالما انها لم تكن مغطاة بالذهب والفضة، وكان الناس ، تلافياً للخسارة التي يمكن ان يتسبب بها لهم عدم ثبات قيمتها يعمدون إلى زيادة اسعار المواد التي يبيعونها. يضاف إلى ذلك ان قيمة هذه النقود كانت تتناقص كلما ابتعد استخدامها عن المستعمرة التي اصدرتها بل انها كانت مكروهة جداً في انجلترا. لهذا كله استاء التجار الانجليز كثيراً من اجبارهم على قبول هذه النقود التي كانت قيمتها الشرائية قليلة في المستعمرات واقل منها في انجلترا. وقد وجدت شكاوي التجار الانجليز بهذا

ومباشرة وتجاهله التجار واصحاب السفن الأمريكيين وظلوا يمارسون هذه التجارة بطريق التهريب في ظل استحسان واضح من قطاعات واسعة من سكان المستعمرات.

(1) Morris, Op. Cit., PP.85-86.

الشأن اذناً صاغية في البرلمان الذي عمد إلى فرض قيود على نقود المستعمرات الورقية ، توجت بالقانون الذي اصدرته الحكومة البريطانية في ١٧٦٤ ومنعت فيه اعتباراً من ١ أيلول من تلك السنة اصدار النقود الورقية في جميع المستعمرات [1] ، وفرضت على حاكم المستعمرة الذي يصادق على أي قانون تصدره الهيئة التشريعية في مستعمرته تحدياً لهذا القانون، عقوبة صارمة تمثلت بتغريمه مبلغاً مقداره ١٠٠٠ جنيه استرليني وصرفه من وظيفته الحالية وحرمانه من تولي أي منصب حكومي في المستقبل [2]. وقد سبب هذا القانون الكثير من الضرر للمزارعين والحرفيين والتجار الأمريكيين الذين كان الكثير منهم مكبلين بديون كانوا في السابق يسددونها بالنقود الورقية ، وقد تعمق الضرر الذي أصابهم لان اصدار القانون اقترن بهبوط اقتصادي شديد لم تشهد المستعمرات مثيلاً له من قبل [3].

قدر كرانفيل ان قانون الدخل الأمريكي، اذا احسن تطبيقه سوف يجلب للخزينة البريطانية دخلاً مقداره ٤٥٠٠٠ جنيه استرليني في السنة [4]. ولكي يضمن حسن التطبيق عمد إلى تأكيد الاجراءات الصارمة التي اتخذها سلفه بيوت وزاد عليها تدابير واجراءات جديدة اراد لها ان تسهم في اصلاح دوائر الكمارك وتضمن تنفيذ القوانين الخاصة بها. من ذلك انه قام بتأسيس محكمة تابعة للأميرالية في ميناء هاليفاكس وجعل سلطتها تشمل المستعمرات الأمريكية جميعها على ان تجري المحاكمات فيها بدون محلفين امريكيين وامام قاضي

(1) كان منع اصدار النقود الورقية قد فرض في نيوانجلند منذ ١٧٥١ وجاء هذا القانون ليعمم المنع على جميع المستعمرات الاخرى.

(2) Morris, Op. Cit., PP.86-87.

(3) انظر حول ذلك :

Knollenberg, Op. Cit., PP.170-173.

(4) Morris, Op. Cit., P.86.

بريطاني، ومنح المدعين العامين والمخبرين الحق في ان يختاروا اقامة الدعاوى فيها وليس في المحاكم المحلية القائمة في المستعمرات والغى حق المتهم باقامة الدعوى في الحالات التي يتعرض فيها للاعتقال أو لمصادرة امواله بشكل غير قانوني ، وجعل المتهم مسؤولاً عن اقامة الدليل واجبره على دفع مصاريف المحاكمة، ووضع قواعد تسجيل صارمة للسفن وفرض عليها قيوداً مشددة سواء كانت البضاعة التي تحملها مسجلة ام لا ، واصدر اوامره لحكام المستعمرات وضباط الجيش بان يستخدموا كل صلاحياتهم لضمان تنفيذ هذه التدابير، ومنع ضباط الكمارك من البقاء في انجلترا وترك اعمالهم في المستعمرات ليقوم بها مساعدوهم ، وكانت هذه عادة شائعة لدى البعض من اولئك الضباط، وهدد من لاينفذ ذلك ومن لايلتزم بالتعليمات ومن لايجبي الضرائب بالمقادير التي يحددها القانون بالعقاب [1].

اثارت هذه الإجراءات استياءً شديداً وشاملاً في المستعمرات لأنها كانت تمس مختلف نواحي نشاط المستوطنين [2] وتؤدي بالتالي إلى استياء مختلف فئات وطبقات المجتمع هناك " كل قيد [من القيود التي فرضتها بريطانيا على المستعمرات] كان يؤدي إلى غضب احدى الجماعات، فعندما تحجز اشجار معينة للبحرية البريطانية يحتج قاطعو الاخشاب الأمريكيين وعندما تبذل جهود لجباية الريع الثابت يستاء العديد من المزارعين وعندما تقر قوانين لمساعدة الانجليز على جمع الديون الأمريكية يشعر الاشخاص الذين اقترضوا الاموال بالامتعاض. وعلى الرغم من ان اياً من هذه القيود لم يكن مهماً

(1) Alden, Op. Cit., PP.60, 62; Morris, Op. Cit., PP.85-86.

(2) عن اثار التدابير البريطانية في المستعمرات انظر:

Knollenbrg, Op. Cit., PP.157-164.

بمفرده فانها مجتمعة ادت إلى اثارة عداوة لايستهان بها تجاه الحكومة البريطانية"[1].

بادرت المستعمرات إلى الاحتجاج على تلك التدابير بمختلف الوسائل [2] . وكانت مدينة بوسطن صاحبة المبادرة في الاحتجاج ففي ايار ١٧٦٤ عقد فيها اجتماع عام اعلن المشاركون فيه احتجاجاً شديداً على القرار الذي اتخذه البرلمان البريطاني في اذار وصادق عليه الملك بفرض ضرائب جديدة وانتخب المشاركون في الاجتماع لجنة خاصة فوضوها بتقديم المذكرة إلى الجمعية التشريعية في مستعمرة ماساتشيوستس حول مطالب المستوطنين. ووضعت اللجنة المذكورة المطلوبة وقدمتها إلى الجمعية التشريعية وقرأت فيها.

تضمنت المذكرة لوماً للحكومة البريطانية لأنها خرقت الحقوق التي ضمنها الدستور واكدت انه " اذا كانوا يفرضون علينا باي شكل من الاشكال الاتاوات في الوقت الذي ليس لنا فيه ممثلون في البرلمان الا يعني ذلك انهم ينزلونا من وضع المواطنين الاحرار إلى الوضع الذليل للعبيد دافعي الاتاوات"[3]. واقرت الجمعية التشريعية المذكرة واتخذت قراراً بها ارسلته إلى لندن وألفت لجنة كلفتها بالاتصال بالجمعيات التشريعية في المستعمرات الأخرى وارسلت اللجنة في ٢٥ حزيران ١٧٦٤ رسائل إلى تلك الجمعيات حثتها فيها على القيام بعمل موحد [4].

(1) Riegle and Haugh, Op. Cit., PP.70-71.

(2) انظر تفاصيل وافية عن هذه الاحتجاجات سواء من قبل الافراد والجماعات أو من قبل الهيئات التشريعية في المستعمرات في :

Knollenberg, Op. Cit., PP.174-209.

(3) Tsit Fursenko, Tam zhe str. 49.

(4) Knollenberg, Op. Cit., P.186.

حذت المستعمرات الأخرى حذو ماساتشيوستس واتخذت قرارات مماثلة وكان بعض هذه القرارات حاد اللهجة وبعضها كان على العكس معتدلاً جداً ولكنها جميعاً كانت، على الرغم من انها صيغت بعبارات الاخلاص والطاعة، تنطلق من موضوعة انه طالما ان المستعمرات ليس لها ممثلون في البرلمان البريطاني فان هذا البرلمان لايحق له ان يفرض عليها الضرائب.

كان استياء المستوطنين يتنامى يوماً بعد يوم وكانت اجتماعات الاحتجاج العامة تعقد في المدن وبدأت تصدر بهذا الخصوص كراريس تنتقد السياسة البريطانية كان اولها بعنوان: " حقوق المستعمرات البريطانية مؤكدة ومثبتة" كتبه احد محامي بوسطن المعروفين هو جيمس اوتيس James Otis وضمنه نقداً حاداً للسياسة البريطانية [1] ، واخر بعنوان " مشاعر بريطاني – امريكي بشأن قانون يفرض رسوماً معينة في المستعمرات والمزارع البريطانية " كتبه شخص اسمه تاجر Thacher اكد فيه بان المستعمرات ، باعتبارها اعضاء في الإمبراطورية البريطانية لها نفس الحقوق التي يتمتع بها سكان الجزر البريطانية انفسهم [2].

لكن كرانفيل بدلاً من ان يصغي لهذه الاحتجاجات مضى في عزمه على جباية الاموال من المستعمرات فوضع ما عرف بقانون الطابع " الذي صمم لجني المال وليس لتنظيم التجارة " [3].

(1) انظر مقتطفات من هذا الكراس في:
Sources and Documents illustrating the American Rerolntion 1764-1788 and the Formation of the Federal Constitution. Selected and edited by Samuel Eliot Morison, Second Edition New – York 1965, PP.4-9.

(2) Knollenberg, Op .Cit., PP.187-188.

(3) Riegle and Haugh , Op. Cit., P.79.

الواقع ان كرانفيل كانت قد سنحت له الفرصة للحصول على ما كان يريده من اموال دون اصدار مثل هذا القانون الذي اثار استياءً لم يسبق له مثيل في المستعمرات، فقد اقترح عليه فرانكلين، وكان آنذاك ممثلاً لبنسلفانيا في لندن ان تقوم الحكومة البريطانية بتأسيس مصرف في أمريكا تكون مهمته اصدار النقود الورقية واقراض المستوطنين على ان تستخدم فوائد القروض التي يعقدها المصرف للصرف على القوات البريطانية المرابطة في أمريكا، وبذلك يستفيد الأمريكيون وذلك بحصولهم على الأموال التي يحتاجونها وتستفيد بريطانيا بتوفيرها المال اللازم للصرف على قواتها في أمريكا. لكن كرانفيل لم يدرك اهمية هذا الاقتراح لاسيما وانه جاء متأخراً إذ ان مناقشة لائحة قانون الطابع كانت قد بدأت في البرلمان البريطاني.

اقر مجلس العموم البريطاني قانون الطابع في ٢٧ شباط ١٧٦٥ واقره مجلس اللوردات في ٨ أذار وصادق عليه الملك في ٢٢ أذار من السنة نفسها على ان يصبح نافذاً من ١ تشرين الثاني من تلك السنة.

فرض القانون الجديد [1] ضراب على الجرائد والتقاويم والكراريس وجميع الوثائق القانونية وعقود التأمين ووثائق السفن والرخص بل حتى على النرد وأوراق اللعب، واريد له ان يوفر من هذه الضرائب ٦٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً، ليؤلف ذلك مع عائدات الضرائب التي فرضت في ١٧٦٤ ثلث كلفة المؤسسات العسكرية في المستعمرات التي تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني. واقر القانون تقديم كل من يخرقه إلى المحاكمة في محاكم تابعة للاميرالية لاتعتمد نظام المحلفين أو امام المحاكم العادية القائمة في المستعمرات. لكن

(1) انظر نص القانون في :
Commager, Op. Cit., PP.53-55.

كرانفيل اخذ بنظر الاعتبار حساسية الأمريكيين فقرر ان يكون وكلاء بيع الطابع في المستعمرات من الأمريكيين انفسهم.

اضر القانون الجديد بمصالح جميع سكان المستعمرات ولهذا فانه اثار استياءً عاماً وجوبه بمعارضة واسعة وشديدة من الجمعيات التشريعية في المستعمرات. لقد رأى الأمريكيون ان فرض الضرائب عليهم دون موافقتهم عمل غير شرعي لانه يتعارض مع مبدأ " لاضرائب بدون تمثيل " كما انه يعد سابقة لم تحصل في السابق فلم يسبق للبرلمان أو الملك ان فرضا طيلة المرحلة السابقة ضرائب على سكان المستعمرات بهدف الحصول على مورد للخزينة البريطانية وزاد الطين بلة قانون الايواء Quartering Act الذي صدر بتوجيه من الجنرال توماس كيج Gage القائد الجديد للقوات البريطانية في أمريكا ليكون نافذاً لمدة سنتين ابتداءً من ٢٤ آذار ١٧٦٥ ، فقد القى هذا القانون حطباً اضافياً على نار الاستياء التي اخذت تعم المستوطنين في مختلف المستعمرات ذلك انه فرض على السلطات المدنية في المستعمرات ان توفر الثكنات والمؤن للقوات البريطانية [١].

كانت فرجينيا أول من احتج على قانون الطابع إذ اجتمعت جمعيتها التشريعية في ٣٠ أيار ١٧٦٥ لبحث الموضوع، وفي هذا الاجتماع قدم باتريك هنري للمجتمعين مشاريع سبعة قرارات طلب منهم ان يقروها ، تضمنت الثانية بان البرلمان لم يكن يمتلك السلطة لفرض الضرائب على سكان فرجينيا عندما استوطنوا أمريكا في البداية وانهم لم يسبق لهم ابداً ان فرضت عليهم ضرائب بدون موافقة ممثليهم، وان البرلمان لم يكتسب سلطة فرض الضرائب عليهم وان قانون الطابع يعد خرقاً لحقوق الفرجينيين باعتبارهم انجليز ، لذان فان من يطرحه

(١) انظر نص القانون في :
Commager, Op. Cit., PP.61-62.

يعد عدواً لفرجينيا [١]. وعزز باتريك هنري اقتراحاته هذه بخطبة حماسية عنيفة اتهم فيها الملك البريطاني بالطغيان وذكره بالمصير الذي آل اليه الطغاة تاركوين و... أبوس قيصر وشارل الأول ودعاه لان يستخلص من ذلك درساً وعبره [٢].
على الرغ من ان الاعضاء المحافظين في الجمعية كانوا يقاطعون باتريك هنري اثناء القاء خطابه بهتافات تصمه بالخيانة الا ان الجمعية اتخذت في النهاية جملة قرارات تضمنت جوهر القرارات الخمس الأولى التي قدمها باتريك هنري حيث جاء فيها بين امور اخرى بان رعايا الملك في فرجينيا كانوا " قد منحوا جميع الحريات والامتيازات والحصانات" التي يتمتع بها رعيته في بريطانيا وان هذه الامتيازات تتضمن " الحق الذي لايقدر بثمن في ان يحكموا بقوانين تحترم سياستهم الداخلية وان يكون فرض الضرائب [عليهم] مستمداً من موافقتهم الخاصة مقترنة بموافقة عاهلهم أو من ينوب عنه ... " و " ان كل محاولة لتخويل مثل هذه السلطة لاي شخص أو اشخاص غير الجمعية العامة [الخاصة بفرجينيا] المذكورة آنفاً ، مهما كان اولئك الاشخاص تعني تدمير الحرية البريطانية والامريكية على السواء ... " . وفي اليوم التالي اتخذت الجمعية قرارين اخرين أكثر جدية جاء فيهما ان سكان فرجينيا غير ملزمين باي قانون يفرض ضرائب غير تلك التي تفرض من قبل هيآتهم التشريعية وبان أي شخص يؤكد غير ذلك يجب، ان يعد عدواً للمستعمرة [٣].

اما الجمعية التشريعية في ماساتشيوستس فلم تكتف بالاحتجاج على قانون الطابع بل عمدت إلى توجيه دعوة للمستعمرات الأخرى دعتهم فيها إلى ارسال مندوبين عنها لعقد مؤتمر في تشرين الأول ١٧٦٥ لدراسة الوضع واتخاذ موقف موحد. واستجابت المستعمرات لدعوة ماساتشيوستس وارسلت ثمان منها

(1) Aldin, Op. Cit., PP.68-69.
(2) Fursenko, Tam zhe str. 50.
(3) Commager, Op. Cit., P.56; Knollenberg, Op. Cit., P.217.

هي كونيكتكوت ورودايلند ونيويورك ونيوجرسي وديلاوير وبنسلفانيا وميريلاند وكارولينا الجنوبية مندوبين عنها عقدوا مع ممثل ماساتشيوسنس واشخاص فوضتهم المستعمرات الأخرى ان ينوبوا عنها، مؤتمراً في نيويورك في المدة من ٧ إلى ٢٥ تشرين الأول ١٧٦٥.

كان المؤتمر خطوة مهمة على طريق تكاتف قوى حركة التحرر من السيطرة البريطانية في المستعمرات حيث مثل مناسبة لاجتماع العناصر القيادية من جميع المستعمرات وتبادل وجهات النظر فيما بينهم واتخاذ قرارات جماعية. لقد حضر المؤتمر سبعة وعشرون مندوباً اغلبهم من العناصر المعتدلة وقد كان لهذه الحقيقة أثرها في القرارات التي صدرت عنه، فالى جانب احتجاجه على قانون الطابع ومطالبته بسحبه في عرائض ارسلت إلى الملك البريطاني ومجلسي العموم واللوردات استناداً إلى مبدأ " لاضرائب بدون تمثيل " وادانته لتجريد الأمريكيين من حق المحاكمة بواسطة محلفين باعتبار ان ذلك خرق لحقوق الانجليز وغير ذلك من الامور التي اثارت سخط سكان المستعمرات، رفض المؤتمر الاقتراح الذي تقدم به مندوبو كارولينا الجنوبية والذي يقتضي بتجاهل البرلمان البريطاني وابدى للملك ولمجلسي البرلمان في العرائض التي ارسلها اليهم مراسيم الولاء والاخلاص [١] . ومع ذلك فان المبدأ الذي اعتمده المؤتمر حين اقر بانه " لاضرائب بدون تمثيل " والذي اصبح " من تلك اللحظة شعاراً قتالياً للنضال ضد سياسة المتربول " [٢] كان خطوة في غاية الاهمية على طريق تبلور الحركة المناهضة للسيطرة البريطانية في المستعمرات ذلك انه كان يتضمن في واقع الامر الكفاح من اجل السلطة، لان المستوطنين كانوا يرفضون

(1) Sources and Documents … PP.32-34; Commagr, Op. Cit., P.58.
(2) Fursenko, Tam zhe str. 51.

دفع الضرائب على اساس انهم لايشاركون في البرلمان البريطاني أي لايشاركون في السلطة.

لكن على الرغم مما يعنيه ذلك من تطلع إلى السلطة مما يدخل في شؤون السياسة والحكم فان اعتراضات سكان المستعمرات الحقيقية في هذه المرحلة كانت اقتصادية مبعثها الصعوبات التي اخذ الأمريكيون يجابهونها بعد حرب السنوات السبع حين منعوا من التوسع باتجاه الغرب ومن اصدار النقود الورقية فكيف والحالة هذه يقبلون بفرض الضرائب الجديدة التي من شأنها لو نفذت ان تؤدي إلى ان يتسرب إلى بريطانيا النقد القليل الذي تملكه المستعمرات مما يؤدي إلى كساد الاعمال فيها.

هذا هو في الواقع ما يفسر التذبذب الذي رأيناه في قرارات المؤتمر فالتجار والمزارعون الممثلون فيه لم يكن احد منهم آنذاك يفكر جدياً بالقطيعة مع بريطانيا بل على العكس من ذلك كانوا يسعون إلى التفاهم معها ومهادنتها، ولكنهم كانوا يتعرضون لضغط الحركة الشعبية الاخذة بالاتساع وتنامي استياء الجماهير وكان هذا الضغط وراء القرارات الراديكالية التي اتخذها المؤتمر.

اتسعت الحركة التحررية في المستعمرات وانعكس ذلك في ظهور العديد من النوادي والمنظمات كانت من أوسعها انتشاراً منظمة " ابناء الحرية " التي سبقت الإشارة اليها. وكان لظهور هذه المنظمات ولاسيما منظمة " ابناء الحرية " التي ضمت الكثير من التجار الذين ترتبط مصالحهم بتطور السوق الأمريكي الداخلي ، اهمية بالغة بالنسبة لتطور الاتجاه الثوري في الحركة الرامية إلى التحرر من السلطة البريطانية. فقد قامت منظمة " ابناء الحرية" بدعاية مكثفة وشنت كفاحاً لا هوادة فيه ضد سياسة الحكومة البريطانية عارضت بفعالية المشاريع التي حاول الانجليز فرضها على سكان المستعمرات.

لقد احتدم الصراع حول قانون الطابع في ماساتشيوستس بشكل خاص فاعتباراً من اب ١٧٦٥ اصبحت بوسطن مسرحاً لاجتماعات حاشدة ومواكب جماهيرية كبيرة كانت تندد بالمسؤولين الذين عينوا أو سيعينون موزعين لاوراق الطابع وتهددهم بنبذهم اجتماعياً ومعاقبتهم اقتصادياً بل وباستخدام العنف ضدهم في حالة عدم استقالتهم . وحصلت أول حادثة من هذا النوع في ١٤ آب ، ففي الصباح الباكر من ذلك اليوم قام اشخاص مجهولون بشنق دمية تمثل سكرتير المستعمرة اندرو اوليفر Oliver صهر حاكم المستعمرة هتشنسون Hutchinson ، وكان قد عين موزعاً للطوابع في المستعمرة، ووضعوها معلقة في المشنقة في وسط المدينة. وبعد ظهر اليوم نفسه حمل حشد كبير اللعبة إلى البناية التي كان مقرراً ان تكون مقراً له يمارس فيه عمله في توزيع اوراق الطابع فدمروها ثم تحولوا إلى بيته فحطموا نوافذه واقتحموه وعندما لم يجدوه في المنزل دمروا الاثاث الموجود فيه، وقبل ان يتفرقوا قطعوا رأس الدمية ثم احرقوها على تل قريب من البيت ، ووجهوا له تهديدات بالقتل بصوت عال. فاضطر اوليفر إلى الاستقالة وحذا حذوه موزعو الطوابع الذين كان قد عين واحد منهم في كل ولاية. في الوقت نفسه قادت منظمة " ابناء الحرية " حركة ناجحة لمنع انزال اوراق الطابع التي ارسلت من بريطانيا في الموانئ الأمريكية ومنع بيعها في حالة انزالها [1]. وعمد الأمريكيون في محاولة منهم للضغط على البريطانيين، إلى تأجيل دفع الديون المستحقة عليهم لهؤلاء الاخيرين ، كما قللوا من طلبياتهم للبضائع الانجليزية" وكان الضغط الذي مارسوه على صانعي هذه البضائع وبائعيها مؤثراً " [2].

(1) انظر حول حادثة اوليفر والاحداث الأخرى المشابهة:
Alden, Op. Cit., P.70; Knollenbrg, Op. Cit., PP. 218-227.

(2) Alden, Op. Cit., P.70.

على اية حال لقد كان النضال الذي شنته الجماهير الشعبية بقيادة منظمة ابناء الحرية " ناجحا ومؤثرا بحيث لم يعد يوجد في أي من المستعمرات الثلاث عشرة من له سلطة لتوزيع أو بيع أوراق الطابع باستثناء جورجيا. وكان السبب في الهدوء الذي ساد جورجيا وفي امتثالها لقانون الطابع انها كانت تتسلم من الخزينة البريطانية تمويلاً مقداره ٤٠٠٠ جنيه استرليني في السنة، لذا فان سكانها لايمكنهم الادعاء بان قانون الطابع يمثل ظلماً اقتصادياً اوقع عليهم. بالاضافة إلى ان حاكمها جيمس رايت James Wright كان بامكانه ان يستدعي جنوداً بريطانيين كانت بريطانيا تدفع نفقاتهم ، لمساعدته، علماً بان العديد من البحارة البريطانيين كانوا متواجدين في موانئ المستعمرة. ومع ذلك فان موزع الطوابع في جورجيا الذي لم يكن امريكياً لم يستمر في عمله الا مدة قصيرة جداً، وبعد ان باع ، بتشجيع ودعم من رايت عدداً قليلاً من الطوابع، ترك المستعمرة التي اجتاحتها عاصفة من الاحتجاجات لم يشأ حاكم المستعمرة الذي كان يتصف بالحصافة والحكمة ان يقف ضدها وقرر التوقف عن جهوده الرامية إلى الاستمرار في فرض قانون الطابع، كما لم يقم أي حاكم اخر في المستعمرات الأخرى بمحاولة جدية لفرض القانون . لكن لماذا لم يعمد حكام المستعمرات إلى تفريق الحشود الجماهيرية التي ادت إلى ان تعجز السلطات عن ان تجد موظفين لتوزيع الطابع أو عن ان توصل اوراق الطابع إلى الأرض الأمريكية ؟ . السبب هو ان السياسيين والمحامين وحتى رجال الدين كانوا يشجعون هذه الحركة. بل ان كثيراً من الأمريكان الذين اظهروا اسفهم للتطرف الذي مارسته الجماهير كانوا يعتقدون ان موزعي الطوابع واصدقاءهم القليلين كانوا يستحقون في الاقل جزءا من الخسائر والاهانات التي لحقت بهم . وحتى اولئك الذين استنكروا تلك الاعمال لم يكن بامكانهم الوقوف ضد هذه الحركة العارمة . اما الحكام فقد كانوا هم ايضاً عاجزين عن التصدي لهذه الحركة الجماهيرية لانهم جميعاً ، باستثناء

حاكم جورجيا جيمس رايت لم تكن تحت تصرفهم قوات يستطيعون بواسطتها تفريق الجماهير. لقد كانوا يستطيعون استدعاء مليشيات للخدمة لكن ذلك محفوف بالخطر إذ ان هذه المليشيات ستتألف من الأمريكيين الذين يتعاطفون في غالبيتهم الساحقة مع الحركة وبالتالي لايتوقع منهم طاعة الاوامر ان لم ينضموا هم انفسهم إلى الحركة. اما الحكومة البريطانية فقد فكرت على ما يبدو بان ترسل قوات اضافية من بريطانيا لاجبار الأمريكيين على دفع الضرائب ولكنها عدلت عن ذلك واخذت بنصيحة فرانكلين الذي دعاه البرلمان البريطاني للتشاور بشأن هذه المسألة، فعندما سئل فرانكلين عن امكانية اجبار المستعمرات على دفع الضريبة اجاب بقوله : " اذا ارسلت القوات لكي تجبر [الأمريكيين] على تنفيذ القانون [قانون الطابع] بالقوة فانها لن تجد هناك ثورة ولكنها يمكن ان تكون سبباً في اشتعالها " [1].

من ناحية اخرى لم تكن الأوساط الحاكمة في بريطانيا تريد الموافقة على مطلب الأمريكيين في ان يكون لهم ممثلين في البرلمان البريطاني، لأنها كانت تخشى من ان يستغل هؤلاء الانقسامات السياسية في بريطانيا فيحدثون قلاقل واضطرابات في المجتمع البريطاني كما ان البعض من السياسيين البريطانيين كان يتحفظ على السماح لممثلي سكان المستعمرات في البرلمان، فيما لو تقرر ان يكون للمستعمرات ممثلين فيه، بمناقشة القضايا التي لاتتعلق بالمستعمرات أو التصويت عليها.

وهكذا ظل التناقض قائماً بين الجانبين، وعمد سكان المستعمرات إلى مقاطعة البضائع البريطانية في محاولة منهم للضغط على التجار والصناعيين البريطانيين لدفعهم إلى الضغط على حكومتهم ودفعها إلى الغاء القانون، ففي أواخر تشرين الأول ١٧٦٥ اتفق تجار نيويورك وفيلادلفيا وبوسطن على عدم

[1] Tsit. Efimov, Tam zhe str. 89.

استيراد البضائع من بريطانيا باستثناء البضائع المعفية من الضرائب [1]. ومع ان محاولات سابقة قد جرت لمقاطعة البضائع البريطانية منذ سنة ١٧٦٤ الا ان هذه الحركة لم تصبح واسعة ومؤثرة الا عندما حل موعد تنفيذ قانون الطابع في خريف عام ١٧٦٥ . وقد ادت منظمات " ابناء الحرية " دوراً مشهوداً في انجاح حركة المقاطعة حيث كانت تقوم بمراقبة تنفيذ المقاطعة وتعقب من لم يلتزم بها. وترتب على حركة المقاطعة هذه انخفاض حجم الصادرات البريطانية إلى المستعمرات الأمريكية في سنة واحدة بمقدار ٣٠٠ الف جنيه استرليني ، وكان من نتيجة ذلك ان توقف عن العمل عدد من المصانع البريطانية وبدأ التجار البريطانيون يتكبدون خسائر ملحوظة [2]. وكان لذلك اثره على الوضع الاقتصادي في بريطانيا التي لم تكن قد تعافت بعد من الركود الاقتصادي الذي اصابها بعد حرب السنوات السبع. لذا توصلت الحكومة البريطانية إلى الاقتناع بضرورة الغاء قانون الطابع ولكنها ارادت ان لايبدو ذلك وكأنه استرضاء للأمريكيين أو نصر لهم ، ورأت في العرائض الكثيرة التي أخذ التجار والصناعيين البريطانيين يقدمونها لها طالبين الغاء الضرائب التي فرضها قانون الطابع على الأمريكيين مخرجاً مناسباً يحقق لها هذا الهدف.

من الناحية الأخرى كان وضع الحكومة البريطانية قد اصبح حرجاً لدرجة كبيرة فهي من جهة لم تستطع ان تطبق القانون في المستعمرات بسبب المقاطعة وشدة المعارضة له هناك ومن الناحية الأخرى قامت في بريطانيا نفسها معارضة جدية للقانون قادها حزب الويك الذي كان يعبر عن مصالح الاوساط التجارية والصناعية في بريطانيا. لقد شن زعيم هذا الحزب وليم بت هجوماً شديداً على القانون وطالب بالغائه بشرط ان يجري التأكيد على سلطة بريطانيا

[1] Knollenberg, Op. Cit., P.218.
[2] Knollenberg, Op. Cit., P.218.

على المستعمرات وان تتخذ الاجراءات الفعالة لمنع تطور الصناعة هناك[1] و... صادفت اراء بت هذه هوى لدى الحكومة البريطانية والاوساط المتنفذة في ... العموم لأنها وفرت لهم حجة اخرى للتخلص من قانون الطابع الذي اصبح ... مستحيلاً بسبب عنف مقاومة الأمريكيين له. وهكذا وافق البرلمان بعد ... طويل بأغلبية ٢٧٥ صوتاً ضد ١٦٧ صوتاً على الغاء القانون، وكان ذلك في يوم ٢٢ شباط ١٧٦٦ الذي صدف انه يوم ميلاد جورج واشنطن الذي قاد ... الأمريكية في حرب الاستقلال فيما بعد واصبح أول رئيس للولايات المتحدة ... اقر مجلس اللوردات، بضغط من الملك لائحة الإلغاء في ١٧ أذار وفي ... التالي صادق الملك على اللائحة فأصبحت قانوناً نافذاً . وفي اليوم نفسه أي ... أذار اقر البرلمان بمجلسيه باغلبية كبيرة قانوناً اكد سيادة بريطانيا على المستعمرات واعلن ان للبرلمان البريطاني السلطة التامة في سن القوانين التي تلزم المستعمرات " في كل الحالات مهما تكن " [2].

اثار الغاء قانون الطابع موجة من الفرح في المستعمرات ، واحتفل المستوطنون بهذا الحدث الذي عدوه نصراً لهم بقرع اجراس الكنائس وإقامة صلوات الشكر واطلاق عيارات المدافع ومسيرات الفرح في الشوارع. واشادت الجرائد الأمريكية بالنصر الذي حققه الأمريكيون، وسارع التجار إلى استئناف استيراد البضائع البريطانية وباشر المدينون منهم للانجليز بدفع ديونهم وزال موقتاً التوتر بين الجانبين.

لكن الغاء قانون الطابع لم يقض نهائياً على استياء الأمريكيين من السياسة البريطانية لاسيما وانه اقترن بالقانون الذي اكدت فيه بريطانيا سيادتها

(1) Max Beloff (ed.), the Debate on the american Revolution 1761-1783, Second edition, London 1960, PP.92-96, 100-105.

(2) Commager, Op. Cit., PP.60-61; Morris, Op. Cit., P.89; Alden, Op. Cit., PP. 78-79.

على المستعمرات والذي عرف بـ Declaratory Act ، فقد عد الأمريكيون هذا القانون دليلاً على مواصلة الملك الانجليزي سياسته الاستبدادية. وقد عبر ... المستعمرات عن استيائهم من الملك في عدة مناسبات منها مثلاً رفض الجمعية التشريعية في نيويورك اعتماد المال اللازم لنصب تمثال تقرر ان يقام له في المدينة ورفض مجلس كارولينا الجنوبية الصرف على صورة له اريد رسمها هناك [1].

على اية حال لم يلبث التوتر ان عاد مرة اخرى إلى العلاقات بين بريطانيا ومستعمراتها في أمريكا الشمالية، وارتبط ذلك في هذه المرة بمحاولة السلطات البريطانية في المستعمرات تنفيذ قانون الإيواء الذي سبقت الاشارة اليه. في ١٢ كانون الأول ١٧٦٥ طلب الجنرال توماس كيج Thomas Gage قائد القوات البريطانية في أمريكا الشمالية ومقره في نيويورك من جمعية نيويورك التشريعية ، بواسطة حاكم المستعمرة ان تتخذ التدابير اللازمة لايواء قواته وتجهيزها بموجب هذا القانون ورفضت الجمعية هذا الطلب في قرار لها اصدرته في كانون الثاني ١٧٦٦ الامر الذي ادى إلى تأزم الموقف. واستمر التوتر بالتصاعد طيلة ربيع وصيف ذلك العام، ووصل الامر في ١١ آب إلى حدوث صدام بين سكان المستعمرة والجنود البريطانيين جرح خلاله قائد منظمة ابناء الحرية في المستعمرة. ورغم ان الجمعية عادت ووافقت على تخصيص ٣٠٠٠ جنيه استرليني للاغراض التي طلبها كيج الا ان البرلمان البريطاني الذي لم يكن قد وصله قرار الجمعية الاخير بعد، اتخذ قراراً بتعليق الصلاحيات التشريعية للجمعية اعتباراً من ١ تشرين الأول ١٧٦٧ . ومع ان حاكم المستعمرة لم ينفذ هذا القرار بسبب موافقة الجمعية على تخصيص المبلغ المذكور الا ان مجلس التجارة في لندن اكد قرار البرلمان واعلن في ١٧٦٨ بطلان جميع

(1) Alden, Op. Cit., P.82.

القوانين التي أصدرتها الجمعية بعد ١ تشرين الأول ١٧٦٧ والتي ستصدرها بعد قراره هذا [١].

في مثل هذا الجو اصدرت الحكومة البريطانية ما عرف بقوانين تاونشيند Townshend Acts.لقد صدرت هذه القوانين بمبادرة من جارلس تاونشيند الذي اصبح وزيراً للمالية في وزارة وليم بت التي تولت السلطة في اب١٧٦٦ ، والتي اصبح تاونشيند في بداية ١٧٦٧ القائد الفعلي لها بسبب مرض رئيسها بت[٢].

لقد اراد تاونشيند ان يحقق هدف الحكومة البريطانية في فرض ضرائب على الأمريكيين توفر للخزينة البريطانية دخلاً لايستهان به ، ولكنه اراد ان يفعل ذلك بطريقة لاتثير الأمريكيين كما حصل في ضريبة الطابع التي اثارتهم لأنها كانت ضريبة داخلية مباشرة لم يالفوا مثلها من قبل . لهذا فانه قرر ان يجعل الضرائب غير مباشرة لايحس بها دافعوها مباشرة، فوضع لهذا الغرض لائحة اقرت مع المراسيم الملحقة بها واصبحت نافذة ابتداء من ٢٠ تشرين الثاني ١٧٦٧، وتضمنت فرض ضرائب استيراد على الزجاج والرصاص والاصباغ والورق والشاي وغير ذلك من البضائع. وقدر الدخل السنوي الذي سيوفره للخزينة البريطانية من هذه الضرائب بـ ٤٠٠٠٠ جنيه استرليني قيل انها ستستخدم للدفاع عن المستعمرات وللصرف على الجهاز الإداري فيها الذي سيتحرر بهذه الطريقة من سيطرة الجمعيات التشريعية التي كان الصرف عليه لايتم الا بموافقتها [٣].

تضمنت اللائحة والمراسيم الملحقة بها تدابير اخرى اريد لها ان تعزز الادارة البريطانية في المستعمرات وتؤمن جباية الضرائب بدقة، من ذلك انها

(١) Morris, Op. Cit., PP.89-90.

(٢) مات تاونشيند بعد ذلك بقليل (٤ أيلول ١٧٦٧) فحل محله في وزارة المالية اللورد نورث North الذي كان على جهل تام بالشؤون الأمريكية.

(٣) Commager, Op. Cit., PP.63-64; Morris, Op. Cit., P.90.

اقرت بوضوح على سلطة قضاة المحكمة العليا باصدار مذكرات الاستدعاء وقضت بتأسيس محاكم جديدة تابعة للاميريالية وانشاء ادارة كمارك تابعة مباشرة للخزانية البريطانية.

باشرت الحكومة البريطانية بتنفيذ قوانين تاونشيند فاسست ثلاث محاكم مشابهة للمحكمة التي اسسها كرينفيل في هاليفاكس، واحدة في كل من بوسطن وفيلادلفيا وتشارلستون، واعادت في ١٧٦٨ تنظيم دائرة الكمارك واجرت اصلاحات جذرية فيها بحيث اصبحت تدر مدخولاً يزيد كثيراً على ماكانت تدره في السابق، فاذا ماكانت عملية جباية الضرائب قبل ١٧٦٨ تكلف ٩ آلاف جنيه في السنة والدخل الذي قدره الفي جنيه فقط (أي بعجز مقداره ٧ آلاف جنيه) فان المصرف على جباية الضرائب بعد اصلاح الادارة ازداد في ١٧٦٨-١٧٧٤ من ٩ الاف جنيه إلى ١٣ ألف جنيه لكن ايراد الكمارك ازداد بالمقابل من الفي جنيه الى ٣٠ ألف جنيه استرليني في السنة أي ان الكمارك بعد الإصلاح اصبحت تدر دخلاً يزيد على ما تكلفه للخزينة بـ ١٧ ألف جنيه استرليني في السنة [١] .

واصدرت الحكومة البريطانية ايضاً قراراً يقضي بان يتسلم حكام المستعمرات وموظفو الادارة فيها رواتبهم من الاموال التي ستأتي من جباية الضرائب التي اقرتها تلك القوانين فحررتهم بذلك من التبعية للجمعيات التشريعية في المستعمرات وربطتهم بالحكومة البريطانية التي اصبحت الآن الجهة التي تدفع رواتبهم، وتوجت ذلك بالقرار الذي اشرنا اليه القاضي بالغاء صلاحية جمعية نيويورك التشريعية في اصدار القوانين بحجة انها رفضت الاعتراف بقانون الايواء لسنة ١٧٦٥ [٢] رغم ان الجمعية عادت إلى التعامل معه كما ذكرنا سابقاً.

(1) Efimov, Tann zhe str. 89.

(2) Fursenko, Tam zhe str. 54; Alden, Op. Cit., P.91.

اثارت الاجراءات البريطانية هذه استياءً شديداً لدى سكان المستعمرات وادت إلى نهوض جديد في الحركة المعادية لبريطانيا انعكس في الهجوم الشديد الذي اخذت تشنه الصحف التي كانت تصدر هناك على السياسة البريطانية وفي صدور عدد من الكتيبات ادان مؤلفوها فيها الاستبداد البريطاني. ودعوا إلى احترام حقوق سكان المستعمرات. وتميز من بين هذه الكتيبات الكراس الذي كتبه ديكسون Dickinson وصدر في ١٧٦٧ بعنوان " رسائل من مزارع في بنسلفانيا إلى سكان المستعمرات البريطانية " . لقد اوضح ديكنسون في كراسه هذا لسكان المستعمرات ان هدف بريطانيا هو تقوية سيطرتها وليس دفع الأمريكيين إلى الاسهام في تحمل اعباء الإمبراطورية البريطانية، ودعاهم إلى النهوض للدفاع عن حرية المستعمرات والاحتجاج " الفوري والفعال وبالاجماع " ضد اعمال بريطانيا، لكنه دعاهم في الوقت نفسه إلى العمل باسلوب سلمي بعيد عن العنف [١]. ومن الجدير بالذكر ان ديكنسون هذا كان معارضاً لاستقلال المستعمرات عن بريطانيا.

قادت مدينة بوسطن الحركة المناهضة لبريطانيا، ويبدو ان احد الاسباب التي دفعتها إلى مركز الصدارة في التصدي للسياسة البريطانية هو كونها اصبحت مقراً لادارة الضرائب الجديدة، فمنذ ان باشر موظفو هذه الادارة عملهم اصبحوا منبوذين اجتماعياً واخذوا يتعرضون للاساءات بالكلمات النابية وبالضرب احياناً [٢]. ومع انهم كانوا يتعرضون للوضع نفسه في المدن

(1) Sources and Documents ... PP. 24-54; Belof (ed.), Op. Cit., PP.125-126.

(٢) انظر امثلة حول ذلك في :

Alden, Op. Cit., PP.98-100.

من ذلك مثلاً ما قام به حشد كبير من الناس ضد موظفي ادارة الضرائب في بوسطن حين حجز هؤلاء السفينة " ليبرتي " العائدة لجون هانكوك Hancock–

الأمريكية الأخرى الا ان الاساءات التي كانت توجه اليهم في بوسطن وفي مدن ماساتشيوستس الأخرى كانت اشد وتحولت إلى اعمال عنف دورية ومتكررة . ليس هذا فحسب بل كانت بوسطن صاحبة المبادرة ايضاً في استئناف مقاطعة البضائع البريطانية، ففي ٢٨ تشرين الأول ١٧٦٧ عقد فيها اجتماع لسكان المدينة اتخذ فيه قرار بالمقاطعة. وتبع ذلك احتجاج اعلنته الجمعية التشريعية في ماساتشيوستس ضد قوانين تاونشيند ونداءان ارسلتهما الجمعية المذكورة إلى ملك بريطانيا انكرت فيهما حق البرلمان البريطاني في فرض الضرائب على المستعمرات [١]. ولم تكتف الجمعية بذلك، بل قامت ايضاً باعلام الجمعيات التشريعية في المستعمرات الأخرى في رسالة عممتها عليها في ١١ شباط ١٧٦٨ بالتدابير التي قامت بها وطلبت من تلك الجمعيات تشكيل جبهة موحدة لمناهضة ما سمته الطغيان البريطاني واقترحت عقد مؤتمر عام لهذا الغرض[٢].

اثارت رسالة جمعية ماساتشيوستس هذه حنق وزير المستعمرات البريطاني هلسبورو Hillsborough فطلب من الجمعية سحبها وامر حاكم المستعمرة برنارد Bernard بان يحل الجمعية اذا رفضت ذلك. وحين رفضت الجمعية سحب الرسالة باغلبية ٩٢ صوتاً ضد ١٧ عمد الحاكم إلى حلها لكنها واصلت اجتماعاتها رغم قرار الحاكم [٣].

دفعت المضايقات التي كان موظفو الكمارك يتعرضون لها في المستعمرات إلى ان يطلب هؤلاء المساعدة العسكرية من بريطانيا. وجاء طلبهم

احد الناشطين ضد بريطانيا بحجة انها تستخدم في التهريب، فقد تعرض هؤلاء الموظفون إلى الهجوم فاضطروا إلى الهرب واللجوء إلى سفينة حربية بريطانية كانت راسية في ميناء بوسطن.

(1) Fursenko, Tam zhe , str. 55.

(2) Alden, Op. Cit., P.99.

(3) Morison, Op. Cit., P.193; Efimov, Tam zhe str. 89.

هذا منسجماً مع توجه الحكومة البريطانية التي كانت قد قررت في هذه المرة ان تستخدم القوة لاخضاع سكان المستعمرات، فمنذ نيسان ١٧٦٨ اعلنت نيتها القيام باعادة نشر قواتها في أمريكا ، وذلك بسحب تلك القوات من مناطق الحدود الداخلية إلى المدن والمناطق الساحلية تحسباً لقيام انتفاضة هناك دون ان تدرك بان جلب الجنود البريطانيين إلى مدن المستعمرات وجعلهم يعيشون بين سكانها سيكون سبباً في قيام هذه الانتفاضة . وبالفعل اثار ذلك الأمريكيين وكان سبباً في تأزم جديد في العلاقات بينهم وبين الحكومة البريطانية لدرجة بدأ بعضهم يفكر بالسلاح وسيلة لمجابهة التدابير البريطانية، ففي ١٢ حزيران من ذلك العام عقد اجتماع مدينة في بوسطن اتخذ المشاركون فيه قراراً يدعو السكان للتزود بالسلاح ويؤكد " ان سكان بوسطن سيدافعون عن حقوقهم وحريتهم وامتيازاتهم وحصاناتهم ويحمونها رغم الخطر الشديد الذي يؤلفه ذلك على حياتهم وممتلكاتهم"(١).

ومع ذلك ظلت الحكومة البريطانية ماضية في عزمها على ارسال قوات اضافية إلى المستعمرات فامرت في صيف ١٧٦٨ بنقل فوجين من الجنود من هاليفاكس إلى بوسطن لينضما هناك إلى فوجين اخرين نقلتهما من ايرلندا ليرابطا في المدينة ايضاً، فاثار ذلك موجة جديدة من السخط لدى سكان المدينة الذين بادروا فعقدوا في ١١ و١٢ أيلول اجتماع مدينة اكدوا فيه ضرورة ان يحتفظ كل واحد من سكان المستعمرة بسلاحه ولمحوا إلى احتمال قيام انتفاضة في المستقبل تشبه الثورة الجليلة التي وضعت حداً لطغيان الملك الانجليزي جيمس الثاني. ودعا الاجتماع مدن ماساتشيوستس الأخرى لان ترسل عنها مندوبين إلى مؤتمر يعقد للتشاور بالأمر. وقد عقد المؤتمر بالفعل لكن تبين ان اغلبية المندوبين لم يكونوا ميالين لمجابهة بريطانيا بالسلاح ولهذا اقتصر عمل المؤتمر على وضع

(1) Tsit. Fursenko, Tam zhe str. 55; Howard, Op. Cit., P.196.

قائمة بمطالب المستعمرات ثم اجل إلى اجل غير مسمى، وهكذا ظهر " ان بوسطن لاتستطيع [في هذه المرحلة] ان تعتمد حتى على مساعدة شقيقاتها مدن ماساتشيوستس الأخرى ، اذا ما شرعت بمقاومة القوات البريطانية " (١).

ومع ذلك ظل سكان بوسطن على موقفهم الرافض لمرابطة الجنود البريطانيين في المدينة واتسعت مقاومتهم لذلك بحيث لم يستطع الجنود البريطانيون الذين ارسلوا إلى المدينة النزول من السفن التي اقلتهم إلى الشاطئ الا بعد ان وضعت ثمان سفن حربية بريطانية في حالة تأهب ووجهت مدافعها نحو الميناء لحماية أولئك الجنود (٢)، وعندما نزل الجنود إلى البر في ظل هذه الحماية المشددة لم يجدوا ، بسبب مقاطعة السكان، مكاناً يقيمون فيه فاضطروا ان ينصبوا خيامهم في حدائق بوسطن العامة وظلوا كذلك إلى ان جاء الجنرال غيج القائد العام للقوات البريطانية في أمريكا الشمالية من نيويورك واستأجر لهم بنايات على حساب الملك البريطاني (٣)، إذ رفض عمال بوسطن ان يبنوا ثكنات لهذه القوات رغم ماقدمته الادارة لهم من اغراءات مادية كبيرة وأجور عالية، وكذلك فعل عمال نيويورك ايضاً (٤).

في الوقت نفسه تعززت حركة مقاطعة البضائع الانجليزية، ففي ١٧٦٩ قام جورج واشنطن وتوماس جفرسون وباتريك هنري بالاشتراك مع الجمعية التشريعية في فرجينيا بتأسيس جمعية لمقاطعة البضائع الانجليزية كما تشكلت جمعيات لنفس الغرض في المستعمرات الأخرى (٥) . وكان لذلك اثره في اتساع حركة المقاطعة فاخذ عدد التجار الذين يمتنعون عن استيراد البضائع الانجليزية يتزايد ويتعاظم في الوقت نفسه عدد السكان الذين يقاطعون تلك البضائع

(1) Alden, Op. Cit., PP.101-102.
(2) Fursenko, Tam zhe str. 55; Alden, Op. Cit., P.102.
(3) Alden, Op. Cit., P.102.
(4) Fursenko, Tam zhe str. 55.
(5) Commager, Op. Cit., PP.67-68; Efimov, Tam the str. 89.

ويتجهون إلى الاستعاضة عنها بالمنتجات المحلية حتى " اصبح من علامات الوطني الحق ان يرتدي ملابس مصنوعة في البيوت ويشرب أي شيء غير الشاي. لقد كانوا [السكان] يستخدمون ورقاً من صنع محلي ويرفضون ان يطلوا بيوتهم بطلاء مستورد " (١).

ادى اتساع حركة المقاطعة إلى زيادة اثرها السلبي على بريطانيا، فقد هبطت قيمة واردات المستعمرات من بريطانيا من ٢١٥٧٢١٨ جنيه استرليني في ١٧٦٨ إلى ١٣٣٦١٢٢ جنيه استرليني في ١٧٦٩ . وكان الهبوط في نيويورك وفيلادلفيا في الحقبة نفسها أكثر من غيرها ففي الأولى هبطت قيمة الواردات من بريطانيا من ٤٩٠٦٧٣ جنيه استرليني إلى ٧٥٩٣٠ جنيه استرليني وفي الثانية من ٤٤١٨٢٩ إلى ٢٠٤٩٧٨ جنيه استرليني (٢). اما نيوانجلند والمستعمرات الوسطى فقد هبط استيرادها من انجلترا في ١٧٦٩ بالمقارنة مع السنة السابقة باكثر من مرتين ونصف (٣) . وقد اثار ذلك قلقاً جدياً في الأوساط الصناعية والتجارية لاسيما وانه ترافق مع ظهور ورشات ومصانع في المستعمرات لانتاج البضائع التي كانت في السابق تستورد من بريطانيا ومصانع لمعاملة الخامات المحلية التي كانت تصدر إلى بريطانيا.

وهكذا بدا واضحاً ان قوانين تاونشيند لم تحقق الهدف الذي ارادته منها الحكومة البريطانية التي اخذت تتعرض لضغوط متزايدة من الاوساط الصناعية والتجارية. ولحل الازمة قدم هيلسبورو ، وزير المستعمرات البريطاني في شباط ١٧٦٩ مشروعاً تضمن موافقة الحكومة البريطانية على الغاء الضرائب التي قررها قانون تاونشيند في كل مستعمرة تتكفل بتحمل تكاليف الادارة البريطانية فيها بشكل دائم وتوفر المساكن والتجهيزات للقوات البريطانية المتواجدة فيها والا

(1) Davenport, Op. Cit., P.52.
(2) Morris, Op. Cit., P.92.
(3) Furseko, Tam zhe str. P.56.

ان الجنود سوف يجري اسكانهم في الحانات وبيوت المواطنين الخاصة. ولكي يرضي سكان بوسطن ضمن هيلسبورو مشروعه بنداً يقضي بسحب جزء من القوات البريطانية المرابطة في المدينة على ان يسحب الجزء الاخر حين تسمح الظروف بذلك ، واقترح ابدال حاكم مستعمرة ماساتشيوستس برنارد الذي كان مكروهاً من السكان ولكن بطريقة مشرفة وذلك بمنحه اجازة للقدوم إلى لندن ومن ثم منحه لقب بارون تقديراً لخدماته. لكن اخطر ما ورد في مشروع هيلسبورو كان الاقتراح القاضي بان يجري اختيار مجلس ماساتشيوستس من قبل الملك وان تلغى براءة تلك المستعمرة النافذة منذ ١٦٩١ آليا في حالة ما اذا احتجت بشكل رسمي على هذه الطريقة في اختيار المجلس (١). ومع ان الملك لم ير باساً في اقتراحات هيلسبورو الا انه كان يفضل الابقاء على ضريبة الشاي وذلك لتأكيد سلطة البرلمان البريطاني في فرض الضرائب على المستعمرات. لقد عبر عن ذلك بقوله : " ... ولكنني واثق بانه يجب دائما ان تكون هناك ضريبة للحفاظ على الحق وانا افضل ان تكون ضريبة الشاي هي تلك الضريبة " (٢). وكان اللورد نورث الذي اصبح رئيساً للوزراء في كانون الثاني ١٧٧٠ يشاطر الملك هذا الرأي، لاعتقاده بان الغاء جميع ضرائب تاونشيند قد يفسر على انه ضعف من الحكومة البريطانية فاقترح على مجلس الوزراء الغاء تلك الضرائب باستثناء الضريبة المفروضة على الشاي ووافق المجلس باغلبية خمسة اصوات ضد اربعة ثم عرض الامر على البرلمان فاصدر قانوناً بذلك في ٥ أذار ١٧٧٠ واقترن القانون بمصادقة الملك في ٢ نيسان من ذلك العام فاصبح نافذ المفعول (٣).

(1) Alden, Op. Cit., PP.103-104.
(2) Quoted in Ibid. P.104.
(3) Morris, Op. Cit., P.93.

املت الحكومة البريطانية ان يؤدي الغاء ضرائب تاونشيند إلى اضعاف موجة الاستياء في المستعمرات، لكن ذلك لم يحدث لان ذلك الالغاء لم يكن يعني تغييراً في السياسة البريطانية تجاه المستعمرات ولان كفاح سكان المستعمرات لم يعد يقتصر على قضية الضرائب فقط. يؤكد ذلك ان هذا الكفاح اخذ بالاتساع واخذ يتحول إلى صدامات مسلحة يسقط بها بعض القتلى. وكان أكثر ما يثير استياء السكان ويزيد نقمتهم على السياسة البريطانية مرابطة القوات البريطانية ولاسيما في بوسطن التي كان الجنود البريطانيون فيها يتعرضون لهجوم شديد في الصحافة ولاعتداءات يقوم بها سكان المدينة . ففي ٢٢ شباط ١٧٧٠ تجمع حشد من الناس حول بيت احد مخبري الضرائب واخذوا يضايقونه فما كان منه الا ان اطلق النار عليهم فاصاب صبياً في الحادية عشرة من العمر. وبعد ذلك بثمانية ايام حصل صدام اخر مع الجنود البريطانيين. ومع ان هذا الصدام لم يسفر عن سقوط ضحايا لكنه تجدد مرة اخرى في ٥ أذار ، ففي ذلك اليوم تجمع حشد من حوالي خمسين إلى ستين شخصاً حول بناية دائرة الكمارك واخذوا يهاجمون الجنود البريطانيين الذين ارسلوا لنجدة الحراس بالكلمات النابية وكرات الثلج وبالضرب بالايدي وبالعصي والهراوات، وادى ذلك إلى مصرع احد الجنود البريطانيين فقام زملاؤه باطلاق النار على الحشد فقتلوا خمسة اشخاص وجرحوا ستة [١]. وما ان انتشر خبر هذه الحادثة التي عرفت في التاريخ الأمريكي بـ " مذبحة بوسطن" [٢] حتى ساد المدينة غضب عام فقرعت اجراس الكنائس وتجمع الناس في الشوارع، وكانت الجموع تلوح بالعصي والهراوات

(١) انظر اسماء القتلى والمهن التي كان يشتغل بها كل منهم في:
Efimov, Tam zhe str. PP.89-90.

(٢) انظر تفاصيل وافية في :
Hiller B.zobel, The Boston Massacre, New York-London, 1970.

في وجه الجنود وتصرخ : " نصابون، اذلاء، سرطانات، ظهور دامية " [١] ودوت بين الجموع الدعوة : " إلى السلاح ايها المواطنون إلى السلاح . انهم يقتلوننا"[٢]. وما لبث اخبار ذلك ان وصلت إلى المدن القريبة فعمتها هي الأخرى مظاهر الاحتجاج على وجود القوات البريطانية.

لكن الدعوة إلى استخدام السلاح لم يؤيدها اجتماع المدينة الذي عقد في بوسطن في اليوم التالي، فقد اقتصر القرار الذي اتخذ في ذلك الاجتماع على التأكيد على حقوق المستعمرات والمطالبة بسحب القوات البريطانية من المدينة وتقديم الجنود الذين استخدموا السلاح إلى المحاكمة. وسارع نائب حاكم المدينة هتشنسون إلى قبول هذه المطالب ونفذها على الفور فاعتقل المسؤولين عن الحادثة وامر بسحب القوات من المدينة فانتقلت إلى جزيرة كاستل وليم.

ادى ذلك إلى هدوء الحالة موقتاً، فأخذ التجار يطالبون بانهاء مقاطعة البضائع الانجليزية، لكن قادة وطنيين على رأسهم صوموئيل ادمز كانوا يرون ان تستمر المقاطعة إلى ان تلغى الضريبة المفروضة على الشاي ايضاً. وهكذا انقسم السكان إلى فريقين احدهما يطالب بانهاء المقاطعة والاخر يدعو إلى استمرارها إلى ان تستجيب الحكومة البريطانية لمطلب الأمريكيين وتلغي ضريبة الشاي. اخيراً وجد السكان حلاً وسطاً تمثل بالاتفاق على ان تقتصر المقاطعة على الشاي لان الضريبة ظلت مفروضة عليه، علماً بان هذه الضريبة كان يمكن تفاديها بسهولة عن طريق تهريب الشاي من البلدان الأخرى. وبذلك سادت في المستعمرات فترة من الهدوء استمرت حتى عام ١٧٧٢.

(١) كان يطلق على الجنود الانجليز اسم " سرطانات" لانهم يرتدون زياً احمر اللون وسميوا " ظهور دامية " للتذكير بما كان شائعاً في الجيش البريطاني من طريقة العقاب بالضرب بالعصي على الظهر.

(2) Tsit Fursenko, Tam zhe str. P.57.

لكن هذا الهدوء لم يكن الا هدوءاً ظاهرياً فحسب ، فالشرخ الذي حصل في العلاقة بين بريطانيا ومستعمراتها ظل قائماً. يقول مؤرخ الثورة الأمريكية جون الدن بهذا الخصوص " في الحقيقة ان بريطانيا وأمريكا كانتا في نهاية ١٧٧٠ شديدتي البعد عن بعضهما أكثر من أي وقت مضى باستثناء ذروة الأزمة التي سببها قانون الطابع " (١). ويؤكد ذلك ايضاً الباحثان ريجل وهوغ بقولهما "ان المرارة التي شعرت بها المستعمرات قد ولت وكانت السنوات ١٧٧٠-١٧٧٣ هادئة جداً ، لكنه الهدوء الذي يسبق العاصفة " (٢). وبالفعل فقد كانت هناك جملة من الامور ما زالت تثير استياء الأمريكيين بمختلف طبقاتهم الاجتماعية ، وتعمل على اثارتهم ضد بريطانيا، فالتجار كانوا متضايقين من القيود التي وضعتها بريطانيا على التجارة والمزارعون كانوا يعترضون على الايجار الذي يدفعونه مقابل استغلالهم للارض وعلى القوانين التي تضر بالاسواق التي يصرفون فيها منتجاتهم وتجبرهم على شراء البضائع الانجليزية باسعار عالية، والمحامون وعموم المثقفين كانوا يؤمنون بالنظريات الدستورية التي تقول ان فرض الضرائب لايجوز بدون تمثيل ويدفعهم ايمانهم هذا إلى معارضة بريطانيا التي تجاوزت في علاقتها بالمستعمرات هذه النظريات وهكذا

لهذا واصل الأمريكيون حركتهم المناهضة للسياسة البريطانية وتركز كفاحهم في هذه المرحلة على مقاطعة ضريبة الشاي، وقد ادت منظمات " ابناء الحرية " دوراً مهماً في ذلك . وزادت الحكومة البريطانية الطين بلة حين قررت في خريف ١٧٧٢ ان تطبق القرار القاضي بدفع رواتب حكام المستعمرات والقضاة وبقية الموظفين فيها من الدخل المتأتي من الضرائب وليس من اموال المستعمرات، فقد اثار ذلك القرار سكان بوسطن فبادروا إلى عقد اجتماعات في

(1) Alden, Op. Cit., P.125.
(2) Riegle and Haugh, Op. Cit., PP.70-71.

المدينة وخارجها اكد المجتمعون فيها ان هذا القرار ما هو الا خطوة اخرى باتجاه اقامة نظام عبودية في أمريكا . واستطاع صوموئيل ادامز وجوزيف وارن Joseph Warren وجيمس اوتيس أن يقنعوا المشاركين في اجتماع المدينة الذي عقد في تشرين الثاني ١٧٧٢ بتأليف لجنة تضمهم مع ثماني عشرة رجلاً أخرين والمصادقة على بيان وضعته هذه اللجنة اكدت فيه حقوق سكان المستعمرات (١).

بهذا الشكل ظهرت في بوسطن أول " لجنة مراسلات " وقامت هذه اللجنة بدعوة مدن ماساتشيوستس الأخرى إلى مساندتها (٢). وكان لهذه الدعوة صداها إذ انبرى ما يقرب من ثمانين مدينة في المستعمرة لمساندة لجنة بوسطن وانشأت هي بدورها " لجان مراسلات " خاصة بها ، فنشأ بذلك جهاز محكم اصبحت مدن ماساتشيوستس بواسطته تعمل ضد بريطانيا بالتشاور والتنسيق فيما بينها. واعطى ذلك للحركة المناهضة لبريطانيا زخماً اضافياً وجعل سكان بوسطن أكثر اصراراً في الدفاع عن حقوقهم. ففي بيان الحقوق الذي اشرنا اليه اكد اعضاء لجنة بوسطن بصراحة انهم يستندون في مطالبهم على قوانين الطبيعة وعلى الدستور البريطاني وشجبوا فرض البرلمان الضرائب على الأمريكيين وادانوا موظفي الضرائب الكمركية والمحاكم التابعة للاميرالية والتخلي عن نظام المحلفين فيها والقيود التي فرضت على الصناعة الأمريكية وارسال الجنود والتجارة إلى ماساتشيوستس ولمحوا إلى ان البرلمان لايملك سلطة شرعية على أمريكا (٣) .

لم تلبث المستعمرات الأخرى ان حذت حذو ماساتشيوستس ، ففي اذار ١٧٧٢ تألفت ": لجنة مراسلات " في فرجينيا وفي تموز من تلك السنة تأسست

(1) Alden, Op. Cit., P.132.
(2) sources and Documents, PP.87-96.
(3) Alden, Op. Cit., P.132.

مثل تلك اللجان في رودايلند وكونيكتيكوت ونيو هامبشير وكارولينا الجنوبية واقامت هذه اللجان اتصالات دائمة فيما بينها.

كان انشاء هذه اللجان خطوة مهمة على طريق تكاتف القوى الوطنية وتعزيز الحركة الرامية إلى التخلص من السلطة البريطانية، فبغضها تواصلت معارضة الاجراءات البريطانية ومن خلالها اتخذت الحركة المعادية لبريطانيا طابع الحركة المنظمة، الامر الذي اعطى هذه الحركة زخماً اضافياً، اضافة إلى ان هذه اللجان كانت الاصل الذي نشأت منه فيما بعد السلطة الثورية الجديدة في المستعمرات [١]. لقد ادت هذه اللجان دوراً ملموساً في التصدي للاجراءات البريطانية، فقد قامت لجنة بوسطن مثلاً بنشاط واسع بين البنائين والنجارين في بوسطن كان من نتيجته ان رفض هؤلاء تحصين برزخ بوسطن حين ارادت السلطة البريطانية ان تقوم به، كما انها قامت بدعاية واسعة لصالح اقرار حق الانتخاب لجميع الذكور [٢].

كانت مقاومة المستعمرات تتصاعد مع الوقت وتركز نضال الأمريكيين في هذه المرحلة ضد ضريبة الشاي، وبدأ هذا النضال يخرج عن اطار المقاومة السلبية ويتحول بالتدريج إلى اعمال عنف حقيقية. ومن مظاهر ذلك ما حدث في ٩ حزيران ١٧٧٢ حين قامت ثماني قوارب محملة بالرجال بالهجوم على السفينة البريطانية كاسبي Gaspee التي كانت قد جنحت على بعد ٧ أميال إلى الجنوب من بروفيدنس عندما كانت تقوم بمهمة لمنع التهريب، فجرح قائد السفينة واسرت السفينة واشعل المهاجمون فيها النار بعد ان انزلوا طاقمها إلى الشاطئ [٣].

(١) لم تكن هذه اللجان على شاكلة واحدة من حيث العمل الذي كانت تؤديه ففي حين كان بعضها يعمل بالدرجة الأولى في مجال جمع المعلومات اتخذ بعضها الآخر صفة السلطة المحلية.

(٢) Efimov, Tam zhe str.P.90.

(٣) انظر تفاصيل الحادثة في:

الفصل السادس: اشتداد النزاع بين بريطانيا والمستعمرات ....

امام اصرار الأمريكيين على مقاطعة الشاي وتصاعد اعمال المقاومة لجأت الحكومة البريطانية إلى خطة جديدة ارادت لها ان تحقق هدفاً مزدوجاً يتمثل باقناع الأمريكيين بالتخلي عن مقاطعة الشاي ودفع الضريبة المفروضة عليه من جهة وانقاذ شركة الهند الشرقية التي كانت تعاني من صعوبات مالية اوصلتها إلى حافة الافلاس من جهة اخرى، فوضعت لهذا الغرض ماسمي بـ " قانون الشاي" الذي اقره البرلمان في ٢٧ نيسان ١٧٧٣ على ان يصبح نافذاً ابتداء من ١٠ أيار من ذلك العام . لقد تضمن هذا القانون منح شركة الهند الشرقية احتكار استيراد الشاي إلى أمريكا والغاء جميع الضرائب المفروضة عليه باستثناء ضريبة استيراد في أمريكا غير عالية (ثلاثة بنسات عن كل ليبرة)[١]. وهكذا اصبح بامكان الشركة وقد تحررت من الضرائب التي كانت تفرض على الشاي الذي كانت تستورده من الهند ان تبيع الشاي في أمريكا باسعار رخيصة تقل بمقدار مرتين تقريباً عن السعر السابق، الامر الذي املت الحكومة البريطانية من ورائه اغراء الأمريكيين ودفعهم إلى التخلي عن المقاطعة والاقبال على شراء الشاي. لكن ذلك لم يحصل لان أكثر ما اثار الأمريكيين في هذا القانون لم يكن ضريبة الاستيراد التي لم تكن عالية كما ذكرنا بل احتكار استيراد الشاي من قبل الشركة وحصر هذه الاخيرة ارسال الشاي إلى تجار معينين في أمريكا فقط بحيث لايستفيد من العملية الا عدد قليل من اصحاب الحظوة في كل مستعمرة [٢]. وقد تضرر من ذلك المهربون الذين كانوا يحققون

Alden, Op. Cit., P.131; Morris, Op. Cit., P.94.

(١) انظر تفاصيل ذلك في:

Morris, Op. Cit., P.95.

(٢) منح الاحتكار في ماساتشيوستس مثلاً لخمسة اشخاص فقط اثنان منهما كانا ابني حاكم المستعمرة هتشنسون والثالث ابن أخيه ، اما الاثنان الاخران فكانا من اصدقائه.

ارباحاً كبيرة من عمليات التهريب التي كانوا يقومون بها على نطاق واسع، ولهذا كان هؤلاء التجار من انشط الجماعات المعادية للسياسة البريطانية تجاه المستعمرات، وكان دورهم كبيراً في تحشيد الجماهير لمناهضة تلك السياسة. ففي ١٦ تشرين الأول ١٧٧٣ عقد في فيلادلفيا اجتماع جماهيري ادان المشاركون فيه قانون الشاي والفوا لجنة للمطالبة باستقالة الوكلاء الذين كانت الشركة ترسل اليهم الشاي، فكان لها ما ارادت واضطر هؤلاء الوكلاء إلى الاستقالة . وفي ٥-٦ تشرين الثاني عقد في بوسطن اجتماع مماثل تبنى المشاركون فيه قرارات مؤتمر فيلادلفيا، لكنهم لم يتمكنوا من دفع وكلاء الشركة هناك إلى الاستقالة بسبب قرابة هؤلاء من حاكم المستعمرة كما ذكرنا. وكانت مقاومة القانون في نيويورك اشد من ذلك فقد تعرض مرشدو الميناء في ١٠ تشرين الثاني لوابل من نيران المدافع تحذيراً لهم من ادخال أي سفينة تحمل الشاي إلى الميناء، وفي ٢٩ من ذلك الشهر عقدت منظمة ابناء الحرية في المدينة اجتماعاً عد المشاركون فيه مستوردي الشاي اعداءً لأمريكا وتعهدوا بالمقاطعة، وامام هذا الاصرار اضطر وكلاء الشاي هناك إلى اقالة الموظفين التابعين لهم [1].

وادت المنظمات الوطنية وفي مقدمتها منظمات ابناء الحرية دوراً بارزاً في التصدي لقانون الشاي فبتأثير منها لم تستطع الشركة ان تبيع الشاي في أمريكا بل لم تستطع في بعض الموانئ الأمريكية ان تنزله من السفن إلى البر، ففي تشارلستون مثلاً اضطر وكلاء الشركة إلى التحلل من التزاماتهم تجاهها وظلت شحنة الشاي التي انزلت من السفن في مخازن الميناء فترة طويلة من الزمن، إلى ان صودرت لصالح الثورة بعد ذلك بعدة سنوات [2] . اما في

(1) Morris, Op. Cit., PP.95-96.
(2) Faulkner, Op. Cit., PP.87-88.

نيويورك وفيلادلفيا فقد اجبر الوطنيون سفن الشركة المحملة بالشاي على العودة دون ان تفرغ حمولتها في هاذين الميناءين [1].

اما في بوسطن فقد كان النضال اعنف واشد اثراً . ففي تشرين الثاني وكانون الأول عام ١٧٧٣ دخلت إلى ميناء المدينة ثلاث سفن محملة بالشاي التابعة لشركة الهند الشرقية، فطلب قادة حركة مقاطعة الشاي وكلاء الشركة ان يرفضوا تسلمه ، لكن الوكلاء وقد شجعتهم قرابتهم من الحاكم هيتشنسون وصداقتهم له، رفضوا ذلك . عند ذلك عقد سكان المدينة سلسلة من الاجتماعات قرروا فيها عدم السماح بانزال الشاي إلى الميناء وطالبوا الحاكم بان يعمل على اعادة السفن إلى انجلترا . لكن الحاكم لم يفعل ذلك، الامر الذي دفع مجموعة من الاشخاص متنكرين بزي الهنود لان يصعدوا في ١٦ كانون الأول إلى السفن الثلاث ويقذفوا بحمولتها التي قدرت بحوالي ٣٤٠ صندوقاً من الشاي قيمتها ٩٠٠٠ جنيه استرليني إلى البحر [2] وشهدت بعض الموانئ الأمريكية الأخرى بعد ذلك احداثاً مشابهة.

اثارت هذه الحادثة التي عرفت في تاريخ الولايات المتحدة بـ " حفلة شاي بوسطن " السلطات البريطانية وجعلت الحكومة البريطانية تصمم على وضع حد لتمرد الأمريكيين باي وسيلة كانت ومهما كانت العواقب، ولم تصغ لأعضاء حزب الويك الذين حاولوا اقناع البرلمان بالقيام بمحاولة اخرى لحل النزاع بصورة سلمية، واصدرت خمسة قوانين[3] هدفت من ورائها إلى قمع حركة الأمريكيين واعادة المستعمرات المتمردة إلى الطاعة.

(1) Fursenko, Tam zhe str.P.59.

(2) للمزيد من التفاصيل حول هذه الحادثة انظر :
Benjamin woods Labaree, The Boston Tea Party, Boston, 1979.

(3) حول محتوى هذه القوانين انظر :

كان القانون الأول الذي اقره مجلس العموم في ٢٥ آذار ١٧٧٤ وصادق عليه الملك في ٣١ اذار واعتبر نافذاً من ١ حزيران من ذلك العام يتعلق بميناء بوسطن حيث حتم اغلاق الميناء امام جميع السفن باستثناء السفن التي تحمل المواد العسكرية أو الاغذية والوقود على ان تحصل هذه السفن على تصاريح خاصة بعد دفعها الضريبة المقررة وعلى ان يجري تفريغها في مدينة سالم Salem وليس في بوسطن، ونص القانون على ان يبقى الحال كذلك إلى ان يجري تعويض شركة الهند الشرقية وادارة الكمارك عن الخسائرا لتي سببها لهم الأمريكيون برميهم الشاي في البحر.

وفي ٢٠ أيار من ذلك العام صدر القانون الثاني الذي اريد له ان يوفر الحماية لموظفي التاج في ماساتشيوستس حيث اعطى القانون الموظفين البريطانيين الحق في نقل المحاكمة إلى بريطانيا في حالة ما اذا كان العمل الذي يحاكم بسببه الموظف قد ارتكب اثناء اخماد شغب أو جمع ضرائب.

اما القانون الثالث الذي صدر في ٢٠ أيار ايضاً على ان ينفذ اعتبارا من ١ آب فقد كان اشد قسوة حيث الغى البراءة الخاصة بماساتشيوستس واوجب ان يجري تعيين مجلس الحاكم في المستعمرة من الان فصاعداً من قبل الملك بعد ان كان اختيارهم في السابق يجري من قبل الجمعية التشريعية، كما اصبح تعيين واقالة النائب العام وصغار القضاة والعمد وقضاة الصلح من صلاحيات حاكم المستعمرة الذي شملت صلاحياته ايضاً ترشيح رئيس المحكمة العليا وكبار القضاة ليقوم الملك بتعيينهم . والاهم من ذلك كله ان هذا القانون جرد الوطنيين من اهم وسائلهم تأثيراً ونعني اجتماع المدينة ، حيث منع عقد مثل هذه

Sources and Documents ... PP. 100-102; Commager, Op.Cit., PP.71-76; Morris, Op. Cit., PP.97-98;
تشارلز وماري بيرد، المصدر السابق ، ص ١١٤-١١٥.

الاجتماعات دون موافقة مسبقة من الحاكم، عدا الاجتماع السنوي المكرس للانتخابات، واذا حصلت الموافقة على اجتماع ما فان ذلك الاجتماع يجب ان يقتصر في عمله على جدول الاعمال الذي وافق عليه الحاكم فقط.

وفي العام نفسه اصدرت الحكومة البريطانية " قانون كويبك " الذي اعاد تنظيم ادارة كندا باتجاه جعلها أكثر مركزية واقر التسامح تجاه الكاثوليك ومنحهم الحقوق المدنية واكد امتيازات وحقوق كنيستهم ووسع حدود كندا بان ضم اليها المنطقة الواقعة بين اوهايو والمسيسبي الامر الذي اثار استياءً شديداً لدى البرسبتاريين (اتباع الكنيسة المشيخية) في نيوانجلند ولدى سكان ماساتشيوستس وفرجينيا وكونيكتكوت التي كانت لها ادعاءات في تلك المنطقة.

وفي ٢ حزيران من نفس العام صدر ايضاً قانون للايواء شمل المستعمرات باجمعها إذ حتم عليها ايواء القوات البريطانية في البيوت غير المأهولة وفي مخازن الحبوب والحانات وغير ذلك من الاماكن التي تعود للاهالي.

لقد عبر موقف الحكومة البريطانية في هذه المرة عن انصياعها لاراء ومصالح المدافعين عن السيطرة البريطانية الكاملة على المستعمرات الذين كانوا يدعون منذ البداية على ضرورة ان تقف السلطة موقفاً حازماً مما كانوا يعدونه تمردا على سلطة الملك. ففي رسالة كتبها هتشنسون إلى توماس ويتلي[1] Thomas Whately السياسي البريطاني في ١٧٦٩ ولم يكن الاخير في السلطة عندئذ اكد على " وجوب ان يكون هناك اختزال لما يدعى بالحريات البريطانية " في ماساتشيوستس وان على بريطانيا ان تضع " بعض القيود الاضافية " على

(١) وزير المالية في وزارة كرينفيل ووكيل الوزارة في المدة ١٧٧١-١٧٧٢ في وزارة نورث.

تلك المستعمرة لمنع انفصالها عن بريطانيا [1]. اما الجنرال كيج الذي عين حا
لماساتشيوستس وانيطت به مهمة تنفيذ القوانين الخمسة المذكورة اعلاه ، فقد كا
أكثر صراحة إذ اكد للملك وهو يحاول اقناعه باقرار تلك القوانين ان الأمريك
" سيكونون اسوداً طالما نكون نحن اغناماً ، ولكن يكفي ان نعتمد لهجة حاز
لكي يتحولوا فوراً إلى ودودين " [2].

لكن توقعات كيج لم تتحقق بل العكس هو الذي حدث ، فالإجراءا
الصارمة الجديدة لم تؤد إلى خضوع الأمريكان بل افضت إلى زيادة الاستياء م
السياسة البريطانية في المستعمرات والى تشديد الكفاح ضدها كما عززت بدر
لم يسبق لها مثيل التضامن بين تلك المستعمرات. لقد اثارت القوانين الخمسة في
المستعمرات باجمعها موجة من التصميم على المقاومة وكانت دافعاً مهماً للحر
الاستقلالية، فعلى الرغم من ان أربعة من تلك القوانين كانت تخص في الظاهر
ماساتشيوستس فقط الا انها من حيث الجوهر كانت تمس ايضاً مصالح جميع
المستعمرات الأخرى ، فغلق ميناء بوسطن مثلاً وهو الميناء الذي كان يؤدي
دوراً مهماً في التجارة بين المستعمرات، كانت له انعكاسات سلبية على مصالح
تجار الجنوب ومزارعيه، كما ان اياً من القوانين الخاصة بنظام الادارة والقضاء
وايواء القوات العسكرية كان يؤلف سابقة يمكن ان تطبق في المستقبل على أي
من المستعمرات الأخرى. اما قانون كويبك فقد رأينا كيف انه اثار امتعاض
رجال الدين البروتستانت وزاد من نقمة المستعمرات التي كانت لها ادعاءات في
الأراضي التي ضمها ذلك القانون إلى كندا.

لهذا كله فان الاستياء الذي اثارته هذه القوانين لم يقتصر على
ماساتشيوستس فقط بل تعداها إلى المستعمرات الأخرى، ولهذا ايضاً فان ر

(1) Quoted in Alden, Op. Cit., P.134.
(2) Tsit Fursenko, Tam zhe str. P.61.

الأعمال عليها كانت ذات طابع عام لم تقتصر على مستعمرة دون اخرى. ففي
ماساتشيوستس وهي المعنية بشكل مباشر باغلب تلك القوانين اقترحت لجنة
المراسلات في بوسطن ومعها لجان المراسلات في ثماني مدن اخرى في
المستعمرة في ٢٦ أيار ١٧٧٤ على لجان التراسل في المستعمرات الأخرى
ايقاف التجارة مع بريطانيا كلياً. وفي ٢٦ أيار اعلنت الجمعية التشريعية في
فرجينيا وجوب اعتبار يوم ١ حزيران وهو اليوم الذي سيبدأ فيه غلق ميناء
بوسطن " يوماً للحزن والصيام والصلاة " [1] وقد دفع ذلك حاكم فرجينيا إلى حل
الجمعية لكن قسماً من اعضائها اجتمعوا في اليوم التالي رغم قرار الحل ووجهوا
إلى المستعمرات الأخرى رسالة تضمنت اقتراحاً بعقد مؤتمر قاري [2] يؤلف "
جبهة موحدة للدفاع عن الحرية الأمريكية " [3] . وفي هذا الاجتماع اتخذوا قراراً
يؤكد بان " مجابهة قوانين الجنرال كيج اللاشرعية بالقوة عمل شرعي " وقد نظر
إلى هذا القرار في بريطانيا على انه عمل من اعمال التمرد [4].

استجاب سكان المستعمرات الأخرى لقرار جمعية فرجينيا التشريعية
فاحيوا يوم ١ حزيران بقرع جنائزي لاجراس الكنائس وبالحداد والتجمعات
الجماهيرية، وبدأ السكان بجمع التبرعات لصالح المتضررين من سكان بوسطن
تضامناً مع ماساتشيوستس.

لقي اقتراح نواب فرجينيا بعقد مؤتمر قاري استجابة فورية من
المستعمرات الأخرى، وكانت رودايلند أول من استجاب فاختارت في ١٥

(1) Efimov, Tam zhe str. 91.
(2) سمي المؤتمر قارياً لان فكرة عقدة كانت في البداية تقضي بان تشترك فيه جميع المستعمرات البريطانية في قارة أمريكا الشمالية بما في ذلك كندا.
(3) Alden, Op. Cit., P.153.
(4) Commager, Op. Cit., PP.78-79.

حزيران مندوبيها تبعتها بعد ذلك المستعمرات الأخرى في تعيين مندوبيها إلى المؤتمر [1] الذي تقرر ان يعقد في فيلادلفيا عاصمة مستعمرة بنسلفانيا. وكانت جورجيا المستعمرة الوحيدة التي لم ترسل مندوبين عنها ولم تشترك في المؤتمر لأسباب اشرنا إلى بعضها فيما سبق.

(١) جرى اختيار المندوبين في بعض المستعمرات من قبل لجان المراسلات في كل مستعمرة وفي بعضها الأخر جرى الاختيار في اجتماعات عامة عقدها السكان لهذا الغرض، وفي حالات قليلة جداً جرى اختيارهم من قبل الهيئة التشريعية في المستعمرة.

الفصل السابع

قيام الحرب وإعلان الاستقلال

انقسم الأمريكيون في خضم الصراع مع بريطانيا إلى فريقين متمايزين كانا متفقين على حقيقة ان بريطانيا لم تتصرف بشكل عادل مع المستعمرات ومختلفين في الكيفية التي يتوجب اعتمادها في معالجة الوضع، فالفريق الأول الذي كان يتألف من المتطرفين كان مصمماً على عدم القبول بالمطالب البريطانية مهما كلف الامر وكان يرى ضرورة الوقوف بصلابة دفاعاً عن الحقوق الأمريكية والسعي جهد الإمكان لإحراز حقوق جديدة. اما المحافظون الذين كانوا يقدرون بشكل اكبر من المتطرفين فوائد التجارة البريطانية والحماية التي توفرها بريطانيا للمستعمرات فانهم كانوا يميلون إلى سياسة التفاهم مع بريطانيا ويعارضون القطيعة معها. ان وجود المستعمرات ضمن الإمبراطورية البريطانية والحماية والافضليات الأخرى التي يوفرها لها هذا الوجود يستحق في نظرهم حتى التخلي عن بعض ما كانت المستعمرات تتمتع به من حقوق. ومع ان الطبقات الدنيا والوسطى كانت بشكل عام ميالة إلى وجهة النظر المتطرفة والطبقات الغنية وذات النفوذ تميل إلى الاتجاه المحافظ الا ان هذه القاعدة العامة كانت تحتمل الكثير من الشذوذ فالكثير من تجار المستعمرات الاثرياء كانوا يميلون إلى المتطرفين ويساندوهم ، وهؤلاء هم التجار الذين تضرروا من القيود التي فرضتها السلطات البريطانية على التجارة. كذلك كان حال اصحاب المزارع الكبرى في الجنوب الذين اصابتهم تلك القيود بالضرر والذين كانوا يتطلعون للتخلص من الديون التي ترتبت عليهم للتجار الانجليز عن طريق القطيعة مع بريطانيا. كما ضم معسكر المتطرفين جميع العناصر التي كانت ترمي إلى

التخلص من هيمنة الارستقراطية المحلية التي تستند في وجودها وفي الامتيازات التي تتمتع بها على السلطة البريطانية. يقول احد المؤرخين الأمريكيين بهذا الصدد " ان الثورة ضد السيطرة الانجليزية والثورة ضد الارستقراطية المحلية الحاكمة كانت في نيوانجلند وفي بعض المستعمرات الوسطى شيئاً واحداً لان نهاية السيادة الانجليزية هي الوسيلة الاكثر نجاحاً لتقويض سلطة الارستقراطيين المحليين " (١).

على كل حال لقد ضم معسكر الوطنيين الذين اطلق على انصاره فيما بعد، ومع تفاقم الصراع وتطور الاحداث اسم " الوطنيون " أو " الويك " ، جميع العناصر المستاءة من سياسة بريطانيا والمناهضة للفئات ذات الامتيازات التي كانت تجسد الانظمة الكولنيالية القديمة وفي المقام الأول الجماهير الشعبية التي ألفت السند الرئيس لهذا المعسكر وقوته الاساسية، وسكان المناطق الحدودية الذين تميزوا بسبب ظروف حياتهم بنزعة قتالية واضحة والذين كانوا يشكون باستمرار من سياسة الحكومة البريطانية ويطالبونها بتمثيل عادل في الجمعيات التشريعية وباصلاح نظام الضرائب وبحل مشكلة النقود والغاء التدابير التي منعت الانتقال إلى ماوراء اليكني.

وهكذا فان معسكر الوطنيين كان يضم المزارعين والعمال والحرفيين وصغار البرجوازيين، وقد الف هؤلاء اغلبية هذا المعسكر وقوته الاساسية وكانوا الاكثر تطرفاً واندفاعاً في معاداة السلطة البريطانية وفي المطالبة باجراء اصلاحات اجتماعية واقتصادية في المستعمرات. لكن قيادة هذا المعسكر كانت بيد العناصر المعتدلة التي تعبر عن مصالح ذلك الجزء من البرجوازية الأمريكية المهتم بتطور السوق الداخلي وتوسيع التجارة الداخلية في المستعمرات اولاً وبيد المضاربين بالأرض الذين اثار استياءهم مرسوم منع السكن وراء اليكاني ثانياً

(1) Hicks, Op. Cit., P.132.

وكذلك بيد ذلك الجزء من أصحاب المزارع الكبيرة الذين كان يهمهم توسيع استثماراتهم على حساب الأراضي الواقعة في الغرب والذين كانوا يريدون الغاء ديونهم للتجار الانجليز عن طريق القطيعة مع بريطانيا.

اما معسكر المحافظين فقد ضم حكام المستعمرات وموظفي الادارة الاستعمارية. وكان هؤلاء هم الاكثر خصومة للثورة والأكثر اسناداً لبريطانيا ذلك ان الكثير منهم كان قد حصل من الملك البريطاني على اراضي واسعة، ومن اغلبية عناصر الارستقراطية الزراعية الذين كانوا مدينين بأراضيهم الواسعة للسلطة البريطانية التي وهبتهم اياها. كذلك ضم هذا المعسكر جزءاً من التجار الذين تربطهم علاقات وثيقة بالرأسمال الانجليزي والذين كانوا يعتمدون في اعمالهم على السوق الانجليزية، وهؤلاء هم المساهمون في البنوك البريطانية ومالكو الاسهم في الشركات البريطانية وقسم من مالكي السفن التي كانت مؤمنة لدى شركات التأمين البريطانية. وشمل معسكر المحافظين ايضاً قسماً من أصحاب المزارع الكبيرة في الجنوب واتباع الكنيسة الانجليكانية. ان هؤلاء جميعاً كانوا يساندون السلطة البريطانية وشكلوا فيما بعد المعسكر الذي عرف باسم " الموالين " أي خصوم الاستقلال الموالين لبريطانيا أو معسكر " التوري " وهي تسمية اطلقت عليهم ايضاً تشبهاً بحزب التوري في بريطانيا ، شأنهم في ذلك شأن الوطنيين الذين اطلقت عليهم تسمية " الويك " تشبهاً بحزب الويك في بريطانيا ايضاً، علماً بان الويك والتوري الأمريكيين لم يكونا حزبين سياسيين بالمعنى المألوف إذ لم يكن لهما برنامج أو نظام داخلي أو منظمات حزبية بل ان هاتين التسميتين اطلقت على جميع من شارك في الصراع في هذا الجانب أو ذاك.

المؤتمر القاري الأول:

انعكس هذا الانقسام على المؤتمر القاري الذي اشرنا في الفصل السابق إلى ان المستعمرات قررت عقده في فيلادليفيا . لقد بدأ المؤتمر جلساته في أيلول ١٧٧٤ واستمر حتى ٢٦ تشرين الأول من العام نفسه وحضره خمسة وخمسون مندوباً يمثلون جميع المستعمرات باستثناء جورجيا.

تميز اعضاء المؤتمر بالاهلية والثقافة وكان الكثير منهم قد اكتسب تجربة غنية وخبرة بالشؤون السياسية لانهم كانوا قد عملوا في الجمعيات التشريعية في مستعمراتهم. ومع ان جميعهم كانوا مقتنعين بخطأ الخضوع المطلق لبريطانيا الا ان بعضهم تميز بالتطرف في مواقفه قياساً على الاغلبية المعتدلة . لقد كان من بينهم اشخاص اشتهروا بمواقفهم الصلبة ضد بريطانيا منهم باتريك هنري وجورج واشنطن وصوموئيل ادمز وغيرهم.

على اية حال كان المؤتمر يتالف من اقلية متطرفة تميزت بمواقفها الصلبة وسعيها للمحافظة على حقوق الأمريكيين وتطلعها للحصول على حقوق جديدة لهم ان امكن واغلبية من العناصر المعتدلة والمحافظة كان اعضاؤها يعتقدون بان الفوائد التجارية والحماية التي توفرها بريطانيا للمستعمرات تبرر سياسة الاسترضاء التي كانوا يدعون اليها تجاه بريطانيا.

جرى في المؤتمر صراع حاد بين المتطرفين والمعتدلين حيث كان ممثلو الاقلية الراديكالية يلقون في المؤتمر خطباً ثورية حماسية ويدعون إلى القطيعة مع بريطانيا والمباشرة بالعمليات العسكرية ضدها. ومما له دلالة ان بعض خطب هؤلاء عكست توجهاً ينم عن تنامي روح ومشاعر المواطنة الأمريكية على حساب الروح الإقليمية ، فمثلاً اعلن باتريك هنري في احدى جلسات

المؤتمر قائلاً " لم تعد توجد اختلافات بين الفرجينيين والبنسلفانيين والنيويوركيين وسكان نيوانجلند . انني الان لست فرجينياً بل امريكيا" [1].

وما من شك في ان خطب الراديكاليين كان لها تأثير في القرارات التي اتخذها المؤتمر على الرغم من انهم كانوا اقلية في المؤتمر. لقد اتضح ذلك بشكل خاص في القرار الذي اتخذه المؤتمر برفض الخطة التي اقترحها جوزيف غالوي الذي كان يمثل الجناح الاكثر رجعية في المؤتمر . لقد جرى في المؤتمر نقاش واسع حول هذه الخطة انتهى بان رفضت باغلبية صوت واحد فقط. لقد تضمنت الخطة التي اسماها غالوي " خطة لاتحاد مقترح بين بريطانيا العظمى والمستعمرات" انشاء مجلس عام يتالف من مندوبين تختارهم الجمعيات التشريعية في المستعمرات يجتمع مرة في السنة ويختص بالنظر في القضايا التي تشترك فيها بريطانيا والمستعمرات أو التي تهم أكثر من مستعمرة واحدة على ان تخضع قرارات هذا المجلس لموافقة رئيس عام للمستعمرات يعينه الملك البريطاني ويكون من حق هذا الرئيس ان ينقض أي قرار لايراه مناسباً، لكن قرارات هذا الأخير لاتدخل حيز التنفيذ الا اذا اقترنت بموافقة المجلس المذكور والبرلمان البريطاني باستثناء القرارات التي يتخذها المجلس العام في زمن الحرب لتقديم المساعدة للتاج إذ في هذه الحالة تصبح كل اللوائح التي يصدرها المجلس في هذا الشأن قوانين نافذة دون ان تحظى بموافقة البرلمان البريطاني [2].

لم يقتصر المؤتمر على رفض هذه الخطة التي كان الهدف منها الحفاظ على جوهر السيادة البريطانية على المستعمرات بل اصدر ايضا في ١٤ تشرين الأول اعلاناً للحقوق Declaretion of Rights طالب فيه بريطانيا بالاعتراف

(1) Tsit Fursenko, Tam zhe str. 63.

(2) انظر محتوى الخطة في :
Sources and Documents ... PP.116-118; Commager, Op. Cit., PP.81-82.

بان الحريات الأمريكية تستند إلى " قوانين الطبيعة الثابتة والى مبادئ الدستور الانجليزي والبراءات والمواثيق العديدة " وشجب فيه العديد من القوانين التي اصدرها البرلمان البريطاني بعد ١٧٦٣ بما في ذلك القوانين التي ترمي إلى تأمين الدخل وتوسيع سلطات محاكم الاميرالية إلى ابعد من حدودها الأصلية وحرمان سكان المستعمرات من المحاكمة بواسطة محلفين وكذلك قانون كويبك وكل القوانين القسرية، واكد ان الاحتفاظ بجيش دائم في عدد من المستعمرات في وقت السلم بدون موافقة الهيئات التشريعية في تلك المستعمرات امر مخالف للقانون وطالب بابعاد القوات البريطانية عن مناطق السكن الأمريكية [1].

وفي ٢٠ تشرين الأول ١٧٧٤ قرر المؤتمر تشكيل جمعية Association تعمل على منع استيراد واستخدام البضائع البريطانية ومنع تصدير المنتجات الأمريكية إلى بريطانيا كما قرر ايقاف استيراد وشراء العبيد بعد اليوم الأول من كانون الأول من ذلك العام وايقاف تصدير البضائع الأمريكية إلى بريطانيا وايرلندا وجزر الهند الغربية ابتداءً من العاشر من ايلول عام ١٧٧٥ اذا لم تلغ القوانين التي اعترض عليها الأمريكيون واتخاذ الاجراءات الكفيلة بتطوير الزراعة والصناعة في المستعمرات. واناط المؤتمر مهمة تنفيذ هذه القرارات بلجان المراسلات الموجودة في كل مستعمرة وتعهد بايقاف التعامل مع أي مستعمرة أو اقليم في أمريكا الشمالية يخرق هذا الاتفاق [2].

لكن المؤتمر لم يكن عازماً على القطيعة النهائية مع بريطانيا ولذلك ارسل إلى ملك بريطانيا عريضة اكد فيها على اخلاصه له وطلب الاقرار للأمريكيين بحقوقهم كمواطنين بريطانيين كما ارسل في ذات الوقت بياناً لسكان

(1) انظر محتويات الاعلان في :
Sources and Documents PP.118-122; Commager, Op. Cit., PP.82-87.

(2) See, commager , Op. Cit., PP.84-87; Sources and Documents ... PP.122-125.

المستعمرات ودعوة لسكان كندا للانضمام إلى سكان المستعمرات واسناد مطالبهم. ومع ان ذلك يعني ان المشاركين في المؤتمر لم يفكروا بالقطيعة مع بريطانيا على الرغم من تصميمهم على مقاومتها الا ان حقيقة عقد المؤتمر وحدها بغض النظر عن " اعلان الحقوق " الذي كانت له اهمية كبيرة هو الاخر، كان ظاهرة فريدة وخطوة متقدمة على طريق الانفصال عن بريطانيا لأنها كانت تجسد وحدة القوى الوطنية الداعية إلى الوقوف في وجه التعسف البريطاني في تلك المرحلة التي اتسعت فيها في المستعمرات الحركة الرامية إلى التحرر من بريطانيا واستوجبت توحيد القوى الداعية إلى هذا التحرر . " لقد كان عقد المؤتمر خطوة غاية في الأهمية على طريق تكاتف كل قوى الحركة التحررية ومركزة السلطة . ان عقد مؤتمر عام بعد انشاء " لجان المراسلات " التي مثلت بداية لسلطة الثورة في مختلف المناطق كان يمثل المرحلة المنطقية التالية في عملية نشر هذه السلطة وتطورها على نطاق البلد ككل " [1].

لقد اعطت الجماهير الشعبية في المستعمرات قرارات المؤتمر معنى اكثر تطرفاً واكثر ثورية مما هي عليه في واقع الامر فانتشرت حملة مقاطعة البضائع الانجليزية في جميع المستعمرات وادت إلى انخفاض قيمة واردات المستعمرات من انجلترا من حوالي مليونين ونصف المليون جنيه استرليني في ١٧٧٤ إلى حوالي عشر هذا المبلغ في ١٧٧٥ [2] . هذا على نطاق المستعمرات ككل اما على نطاق المستعمرات كل على حدة فقد كانت الصورة أكثر تعبيراً ففي نيويورك مثلاً هبط استيراد البضائع الانجليزية في السنة المذكورة من ٤٣٨ الف إلى ١٢٠٠ جنيه استرليني وفي ميريلاند وفرجينيا من ٥٢٩ ألف إلى ١٩٠٠ جنيه استرليني [3]. وقد ادى الرأي العام دوراً كبيراً في تنفيذ المقاطعة

(1) Fursenko, Tam zhe str. 64.
(2) Commager, Op. Cit., P.87.
(3) Fursenko, Tam zhe str. 66.

فتحت تأثيره كان التجار يخضعون مضطرين لقرار المقاطعة ويتخلون عن المتاجرة مع بريطانيا على الرغم مما يسببه لهم ذلك من خسائر كبيرة. وادت منظمة ابناء الحرية دوراً بارزاً في فرض قرارات المؤتمر وتنفيذها واتخذت في هذا المجال تدابير قاسية ضد المخالفين حتى ان بعض الموالين تعرض لاجراءات مهينة كالطلي بالقطران والاكساء بالريش واضطر بعضهم إلى الفرار من منازلهم تجنباً للتعرض لمثل هذه الاهانات (١).

لقد سببت المقاطعة ضرراً كبيراً للتجار الانجليز الذين اثار خشيتهم ايضاً اعتقادهم ان تنامي العداء بين بريطانيا ومستعمراتها سيؤدي إلى عجزهم عن استيفاء الديون المترتبة لهم على المزارعين الأمريكيين ولهذا فقد عمدوا إلى تقديم عريضة إلى البرلمان البريطاني طالبوا فيها بالعمل على اعادة التجارة بين بريطانيا ومستعمراتها واقامتها على اسس دائمة (٢).

في الوقت نفسه اخذت جماهير الشعب تستعد للمقاومة المسلحة فتألفت فصائل من المتطوعين باشرت بالتدريب العسكري واعدت مخازن سرية للسلاح والعتاد وتحولت لجان المراسلات في كثير من المستعمرات إلى " لجان امن " اصبحت مركزاً لسلطة الثورة القادمة. وكانت ماساتشيوستس في مقدمة المستعمرات التي انتشرت فيها الحركة الثورية فبعد ان حل حاكمها كيج جمعيتها التشريعية تجاهلت الجمعية قرار كيج هذا واجتمعت في تشرين الأول ١٧٧٤ في كمبرج ثم في كونكورد معتبرة نفسها مؤتمراً اقليمياً واضطلع هذا المؤتمر بدور الحكومة المحلية متجاهلاً كيج والمجلس الذي عينه، فاختار مسؤولاً مالياً لجمع الضرائب واسس لجنة للأمن اصبحت تمثل السلطة التنفيذية الدائمة في

(١) Alden, Op. Cit., P.157.

(٢) انظر العريضة في :

Commager, Op. Cit., PP.87-89.

المستعمرة وباشرت اللجنة بجمع السلاح والذخيرة وألفت مليشيا شعبية وبدأت بتدريبها واسست نظاماً لجمع المعلومات لاستباق أي حركة بريطانية والاستعداد لمقاومة أي محاولة يقوم بها البريطانيون للتوغل داخل المستعمرة (١).

وهكذا تكون في المستعمرات وضع ثوري واتسعت فيها الدعوات لصالح المقاومة الحازمة واخذت الاصوات الداعية إلى الانفصال عن بريطانيا تتعالى اكثر فاكثر . وفي مثل هذا الجو المفعم بروح الثورة القى باتريك هنري في اذار ١٧٧٥ في الجمعية التشريعية في فرجينيا خطابه الشهير الذي دعا فيه إلى نبذ الدعوات السلمية والتوجه إلى الحرب والتخلي عن التردد بحجة ان المستعمرات ضعيفة ولاتمتلك ما يكفي من القوة لمحاربة بريطانيا منفردة، معلناً ان الشعب الذي يقاتل من اجل قضية الحرية المقدسة لن يقهر مهما بلغت قوة العدو ومختتماً خطابه بالقول: " ... ماذا يريد هؤلاء الناس الذين يحدثوكم عن السلام ؟ هل ترى الحياة غالية والسلام حلو بحيث يتوجب شراؤهما بثمن من الاغلال والعبودية ؟ انا لا اعلم كيف يفكر الاخرون، اما ما يتعلق بي فانني لن ابخل بحياتي على قضية الحرية " (٢).

ينقل المؤرخ الروسي ميجويف عن احد نواب الجمعية التي استمعت لخطاب باتريك هنري هذا قوله : " كان الانطباع الذي تركه الخطاب قوياً ومذهلاً بحيث لم يدو أي تصفيق في قاعة الاجتماع ولم يسمع أي صوت مهما كان ضعيفاً. وعندما مرت بضع دقائق من الاعجاب الصامت بهذا الشكل قفز قسم من اعضاء الجمعية من اماكنهم وكان يمكن ان نقرأ على وجوههم المستثارة عبارة " إلى السلاح " وفي عيونهم كانت تشع نار سورة المشاعر الوطنية " (٣).

(1) Morison, Op. Cit., P.212.
(2) Tsit Fursenko, Tam zhe str. 67-68.
(3) Tsit. Tam zhe str 68.

انتشر خطاب باتريك هنري الملتهب في المستعمرات الأخرى فساعد على تعزيز النزعة المعادية لبريطانيا وعلى تعبئة القوى المؤيدة للثورة فتهيأ الجو أكثر من السابق للقطيعة معها وأصبحت الثورة عليها امراً لامفر منه.

الموقف البريطاني:

كانت وزارة نورث (١٧٧٠-١٧٨٢) تتمتع في شتاء ١٧٧٤-١٧٧٥ بوضع راسخ فقد استطاعت ان تؤمن لنفسها عن طريق الترغيب والترهيب اغلبية كبيرة في انتخابات مجلس العموم التي جرت في خريف ١٧٧٤ حيث ان اصدقاء الملك نصف اعضاء ذلك المجلس وكان هؤلاء لايتعاطفون مع الأمريكيين ولايؤمنون بان سكان المستعمرات مساوون لهم. كذلك كان الحال في مجلس اللوردات فاعضاؤه الذين كانوا يتمتعون بالامتيازات التي تغدقها عليهم الحكومة كانوا يعدون سكان المستعمرات تابعين لهم لذلك يجب ان يكونوا في مرتبة ادنى. وفي الوقت الذي كان بعضهم يحمل ولاءً اقطاعياً للملك كان اخرون منهم، على الرغم من غيرتهم من الملك، يدركون ان مصالحهم ومصالح الملك واحدة وانهم وملكهم لهم اعداء مشتركون وبالتالي يجب ان يكونوا في معسكر واحد.

وهكذا فان البرلمان بمجلسيه كان في قبضة الملك يستطيع هذا ان يجعله يوافق على أي قرار يريده . لكن الملك واصدقاءه لم يكونوا على درجة من الأهلية تمكنهم من فهم مايجري في أمريكا وايجاد الحلول الناجحة للمشاكل القائمة هناك ، فالملك لم يكن يكن عطفاً على رعاياه الأمريكيين وكان بعيداً عن ان يفهمهم أو يتفهم مطاليبهم فهم ليسوا نبلاء أو جنتلمانات بل فلاحين وعمال وحرفيين وكتبة وبالتالي فانهم بعيدون عن احترامه وتقديره بل انه كان يعتقد بانه قد صبر عليهم أكثر من اللازم وان هذا الصبر قد استغل من قبلهم. وكان اتباع

الملك الارستقراطيون بالطبع يشاركونه في نظراته هذه وكانوا معتادين على النظر إلى الاجراء ورجال التجارة وعموم المنتمين إلى غير طبقتهم على انهم تابعين لهم.

من الطبيعي ان يفشل في ظل سيطرة مثل هؤلاء أي اقتراح يسعى لرأب الصدع وتسوية النزاع الذي ما فتأ يشتد ويتعمق بين الحكومة البريطانية ومستعمراتها. من ذلك مثلاً ما أصاب الاقتراح الذي قدمه عميد كلية كلوسستر جوشوا تكر Josiah Tucker في الكراس الذي اصدره بعنوان: " المصلحة الحقيقية لبريطانيا العظمى فيما يتعلق بالمستعمرات والوسائل الوحيدة للعيش بسلام وتناغم معها " . فمع ان هذا الرجل كان مخلصاً للملك وللكنيسة ولم يكن يحب المستعمرات أو يتعاطف معها فانه نظر إلى النزاع القائم مع الأمريكيين بموضوعية مشهودة حيث ذكر بانه من غير الممكن ابقاء الأمريكيين خاضعين لبريطانيا إلى الابد فكل رعايا الملوك الأوربيين في ماوراء البحار سوف يسعون إلى الاستقلال ويحصلون عليه، وقد توجه الأمريكيون نحو هذا الهدف اسرع من غيرهم في العالم الجديد لانهم يتمتعون بحرية اكبر من التي يتمتع بها سكان المستعمرات الفرنسية والاسبانية. واكد ان الأمريكيين ليسوا ناكرين الجميل بل هم مثل بقية الناس يسعون لتعزيز مصالحهم الخاصة لاغير وان على بريطانيا ان تجنب الحرب معهم وما ينجم عنها من كوارث فحتى لو امكن اخضاعهم هذا بالقوة فان حقدهم على الوطن الام سيزداد وسوف يعمدون إلى المطالبة بالاستقلال عاجلاً ام آجلاً، ولهذا فان على بريطانيا ان نعلن بارادتها استقلال المستعمرات الثلاث عشرة وان تقيم معها حلفاً عسكرياً لحمايتها من الاعداء، ولن تتضرر من ذلك لأنها سوف تحافظ على تجارتها المهمة للغاية مع مستعمراتها السابقة [1]. وقد شارك تكر هذه الاراء عدد من الشخصيات المهمة منهم ادم

---

(1) Alden, Op. Cit., P.161.

سمث الاقتصادي المشهور واللورد بارنجتون Barrington فجميع هؤلاء دعوا إلى سحب القوات البريطانية من أمريكا ومنح الاستقلال لسكان المستعمرات اذا هم رغبوا بذلك (١).

لكن مثل هذه الاقتراحات لم تكن مقبولة من جورج الثالث واصدقائه بل انها لم تجد اذناً صاغية حتى لدى قادة حزب الويك من أمثال الايرل شاتام Chatham (وليم بت الاب) أو ادموند بورك Edmund Burke فكل هؤلاء لم يكونوا مستعدين حتى لمجرد التفكير باحتمال استقلال المستعمرات.

ومع ذلك فقد كان البرلمان يضم بين اعضائه اقلية تساند مطالب الأمريكيين وكان هؤلاء هم من عناصر الحركة الراديكالية التي كانت تضم العديد من التجار والصحفيين والحرفيين، كما انه أي البرلمان كان يضم ايضا عدداً من المعارضين الاقوياء لجورج الثالث كان في مقدمتهم المركيز Rockingham والايرل شاتام واتباعهما. لكن هؤلاء لم يكونوا يتعاطفون مع الأمريكان بل انصب هجومهم على ما كان الملك يقوم به من افساد للبرلمان ويطالبون الملك بالافصاح عن اوجه صرف الاموال التي يخصصها له البرلمان لاغراض " الخدمات السرية " وينتقدون قيامه بمنح انصاره وظائف لايقوم شاغلوها باي عمل ومنحه هبات سرية لاناس لايستحقونها. والواقع ان هؤلاء والنبلاء من حزب الويك الذين كانوا يؤلفون سندهم الاساس في البلد كان همهم الأول هو استعادة السلطة التي استحوذ عليها الملك لكي يستخدموها لاسترضاء الأمريكيين وتعزيز التجارة البريطانية. ومن هذا المنطلق القى شاتام في مجلس اللوردات خطاباً انتقد فيه بشدة وزارة نورث وما قامت به من اعمال قاسية لمعاقبة ماسانشيوستس وامتدح سكان تلك المستعمرة لانهم دافعوا عن حقوقهم وابدى اعجابه بالمؤتمر القاري الأول وطرح اقتراحاً يقضي بالطلب من الحكومة

(1) Morison, Op. Cit., PP.218-219.

ان تصدر للجنرال كيج امراً بسحب قواته من بوسطن باسرع وقت ممكن. ومع ان اقتراحه هذا لم يحظ بالقبول إذ صوت ضده ٦٨ عضواً مقابل ١٨ عضوا ايدوه (١)، الا ان شاتام واصل رغم ذلك جهوده في هذا السبيل حتى انه لم يجد باسا في اجراء اتصالات مع بنيامين فرانكلين بهذا الشأن. وبتأثير من هذه الاتصالات والعرائض الكثيرة التي كان رجال الاعمال يوجهونها إلى البرلمان يدعون فيها إلى تسوية النزاع مع الأمريكيين اقترح شاتام في ١ شباط ١٧٧٥ خطة للتسوية جاء فيها ان المستعمرات يجب ان تبقى خاضعة لسلطة البرلمان التشريعية والادارية لكن على البرلمان ان يتخلى عن سلطته في فرض الضرائب على الأمريكيين وان يلغي أو يعطل موقتاً القوانين التي صدرت بعد ١٧٦٣ وان يجري الاعتراف بالمؤتمر القاري والطلب منه وضع خطة تسهم المستعمرات بموجبها بنسبة ملائمة في الدخل للدفاع عن الإمبراطورية . وقضت الخطة ايضا بان يحتفظ البرلمان بسلطته على التجارة البحرية الأمريكية (٢).

هنا لابد ان نشير بان شاتام لم يكن مدفوعاً بالتعاطف مع الأمريكيين أو الرغبة في الاستجابة لمطالبيهم ، فقد كان " معارضاً للاستقلال الأمريكي بكل ما في هذه الكلمة من معنى " (٣)، بل ان كل ما اراده هو القيام بتنازلات من اجل الحفاظ على الإمبراطورية البريطانية قبل ان يفوت الوقت ويصبح العلاج متأخراً. لقد كان شاتام وانصاره في مواقفهم هذه مدفوعين بالحرص على مصلحة بريطانيا، مهتدين بخطابه في مجلس العموم بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٧٦٦ الذي جاء فيه قوله " انا لا اتودد لأمريكا. انا اؤيد هذه المملكة. انا اؤكد بان البرلمان له الحق في الزام وتقييد أمريكا " (٤) وبقوله في خطابه في مجلس

(1) Alden, Op. Cit., P.164.
(2) Monris, Op. Cit., P.100; Alden, Op. Cit., P.164.
(3) Alden, Op. Cit., P.164.
(4) Quoted in Beloff, Op. Cit., P.102.

اللوردات بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٧٧٧ : " سادتي لا احد يرغب في وجوب تبعية أمريكا لهذا البلد [بريطانيا] أكثر مني، ولكي نحافظ عليها [التبعية] ولانعزز حالة الاستقلال التي دفعتهم اليها اجراءاتكم يجب ان يكون ذلك هو الموضوع الذي ينبغي ان نتحد في الوصول اليه "[١].

لكن الوقت كان قد اصبح متأخراً بالفعل إذ ان الحكومة البريطانية كانت قد اقرت في ٢٥ كانون الثاني ١٧٧٥ تعليمات ارسلتها إلى الجنرال كيج تأمره فيها بقمع التمرد في ماساتشيوستس بالقوة واعتقال المعارضين النشطين في المؤتمر الاقليمي وتخبره بان تعزيزات عسكرية اضافية سوف ترسل اليه على الفور[٢].

اسهم البرلمان من جانبه في تعميق الصراع باتخاذه في ٩ شباط ١٧٧٥ قراراً وسم ماساتشيوستس بالعصيان ، ومصادقته على قرار كانت الحكومة قد اتخذته قبل ذلك بارسال ثلاثة جنرالات هم وليم هاو Howe وهنري كلنتون Clinton وجون برغوين Burgoyne إلى بوسطن وموافقته على زيادة عدد افراد الجيش في أمريكا، واقراره لائحة تحد من تجارة نيوانجلند مع بريطانيا وجزر الهند الغربية البريطانية وتمنع سكانها من الصيد في مياه نيوفاوندلاند.

من ناحية اخرى صادق مجلس العموم في ٢٧ شباط، وبعد ان رفض خطة شاتام التي سبق ذكرها على خطة حكومية قدمها رئيس الوزراء نورث لتكون اساساً للتسوية. وقد تضمنت خطة نورث هذه ان يمتنع البرلمان عن فرض الضرائب على اية مستعمرة أمريكية تقوم الجمعية التشريعية فيها بنفسها بفرض الضرائب على سكانها لاغراض الصرف على شؤون الدفاع وتكاليف الحكومة المدنية والجهاز القضائي فيها[٣].

---

(1) Quoted in Beloff, Op. Cit., P.291.

(2) See: Alden, Op. Cit., PP.167-168.

(3) Morris, Op. Cit., P.100.

ومع ان هذه الخطة كان يمكن ان تؤلف اساساً لتسوية النزاع حول فرض الضرائب الا انها لم تكن مقبولة من الأمريكيين لأنها صيغت بطريقة تجعل الأمريكيين غير واثقين من اخلاص صاحبها نورث ولان هذا الاخير لم يوجهها إلى المؤتمر القاري بل ارسلها إلى حكام المستعمرات طالباً منهم عرضها على الوجهاء في المستعمرات لكي يستخدم هؤلاء نفوذهم لتأمين قبول الجمعيات التشريعية بها، أي انه لم يكن يعترف بالمؤتمر القاري ممثلاً للمستعمرات الامر الذي يعني ان الخطة تهدف إلى شق وحدة المستعمرات . يضاف إلى ذلك ان الخطة لم تعين حصة كل مستعمرة من هذه الضرائب وان على كل مستعمرة ان تختار احد امرين: اما ان تفرض الضرائب على سكانها للدفاع عن الإمبراطورية أو ان تقبل بان يفرض البرلمان الضرائب عليها لهذا الغرض.

لقد انتقد شاتام وانصاره خطة نورث هذه بشدة لأنها في اعتقادهم لاتمنح الأمريكان ما يكفي لارضائهم ، كما هوجمت من انصار الحكومة لأنها في رأيهم تمنح سكان المستعمرات أكثر مما يجب، لكن نورث تمكن من اقناع هؤلاء الاخيرين بالموافقة عليها[١].

---

(١) انظر تفاصيل مواقف مختلف الاطراف في بريطانيا من خطة نورث هذه في:
V.N.Pleshkov,Vneshnaya Politika ssha V Kontse XVIII Veka, Leningrad, 1984, str 9-10.

قيام الحرب:

كان كيج قد فعل كل ما يستطيع استعداداً للصدام الذي كان يتوقعه مع الأمريكيين فحذر الضباط والمدنيين الانجليز الموجودين في أمريكا بان يتوقعوا الاسوء وطلب من المسؤولين عن ادارة العلاقة مع الهنود ان يعملوا كل ما في وسعهم لمنع سكان المستعمرات من اقامة علاقات ودية مع الهنود وان يضمنوا بكل السبل ولاء الهنود للملك جورج الثالث بحيث يكونون مستعدين للتحرك نحو حدود المستعمرات في حالة ما اذا طلب منهم الملك ذلك، وجعل قواته في بوسطن تباشر بالاستعداد لاي طارئ وقام بحملات لمصادرة الأسلحة ونظم لجنوده مسيرات تدريبية في الريف المجاور وارسل العيون لجمع المعلومات وفرض رقابة دقيقة على المؤتمر الاقليمي لمستعمرة ماسانشيوستس. وكان هذا قد انعقد كما ذكرنا منذ ان حل كيج جمعية ماساتشيوستس في تشرين الأول ١٧٧٤ ، فقد رفض اعضاء الجمعية هذا القرار واجتمعوا " باعتبارهم مؤتمراً اقليمياً في بلدة كمبرج ، اولاً ثم في كونكورد بعد ذلك برئاسة جون هانكوك، وتولى هذا المؤتمر مسؤولية الحكم في المستعمرة متجاهلاً الحاكم كيج والمجلس الذي عينه، فعين من جانبه مسؤولاً مالياً لجباية الضرائب ولجنة امن تولت السلطة التنفيذية الدائمة في المستعمرة [١] . ومع ان هذا المؤتمر اتخذ في ١٢ أذار ١٧٧٥ قراراً بتخصيص يوم للصيام والصلاة والتضرع إلى الله ليبارك الإمبراطورية البريطانية وجورج الثالث والعائلة الحاكمة في بريطانيا، الا انه شجب الطاعة المطلقة ، بل ان رئيسه جون هانكوك دعا سكان ماساتشيوستس بعد ذلك باسبوعين إلى الاستعداد للدفاع عن انفسهم إلى اقصى حد، ثم تشكلت في

(١) Alden, Op. Cit., P. 169

المستعمرة مليشيا شعبية وزودت بتعليمات تقضي بالقيام بعمل سريع في حالة ما اذا خرجت قوات كيج من بوسطن للقيام بعمل عدواني.

في هذه الاثناء علم كيج من عيون له بان الوطنيين الأمريكيين قد خزنوا في كونكورد Concord بعض المدافع الخفيفة والبنادق وكميات من البارود والذخائر الحربية مع كميات من المواد الغذائية ، فقرر تنفيذ اوامر الحكومة البريطانية بالاستيلاء على هذه المؤن والذخائر واعتقال صوموئيل ادمز وجون هانكوك اللذين كانا يقيمان في بيت ريفي بالقرب من لكسنكتون Lexington، فارسل لهذا الغرض في ١٨ نيسان ١٧٧٥ فصيلاً من قواته يتألف من سبعمائة مقاتل إلى كونكورد التي تقع على بعد ثمانية عشر ميلاً إلى الشمال من بوسطن. لكن منظمة ابناء الحرية التي كانت قد فرضت رقابة دقيقة على تحركات القوات البريطانية علمت على الفور بهذا التحرك فاسرعت بتحذير المعنيين وذلك باشارة متفق عليها اطلقها مصباح من احدى كنائس بوسطن، فاخذت الاجراس تدق في كل مكان والبنادق تطلق عيارات تحذيرية. ولذلك فعندما وصلت القوة البريطانية إلى لكسنكتون الواقعة على بعد ستة اميال من كونكورد لم تجد ادمز وهانكوك حيث كانا قد حذرا مسبقاً فغادرا البلدة إلى مكان امن، ووجدت بدلاً من ذلك ان الطريق قد اغلقه عليها رجال المليشيا المتطوعون فجرى تبادل لاطلاق النار بين الجانبين تمكن البريطانيون بعده بصعوبة من الوصول إلى كونكورد. لكن المواطنين الأمريكيين كانوا قد استطاعوا ان ينقلوا جزءاً من معداتهم وذخائرهم بعيداً عن متناول الجنود البريطانيين الذين دمروا ما بقي من هذه المعدات وقفلوا راجعين إلى بوسطن. وفي طريق عودتهم تعرضوا إلى اطلاق نار كثيف من جانب افراد المليشيا الذين كانت اعدادهم تتزايد بسرعة نتيجة لانضمام اعداد كبيرة من سكان القرى المجاورة اليهم. لقد كان هؤلاء يطلقون النار على الجنود البريطانيين من وراء الاسيجة والاشجار ومن البيوت والبنايات ومخازن

الحبوب، بحيث تحولت رحلة العودة إلى كابوس بالنسبة للجنود، ولم تستطع القوة البريطانية الوصول إلى لكسنكتون ومنها إلى بوسطن الا بصعوبة بالغة وبعد ان وصلتها تعزيزات اضافية وخسرت ثلاثة وسبعين قتيلا ومائة وأربعة وسبعين جريحاً وستة وعشرين مفقوداً . اما الامريكيون فكانت خسائرهم تسعة واربعين قتيلاً وواحداً وسبعين جريحاً وخمسة مفقودين [١].

كانت لهذه الحادثة اهمية خاصة في مجرى الصراع بين الحكومة البريطانية ومستعمراتها الأمريكية فقد برهنت للقيادة البريطانية هناك بأن الأمريكيين قد نهضوا وانهم على استعداد للقتال وانهم سيحاربون باستقتال، ولو انهم كانوا يتمتعون بالضبط الذي تتميز به القوات البريطانية وكانت لديهم قيادة موحدة لكان من الصعب على القوات البريطانية ان تنجو منهم. ومن الناحية الأخرى كانت هذه المعركة دافعاً جعل المتطوعين من جميع انحاء نيوانجلاند يتجمعون خارج بوسطن ويقيمون هناك معسكراً اطلقوا عليه اسم " معسكر الحرية " اخذ العمال والحرفيون والمزارعون يتقاطرون عليه بحيث حاصر عشرون الفاً منهم القوات البريطانية الموجودة في المدينة [٢]، كما انتشر خبر المعركة في المستعمرات الأخرى فحفز السكان فيها على الكفاح ففي نيويورك استولى "ابناء الحرية " على مستودع للأسلحة في المدينة وشكلوا فصيلاً من المتطوعين وسيطروا على دائرة الكمارك واستولوا على سفينتين بريطانيتين كانتا تحملان ذخيرة لحامية المدينة. وفي سفانا عاصمة جورجيا استولت منظمة ابناء الحرية ايضاً على احتياطي البارود وعتاد البنادق من احد المخازن وعلى سفينة بريطانية كانت راسية في الميناء وصادرت حمولتها من البنادق والبارود

(١) انظر تفاصيل الواقعة في:
Alden, Op. Cit., PP.173-176.

(2) Efimov, Tam zhe str. 95.

وباشرت بتأليف فصيل من المتطوعين . وعندما حاولت السلطات التصدي لمثل هذه الاعمال واعتقلت احد قادة المنظمة قام فصيل مسلح بالهجوم على السجن وحرره من الاعتقال. وفي الوقت نفسه كانت تجري في نيوجرسي وبنسلفانيا وغيرها من المستعمرات استعدادات عسكرية مكثفة وتشكل فيها العديد من فصائل المتطوعين للقتال [١] . اما في فرجينيا وكارولينا الشمالية فقد اندلعت حرب اهلية حقيقية كان لها صدى في الصحافة الأوربية ولاسيما في باريس والبندقية [٢].

وهكذا يمكن القول ان هذه المعركة قد مهدت الطريق لانفصال المستعمرات عن بريطانيا فجميع الجهود التي بذلت بعد ذلك لايقاف الحرب على اساس بقاء المستعمرات ضمن الإمبراطورية البريطانية باءت بالفشل.

بعد هذه المعركة ظلت القوات البريطانية محاصرة في مدينة بوسطن لمدة شهرين ولم يجرؤ قائدها كيج على تحريكها ضد ميليشيا الوطنيين التي كانت تحاصر المدينة لانه كان يدرك ان القوات التي بامرته ضعيفة لدرجة لاتسمح بالتوغل داخل ماساتشيوستس لهذا قرر ان يبقى هادئاً ويستغل الوقت لتعزيز مواقعه الدفاعية في بوسطن انتظاراً لوصول المساعدة من بريطانيا. لكن الوطنيين من الناحية الأخرى لم تكن لديهم مدافع ثقيلة تمكنهم من اقتحام المدينة، وقد مكنت هذه الظروف كيج من عقد اتفاق مع وجهاء في المدينة سمح بموجبه الوطنيين بمغادرة المدينة وللموالين بالدخول اليها، وقد غادر الوطنيون المدينة بالفعل . ومع ان كيج اضطر الوطنيين الذين غادروا بوسطن إلى تسليم اسلحتهم الا ان محاولته تكوين قوة من المتطوعين لم تنجح إذ لم يحصل الا على عدد قليل جداً من الرجال الراغبين بالقتال إلى جانب البريطانيين.

(1) Fursenko , Tam zhe str. 69; Efimov, Tam the str. 95.

(2) See Morison, Op. Cit., P.214.

جرت في هذه الاثناء تطورات ايجابية مهمة بالنسبة للوطنيين الأمريكيين ففي ايار ١٧٧٥ استطاعت قواتهم محاصرة حصن تيكوندروكا Ticonderoga واجبار قائد حاميته على الاستسلام دون قتال ثم واصلت تقدمها شمالاً واستولت على حصن كراون بوينت Crown Point الذي كان الانجليز قد اخلوه قبل وصولها [١] . وكان ذلك نصراً مهماً حقق الأمريكيون من خلاله افضلية مشهودة فتيكوندروكا هو اكبر واقوى حصن على الطريق المائي الذي يربط نيويورك بكندا عبر بحيرتي جورج وتشامبلين، كما ان الاستيلاء عليه وفر للقوات الأمريكية عدداً لايستهان به من المدافع غنموها فيه وكانوا بامس الحاجة اليها. يضاف إلى ذلك ان الوطنيين تمكنوا من تحقيق تفوق واضح في جميع المستعمرات بحيث تمكنوا من طرد حكامها والعناصر الملكية فيها أو تحييدهم واتخذت الجمعيات التشريعية فيها قرارات برفض خطة نورث الانفة الذكر عادة اياها ذريعة لشق صفوف الأمريكيين واذلالهم وليس وسيلة لتسوية النزاع بين بريطانيا ومستعمراتها.

حقق الوطنيون باستيلائهم على تيكوندروكا وكراون بوينت خطوة مهمة على طريق تحقيق هدفهم الابعد وهو الاستيلاء على اقليم كويبك . لقد برر الوطنيون هذه الرغبة بان هدفهم من ذلك هو تحرير سكان الاقليم من السيطرة البريطانية، وكان هذا في الواقع صحيحاً لكنه لاينفي وجود اهداف اخرى لهم حين ارسلوا قواتهم في ١٧٧٥ باتجاه الشمال نحو مونتريال وكويبك فقد كانوا بحاجة إلى مساعدة ظنوا انهم يستطيعون الحصول عليها من سكان كويبك ويأملون بالحصول على عون مادي من الكنديين الفرنسيين الذين كانوا مستائين

(١) انظر:

American Military History 1607-1953 Edited by Department of the Army 1956, PP.33-34.

من الحكم البريطاني، كما اعتقدوا بانهم سيستطيعون بهذا العمل على الاقل ابعاد البريطانيين عن حلفائهم الكنديين. يضاف إلى ذلك ان سيطرتهم على وادي نهر السانت لورنس ستفقد البريطانيين وسيلة سهلة للاتصال بالقبائل الهندية الموجودة في الشمال وبذلك يخسرون امكانية مد الهنود بالسلاح وتشجيعهم على مهاجمة مستوطنات الحدود الأمريكية.

اعتقد الوطنيون ان الاستيلاء على كويبك سيكون سهلاً نسبياً لان القوات البريطانية كانت قد تجمعت في بوسطن ولم يبق لبريطانيا في اقليم كويبك سوى قوات قليلة تتألف من أربعة افواج من الجنود وأربع سرايا من رجال المدفعية . وكانت هذه القوات مبعثرة في قواعد متباعدة في منطقة البحيرات العظمى بعيداً عن مدينة كويبك [١] . كذلك كان هناك عدد من سكان الإقليم ممن هاجر من المستعمرات الثلاث عشرة، يؤيدون الوطنيين ويناهضون الحكم البريطاني، بالإضافة إلى ان اغلبية الكنديين الفرنسيين كانوا غير ميالين لمساعدة بريطانيا. لهذا كله قرر الأمريكيون غزو اقليم كويبك والاستيلاء عليه، وكانت الخطوة الأولى في ذلك المشروع الاستيلاء على حصني تيكوندروكا وكراون بوينت ، وبعد فترة من التوقف فرضها المؤتمر القاري ناشد خلالها الكنديين بالانضمام إلى المستعمرات الثائرة دون جدوى واصل فصيل ضخم من الوطنيين تعداده حوالي عشرة الاف مقاتل يقودهم الجنرال ريتشارد مونتغمري Monttgomery تقدمه نحو مونتريال فاستولى عليها في ١٢ تشرين الثاني ١٧٧٥. لكن المحاولة التي قام بها لاقتحام حصن كويبك عشية رأس السنة الجديدة باءت بالفشل وانتهت بموت مونتغمري على الرغم من انضمام ٦٠٠ مقاتل آخرين اليه بقيادة الجنرال ارنولد[٢] Arnold. وعلى الرغم من ان هذا الفشل وفر للبريطانيين امكانية

(1) Alden , Op. Cit., P.195.
(2) Efimov, Op. Cit., P.99; Morison, Op. Cit., P.220.

استخدام كندا قاعدة انطلاق لغزو المستعمرات ، الا انه اضطرهم من الناحية الأخرى إلى ان يجعلوا جزءاً كبيراً من قواتهم في أمريكا يرابط على الدوام في كندا خشية من معاودة الأمريكان غزوهم لها الأمر الذي خفف الضغط على هؤلاء الاخيرين في صراعهم ضد القوات البريطانية في اراضي المستعمرات الثلاث عشرة.

في هذه الاثناء بدأت تصل إلى كيج التعزيزات من بريطانيا وتضمنت هذه التعزيزات كتائب من رجال البحرية والمشاة ورجال المدفعية بحيث وصل عدد القوات البريطانية في بوسطن إلى عشرة الاف مقاتل غير الملاحين والقوات البحرية التي كان يقودها الاميرال كريفز Graves [1] ، كما انضم إلى كيج في ٢٥ ايار ١٧٧٥ الجنرالات الثلاثة الذين كانت الحكومة البريطانية قد قررت قبل ذلك ارسالهم اليه كما ذكرنا سابقاً وهم وليم هاو وهنري كلنتون وجون برغوين، ومعهم وصلت إلى كيج من وزير المستعمرات دارتموث Dartmouth تعليمات جديدة كانت الحكومة البريطانية قد اصدرتها اليه قبل ان تصل اليها اخبار معركة لكسنكتون وكونكورد وبعد ان نمى إلى علمها وجود مستودعات لأسلحة خاصة بالوطنيين في كونكورد ووركستر Worcester . لقد امر كيج في هذه التعليمات بتدمير تلك المستودعات واسر قادة الوطنيين واعلان عفو عام عن جميع المتمردين باستثناء قادتهم " الاكثر ايذاءً " [2].

اشاعت هذه التعزيزات الثقة في نفس كيج واشعرته بانه اصبح قادراً على القيام بعمليات هجومية ففكر باحتلال شبهي جزيرة تشارلستاون Charlestown ودورتشستر Dorchester [3] كخطوة باتجاه تأمين بوسطن

(1) Morison , Op. Cit., P.217.

(2) Alden , Op. Cit., P.178.

(٣) فيها مرتفعات تشرف على مدينة بوسطن.

لانه قبل ان يفعل ذلك نشر في ١٢ حزيران بياناً اعلن فيه الاحكام العرفية وعرض عفواً عاماً عن جميع المتمردين الذين يلقون السلاح واستثنى من العفو صوموئيل ادمز وجون هانكوك، لكن الوطنيين خارج بوسطن لم يستجيبوا لهذا العفو بل عمدوا بدلا من ذلك إلى احتلال بنكرهل Bunker Hill ، احد التلال التي تشرف على بوسطن. ونظراً لاهمية هذا الموقع قررت القيادة البريطانية في بوسطن استعادته فاحتدمت في ١٧ حزيران معركة عنيفة صمد فيها الأمريكيون صموداً رائعاً ، فقد قام البريطانيون بالهجوم على الموقع ثلاث مرات وفي كل مرة كانوا يردون على اعقابهم خائبين امام مقاومة الوطنيين الذين لم يتركوا الموقع الا بعد ان نفدت ذخيرتهم [1]. لقد خسر البريطانيون في هذه المعركة ١٠٥٤ مقاتلاً بين قتيل وجريح من اصل ٢٢٠٠ مقاتل اشتركوا في المعركة مقابل الخسائر الأمريكية التي بلغت ٤٤١ بين قتيل وجريح من اصل ٣٢٠٠ مقاتل كانوا يدافعون عن الموقع [2].

لقد كان الثمن الذي دفعه البريطانيون لهذا النصر باهضاً لدرجة كتبت احدى صحفهم عنه تقول : " نصر اخر مثل هذا ولن يبقى من يأتي بالاخبار إلى الوطن" [3] . اما الجنرال هاو فقد ذكر ان النجاح " قد اشتري بثمن باهض جدا" وان يوم ١٧ حزيران ١٧٧٥ بالنسبة له كان " يوماً حزيناً" وان الخسائر التي تكبدها البريطانيون في هذه المعركة " ملأته رعباً" واكد ذلك الجنرال كيج في التقرير الذي ارسله إلى لندن عن المعركة وذكر فيه ان النصر كان باهض الثمن[4].

(١) انظر تفاصيل المعركة في :
Alden , Op. Cit., PP.180-182.

(2) Morison , Op. Cit., P.217.

(3) Tsit. Zakharoa, Tam zhe str. 522.

(4) Quoted in Alden, Op . Cit., P.182.

لقد كانت الصدمة التي تلقاها البريطانيون في بنكرهل كبيرة لدرجة تخلي معها كيج عن احتلال مرتفعات دورتشستر على الرغم من انه تسلم تعزيزات مهمة بعد المعركة بقليل إذ كانت الحكومة البريطانية قد ارسلت اربعة افواج من الجيش لكي ترابط في نيويورك واخبرت كيج ان باستطاعته استقدامها إلى بوسطن اذا شعر بالحاجة إلى ذلك فبادر هذا في الحال وطلب من صوموئيل كريفز قائد الأسطول البريطاني في أمريكا انذاك بان يعترض السفن التي تنقل تلك الافواج ويجعلها تتجه إلى بوسطن [1]. ومع ان قواته اصبحت بذلك اقوى مما كانت عليه قبل معركة بنكرهل الا انه فضل تجنب القيام بعمل كبير في بوسطن ورأى ان ينتظر إلى ان تصبح القوات البريطانية في المدينة قوية بدرجة تمكنها من القيام بضربة حاسمة والى ان يتبين ماذا سيجري من تطورات في المدة القادمة لاسيما وان المؤتمر القاري الثاني الذي كان المؤتمر الأول قد قرر انعقاده في ايار ١٧٧٥ ، كان قد بدأ اعماله في فيلادلفيا منذ ١٠ ايار وباشر باتخاذ قرارات مهمة سيكون لها اثار غاية في الاهمية على الصراع الدائر على الأرض الأمريكية.

المؤتمر القاري الثاني:

تألف المؤتمر القاري الثاني من الناحية الفعلية من نفس الاشخاص الذين كانوا يؤلفون المؤتمر القاري الأول باستثناء قلة قليلة جداً من الاعضاء الجدد من بينهم بنيامين فرانكلين وتوماس جفرسون. وكان المؤتمر الثاني بعكس الأول يضم ممثلين عن جميع المستعمرات الثلاث عشرة وان كان ممثلو جورجيا لم ينضموا اليه الا في خريف ١٧٧٥ . وبالرغم من ان تشكيلة المؤتمر الثاني لم تكن تختلف عن تشكيلة الأول إذ كان مثل الأول يهيمن عليه ممثلو الطبقات الموسرة فمن بين اعضائه الستة والستين كان هناك سبعة من التجار وستة من

(1) Alden, Op . Cit., PP.178-179.

الاطباء وخمسة من المزارعين الاغنياء وخمسة وعشرون من المحامين [1]. ومع ذلك فان توجهات المؤتمرين ومواقفهما كانت مختلفة، فقد دفعت الحركة الثورية المتنامية في المستعمرات الكثير من الاشخاص ومنهم اعضاء في المؤتمر إلى ان ينظروا إلى الاحداث ويقيمونها بشكل مختلف، لاسيما وان مندوبين من الجناح اليميني المتطرف من أمثال غالوي الذي سبق ذكره لم يكونوا موجودين في المؤتمر الثاني لانهم انحازوا إلى معسكر الموالين المعادي للثورة، كما ان الكثير من المعتدلين الداعين إلى الاتفاق مع بريطانيا اصبحوا يتخذون مواقف أكثر تطرفاً بتأثير الضغط الجماهيري من ناحية وتصلب بريطانيا ورفضها تقديم أي تنازلات من ناحية اخرى، حتى ان التصلب البريطاني " جعل البعض منهم يعتقد بان سياسة الحكومة البريطانية تزيد من خطر الهزات الداخلية في المستعمرات فدفعهم ذلك إلى الوقوف ضد بريطانيا بشكل حازم " [2].

باشر المؤتمر الجديد اعماله الموجهة لخدمة المجهود الحربي، ورأى قبل ذلك ان يقوم بمحاولة اخيرة للتفاهم مع بريطانيا ولكن على اساس المطالب الأمريكية، إذ رفض خطة نورث التي سبق ذكرها واعتبرها شركاً ارادت بريطانيا للأمريكيين ان يقعوا فيه، وارسل إلى الملك عريضة اقرها في ٨ تموز ١٧٧٥ ، اصر فيها على المطالب الأمريكية والتمسه ايجاد السبل للتفاوض مع " رعاياه المخلصين " [3] . هنا ايضاً كان للتصلب البريطاني دوره في تفاقم الاحداث فالملك البريطاني لم يكتف برفض تسلم هذه العريضة بل اعلن في ٢٣ آب ان المستعمرات في حالة عصيان ودعا إلى ان تبذل " اقصى الجهود لقمع

(1) Efimov, Tam zhe str. 96.
(2) Fursenko, Tam zhe str. 70; Nettels , Op. Cit., PP.663-664..
(3) Alden , Op. Cit., P.183; Morison, Op. Cit., P.218; Pleshkov, Tam zhe str. 13.

هذا التمرد وتقديم الخونة إلى العدالة " (١). كما اقر البرلمان البريطاني من جانبه في ٢٢ كانون الأول قانوناً منع فيه كل انواع " التبادل والتجارة " مع المستعمرات وعد سفن المستعمرات " غنائم شرعية واطقمها رعايا يتوجب اكراههم على الخدمة في البحرية البريطانية " (٢).

من ناحية اخرى اقر المؤتمر بالاجماع ضرورة ان يدافع الأمريكيون عن انفسهم ضد القوات البريطانية، واستناداً إلى ذلك قرر في ١٥ حزيران ١٧٧٥ انشاء قوات مسلحة نظامية واختيار قائد عام لها. وكان هناك عدة مرشحين لمنصب القائد العام لكنهم استبعدوا جميعاً لاسباب مختلفة (٣)، ووقع الاختيار على جورج واشنطن الذي توفرت فيه جميع الشروط المطلوبة، فقد سبق له ان حارب ضمن القوات البريطانية في حرب السنوات السبع واظهر شجاعة ومقدرة مشهودة في ميادين القتال ، وكان فرجينيا وذلك مطلوب من اجل الوحدة الوطنية لانه يرضي سكان الجنوب الذين ما كانوا ليقبلوا ان يتولى هذا المنصب رجل من الشمال. ولهذه المسألة اهمية خاصة لان البريطانيين كانوا يدركون جيداً الاختلاف في المصالح بين الشمال والجنوب وكانت لديهم مخططات لاستغلال هذا الاختلاف لشق الحركة الوطنية وقمع الحركة المعادية لبريطانيا في المستعمرات (٤). وكان ثرياً وذلك ضمانة لان لايستغل منصبه للاثراء على حساب القضية ولن يستخدم سلطته لاحراز منزلة اجتماعية واقتصادية هو يتمتع

---

(١) اثارت الملك البريطاني ودفعته إلى هذا الموقف اخبار الحملة التي جهزها الامريكيون لغزو كندا.

(٢) Quoted in Morison , Op. Cit., P.218.

(٣) انظر حول ذلك:
Alden , Op. Cit., PP.183-184.

(٤) انظر حول ذلك:
E.Robson, The American Revolution in its Political and Military Aspects 1763-1783, London, 1955, PP.90, 91.

بها اصلاً، كما ان انتماءه إلى الوسط الارستقراطي الثري الذي يتميز بالاعتدال في النظر إلى الامور كان يروق لاعضاء المؤتمر المحافظين الذين كانوا يخشون من تفوق العناصر المتطرفة . يضاف إلى ذلك انه كان يتمتع بصفات شخصية ملائمة فقد كان مؤمناً بضرورة الدفاع عن حقوق المستعمرات وكان هادئاً متزناً غير مندفع ولاجباناً، متقد الذهن رابط الجأش لايتسرع في اتخاذ القرارات يحسن السيطرة على انفعالاته. لهذا كله اختاره المؤتمر القاري قائداً للجيش الذي قرر انشاءه، وقبل واشنطن هذا التعيين واعلن انه لن يتقاضى راتباً مقابل ذلك. ومع ذلك فانه لم يخل من صفات سلبية (١) ، لكن المهم انه كان عسكرياً كفوءاً وموثوقاً يعول عليه ومخلصاً لقضية المستعمرات.

لابد من الاشارة هنا إلى ان واشنطن لم يكن في البداية مؤيداً لفكرة الاستقلال عن بريطانيا، ولكنه لم يلبث ان اقتنع بها واصبح يعتقد بان الاستقلال هو الوسيلة الوحيدة التي تحققت مصالح سكان المستعمرات وقد عبر هو نفسه عن ذلك حين كتب في صيف ١٧٧٦ يقول : " لايمكن تحقيق المصالحة مع بريطانيا العظمى ، وهي ستكون [لو تحقق] مضرة باعلى درجة بالمصالح الحقيقية لأمريكا. عندما توليت قيادة الجيش كنت اكن بغضاً لفكرة الاستقلال الذي الان مقتنع تماماً بانه لاشيء غيرها يمكن ان ينقذنا " (٢).

عزز المؤتمر قراره بتأسيس الجيش بقرار اخر اتخذه في ١٣ تشرين الأول ١٧٧٥ يقضي بانشاء اسطول حربي، لكن هذا الأسطول ظل لاسباب كثيرة

---

(١) انظر حول ذلك :
Alden, Op. Cit., PP.184-185.
وحول واشنطن والدور الذي قام به في الثورة الأمريكية: بسام العسلي، جورج واشنطن ١٧٣٢-١٧٩٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(2) Tsit , Pleshkov, Tam zhe str. 21.

اهمها قوة وسيطرة الأسطول البريطاني على البحر طيلة مدة الحرب، صغيرا وغير كامل التجهيز ولاسيما فيما يتعلق بالكادر البشري لان الضباط والجنود كانوا يفضلون العمل في السفن الخاصة التي سلحها اصحابها واخذوا يستخدمونها في الهجوم على السفن البريطانية والاستيلاء عليها وعلى حمولاتها. والواقع ان هذه السفن الخاصة التي بدأ ظهورها ومزاولتها هذا العمل منذ حصار بوسطن في بداية عام ١٧٧٥ كانت تؤلف العمود الفقري والقوة الأساسية لأسطول الثوار الحربي وقد وصل عدد ماشارك منها في العمليات العسكرية طيلة سنوات الحرب إلى ٢٠٠٠ سفينة [1].

والى جانب ذلك عمد المؤتمر إلى فرض سيطرته على العلاقات مع الهنود وتولى بنفسه ادارة هذه العلاقة فأسس ثلاث دوائر متخصصة بالتعامل مع الشؤون الهندية يتولاها مفوضون لهذا الغرض وجرت بالفعل اتصالات مع الهنود كانت ناجحة من وجهة نظر الوطنيين [2].

اعلان الاستقلال:

ظل الامريكيون لمدة طويلة بعدما حدث في لنكسنكتون وكونكورد يؤكدون انهم يحاربون من اجل حقوقهم ضمن الإمبراطورية البريطانية وليس في سبيل الانفصال عنها. ان فكرة الانفصال عن بريطانيا والاستقلال التام كانت تنتشر بينهم بشكل تدريجي ، كما ان انتشارها لم يكن بنفس الدرجة في جميع المستعمرات، فبعد معركة لكسنكتون وكونكورد قام الوطنيون بابعاد ممثلي السلطة البريطانية في بعض المستعمرات في حين ان هؤلاء لم يتعرضوا للمضايقة في بعضها الاخر، كما ان عدداً كبيرا نسبيا من الوطنيين كان متذبذبا

(1) Effimov, Tam zhe str. 109.
(2) Morison , Op. Cit , P.215.

في مواقفه بل ان عدداً لايستهان به منهم اختاروا في اخر الامر ان يستمروا على ولائهم للامبراطورية البريطانية. لكن دعاة الانفصال الذين كانوا اقلية في البداية تميزوا بنشاط وفعالية وكان في طليعتهم سكان نيوانجلاند وسكان فرجينيا، وربما كان السبب في ذلك ان سكان هذه المناطق كانوا من اوائل المستوطنين في العالم الجديد الامر الذي جعلهم أكثر تأثراً بالبيئة الأمريكية، وان مصالحهم الاقتصادية كتجار – وهذا ينطبق على سكان نيوانجلاند بشكل خاص – كانت تتعارض بشدة مع مصالح بريطانيا وان اغلبيتهم كانت من أصل انجليزي أي انهم كانوا متشبعين بالتقاليد الديموقراطية التي ظهرت واخذت تنتشر في بريطانيا قبل غيرها من الاقطار.

على اية حال كان اغلب سكان المستعمرات، حتى بعد ان بدأ الصدام المسلح مايزالون مخلصين للملك ويرغبون في البقاء ضمن الإمبراطورية البريطانية ، واذا كانوا قد رفعوا السلاح في وجه السلطة البريطانية فانهم فعلوا ذلك دفاعاً عن حقوقهم ضد استبداد وزراء الملك وموظفيه. يقول المؤرخ الروسي يفيموف : " ان صلاة من اجل الملك كانت تقام في صباح كل يوم في معسكرات المعمرين يذهب المزارعون بعدها لمحاربة القوات الملكية " [1].

لقد عبر المؤتمر عن الموقف العام في المستعمرات انذاك في بيان اصدره في ١٠ حزيران ١٧٧٥ اكد فيه عدم الرغبة في الانفصال وحاول ان يبرر حمل السلاح ضد السلطة البريطانية إذ جاء فيه " اننا لاننوي حل الرابطة التي استمرت بهذا الطول والنجاح فيما بيننا ... اننا لم نؤسس الجيوش مدفوعين بمخططات طموحة للانفصال عن بريطانيا العظمى وتأسيس ولايات مستقلة. اننا لانحارب من اجل المجد أو الغزو " ولكننا " اجبرنا على ان نختار بين خضوع

(1) Efimov , Tam zhe str.97.

غير مشروط لاستبداد وزراء مغضبين أو استخدام القوة . ان هذا الاخير هو خيارنا ".

اذن ما الذي حدث وجعل موقف الأمريكيين يتحول جذرياً في بداية صيف ١٧٧٦ بحيث اخذوا يؤكدون بانهم لم يعودوا يقبلون باقل من الاستقلال التام عن بريطانيا.

كانت هناك اسباب عديدة وراء هذا التحول تأتي في مقدمتها مواقف بريطانيا واعمالها الموجهة ضد الأمريكيين فالحكومة البريطانية لم تجب على العريضة التي ارسلها المؤتمر القاري إلى الملك معبراً فيها عن ولاء الأمريكيين واخلاصهم له، وبدلاً من ذلك عدت المستعمرات في حالة تمرد واصدرت اوامرها إلى الجيش والأسطول بقمع ذلك التمرد ووسعت من الحضر الذي فرض على تجارة نيوانجلند البحرية بحيث اصبح يشمل جميع المستعمرات. واسهم سلوك القوات البريطانية في المستعمرات خلال الصراع السابق في ابتعاد اعداد كبيرة من الأمريكيين عن بريطانيا وانحيازهم لقضية الاستقلال، فالقمع والاساءات التي ارتكبها البريطانيون ضد الأمريكيين الذين عدوهم خونة أو غرباء معادين كان لها اثر كبير في خلق وضع اصبح فيه الكثير من سكان المستعمرات يفضلون الانخراط في النضال من اجل الاستقلال مخاطرين بحرياتهم الشخصية وممتلكاتهم بل وبحياتهم ايضاً من اجل القضية. واغاظ الوطنيين ايضاً تجنيد السلطات البريطانية للموالين وتشكيل فرق قتالية منهم فقد حول ذلك " الجار ضد جاره بل والاخ ضد أخيه، ونظر الكثير من الوطنين إلى قوات الموالين بل وحتى إلى التوري الذين لم يحملوا السلاح على انهم خونة ضمن الجماعة فحولوا الحقد الذي كانوا يكنونه للموالين نحو البريطانيين " [1] .

---

(1) Alden , Op. Cit., P.229.

واسهم في تحول الأمريكيين نحو الاستقلال ايضاً توجه بريطانيا لاستخدام مرتزقة اجانب [1] في صراعها معهم . صحيح ان استخدام حكام أوربا لمرتزقة اجانب كان امراً مألوفاً في ذلك الوقت ، لكن اولئك الحكام كانوا يستخدمون المرتزقة الاجانب في حروبهم مع الاعداء الخارجيين ولايستخدموهم عادة في قهر رعاياهم كما فعل جورج الثالث الذي حاول ان يستخدم الهسيين الالمان لقمع الأمريكيين وفرض سلطته المستبدة عليهم. لقد كان استخدام بريطانيا للقوات الالمانية في صراعها مع الأمريكيين يعني بالنسبة للوطنيين ان الحكومة البريطانية تعامل الأمريكيين كأجانب. ويأتي في هذا السياق ايضاً استخدام بريطانيا للزنوج العبيد عمالاً في الجيش وجنوداً في بعض الاحيان وان القادة البريطانيين عرضوا عليهم الحرية مقابل الخدمة في الجيش البريطاني، فقد اثار ذلك إلى حد كبير الوطنيين في الجنوب بشكل خاص، إذ خشي هؤلاء من فقدان عبيدهم ومن احتمال مواجهة تمرد يقوم به اولئك العبيد. وعلى الرغم من ان اعداداً قليلة من العبيد ومن الزنوج الاحرار استجابت للدعوة البريطانية وان كثيراً منهم ظلوا مخلصين لسادتهم وللقضية الوطنية وحاربوا ضد بريطانيا الا ان

---

(1) عمدت بريطانيا في حربها مع المستعمرات إلى تجنيد مرتزقة اجانب للقتال في أمريكا الشمالية وتوجهت من اجل ذلك إلى الدويلات الالمانية واستطاعت ان تجند عشرات الالوف من سكانها، كما توجهت في ايلول ١٧٧٥ إلى روسيا طالبة ارسال عشرين الف مقاتل لهذا الغرض ، لكن الامبراطورة الروسية كاترين الثانية رفضت الطلب، ولم يكن رفضها هذا مبعثه التعاطف مع الثوار الأمريكيين بل كان سببه رغبتها في زيادة نفوذها في أوربا والحد من النفوذ البريطاني وهو امر يتحقق بانتصار المستعمرات، وقناعتها بحتمية انفصال المستعمرات عن بريطانيا، بالاضافة إلى اسباب اخرى تتعلق بالوضع الداخلي في روسيا ولاسيما فيما يخص نتائج الحرب العثمانية – الروسية ١٧٦٨-١٧٧٤ والثورة الفلاحية الكبرى التي اجتاحت روسيا في ١٧٧٣-١٧٧٥ بقيادة ايملبان بوغاتشوف.

العرض الذي قدمه البريطانيون للزنوج " اثار الذعر بين الوطنيين" [1]. واثار بريطانيا سخط الوطنيين ايضاً بتوجهها للحصول على مساعدة الهنود، ذلك انهم كانوا يدركون ان الهنود في غالبيتهم يؤيدون بريطانيا بسبب المظالم التي اصابتهم على يد الأمريكيين الذين كانوا يتوسعون على حساب الهنود فيستولون على اراضيهم ويهددون بتدميرهم وقد دمروهم بالفعل في الكثير من المناسبات. وبسبب ادراك الأمريكيين لهذه الحقيقة كان جل ما ارادوه هو ان تبقى القبائل الهندية محايدة في النزاع القائم بينهم وبين بريطانيا، وان لاتنجر إلى الاغراءات والوعود التي كان المبعوثون البريطانيون يقدمونها لها. ولابد من الاشارة هنا إلى ان الأمريكيين انفسهم كانوا في السابق قد استخدموا الهنود في الحروب السابقة كما فعلوا مثلاً عندما دفعوهم إلى مهاجمة الفرنسيين في كندا ولويزيانا اثناء حرب السنوات السبع، لكن ذلك كان في نظرهم مبرراً لانهم استخدموا الهنود في حروبهم ضد عدو اجنبي ، في حين ان بريطانيا تحاول الان استخدامهم ضد من تؤكد انهم من رعاياها، ولهذا فمن الواجب الوقوف ضدها.

لكن الوطنيين لم يتجهوا إلى الانفصال بسبب بغضهم المتزايد لبريطانيا واستيائهم من اجراءاتها فقط بل ان هناك اسباباً مهمة اخرى جعلتهم أو جعلت بعض قادتهم في الاقل يعتقدون بعدم امكانية ضمان الحقوق الأمريكية اذا ظلوا ضمن الإمبراطورية البريطانية ذلك ان بريطانيا ستظل تفرض حدوداً تقيد هذه الحقوق، وحتى اذا اقرت بهذه الحقوق الان فليس هناك ضمان في انها ستنفذها، فما تعطيه احدى الحكومات يمكن ان تلغيه الأخرى، ثم من يضمن للأمريكيين انهم اذا وافقوا على الشروط البريطانية الحالية والقوا السلاح، سيستطيعون ، اذا اقتضت الضرورة في المستقبل ، ان يتحدوا من جديد ويستأنفوا كفاحهم ضد التسلط البريطاني.

(1) Alden , Op. Cit., P.230.

هناك فوائد اخرى يجنيها الأمريكيون من الانفصال عن بريطانيا، فالاستقلال يمكنهم من التخلص من قوانين الملاحة والقيود التي تفرضها الحكومة البريطانية على تجارتهم وسيكون بمقدورهم المتاجرة بشكل حر وحسب ما تقتضيه مصلحتهم مع الاقطار الأوربية وغير الأوربية ولهذا فان الاستقلال لن يمكنهم من حماية ثرواتهم فقط بل سيمكنهم من زيادتها ايضاً. وفضلاً عن ذلك فان الاستقلال سيجنبهم ايضاً الانجرار إلى الحروب التي تشنها بريطانيا في اوربا واسيا وافريقيا والكاريبي، دفاعاً عن مصالحها لامصالحهم.

من جانب اخر كان قادة الوطنيين يدركون انهم في صراعهم المرير مع بريطانيا بحاجة إلى حلفاء اقوياء، وكانوا يعتقدون بان فرنسا واسبانيا مرشحتان لان تقوما بهذا الدور، لكن هاتين الدولتين لايمكن ان تقدما على مجابهة مباشرة مع بريطانيا الا اذا تأكدتا من جدية الأمريكيين وتصميمهم على الكفاح ضد بريطانيا ولهذا فان على الوطنيين، اذا ارادوا الحصول على اسناد فعال من هاتين الدولتين، ان يثبتوا لهما تصميمهم هذا عن طريق اعلان الاستقلال.

كان من شأن كل ذلك ان يهيء الجو لتوجه الأمريكيين نحو الانفصال عن بريطانيا. واسهم في تعزيز هذا التوجه بشكل كبير كراس صدر في فيلادلفيا في كانون الثاني ١٧٧٦ ، ولم يلبث ان انتشر بسرعة في جميع المستعمرات ، اصبحت له شهرة واسعة بحيث بلغ ماطبع منه في الاشهر الأولى من عام ١٧٧٦ فقط ١٢٠ ألف نسخة [1] وهو عدد كبير جداً بالقياس إلى ظروف ذلك الوقت.

كان الكراس بعنوان " الادراك السليم " Common Sense كتبه شخص

(1) Fursenko Tam zhe str. 72.

انجليزي اسمه توماس باين [١] Thomas Paine ، كان معروفاً بارائه الديموقراطية حين كان في انجلترا قبل ان يهاجر إلى أمريكا في ١٧٧٤ وينضم إلى الحركة الثورية المعادية للسلطة البريطانية هناك. لقد دعا باين في كراسه الأمريكيين إلى الانفصال عن بريطانيا وانشاء دولة مستقلة خاصه بهم وضمنه سرداً للفوائد التي يمكن ان تنجم عن الاستقلال وهجوماً على نظام الحكم الملكي بشكل عام وعلى الملوك الانجليز ولاسيما جورج الثالث بشكل خاص، وذكر ان " ... الحكومة هي حتى في احسن حالاتها شر لابد منه اما في اسوء حالاتها فهي شر لايطاق " وان الحكم الملكي اسوء من أي حكم اخر بل هو " اهانة وخدعة للاجيال" وفند بالاستناد على تاريخ بريطانيا نفسه، الادعاء القائل بان النظام الملكي الوراثي يؤمن الاستقرار للبلد ويقلل من الصراع الداخلي الذي يقوم بسبب التنازع على السلطة، وحث الأمريكيين على القطيعة مع بريطانيا وانتقد الداعين إلى الوفاق معها وتحدى المدافعين عن ذلك " ان يذكروا فائدة واحدة يمكن لهذه القارة [أمريكا] ان تجنيها من الارتباط ببريطانيا العظمى، انني اكرر التحدي ، ليس هناك فائدة واحدة تنتج عن ذلك " ، واكد ان " مرحلة النقاش قد انتهت " وان " السلاح باعتباره الملاذ الاخير هو الذي يقرر الصراع، والاحتكام اليه كان خيار الملك وقد قبلت القارة التحدي " ، واوضح ان سكان المستعمرات لايدينون بشيء للشعب الانجليزي، واذا كان الانجليز في الماضي قد ساعدوا الأمريكيين أو حموهم فانهم فعلوا ذلك لان فيه مصلحة وفائدة لهم ، وان بامكان الأمريكيين ان يؤسسوا جمهورية راسخة وقدم لهم خطة لاقامة اتحاد بين ولاياتهم مشيراً إلى انهم لايؤمنون بذلك الحرية لانفسهم ويحموها فقط بل يوفروا ايضا

---

(١) لم يضع المؤلف اسمه على الكراس في أول الامر فاعتقد الكثيرون انه من تأليف بنيامين فرانكلين أو غيره من المثقفين الأمريكيين الوطنيين الذين كرسوا جهودهم لقضية الاستقلال.

البشرية كلها ملاذاً ومثلاً يحتذى " لقد جرت مطاردة الحرية في كل الكرة الأرضية، فقد طردتها اسيا وافريقيا منذ زمن بعيد وأوربا تعدها كالغريب ، اما انجلترا فقد انذرتها بالمغادرة . هيا استقبلوا اللاجئ وهيئوا بذلك ملاذاً للجنس البشري" [١].

لقد كان لكراس باين صدى واسع جداً في المستعمرات واثر كبير في شيوع فكرة الاستقلال ورسوخها في اذهان الأمريكيين ." قبل ظهور " الادراك السليم " كان قليل من الوطنيين قد طالبوا بصراحة وبشكل لالبس فيه بالانفصال النهائي عن بريطانيا، وبعد ان خرج من المطبعة اخذ الوطنيون في كل مستعمرة يطالبون بان تفصم كل رابطة باقية معها " [٢].

وهكذا اصبحت فكرة الاستقلال واسعة الانتشار بدرجة لم يسبق لها مثيل، وكان لذلك اثره على المؤتمر الذي اتخذ خطوات مهمة مهدت للاستقلال ، ففي ٦ نيسان ١٧٧٦ قرر فتح الموانئ الأمريكية للتجارة الحرة مع جميع الدول باستثناء بريطانيا ، وفي ١٠ ايار من ذلك العام فوض المؤسسات التشريعية في الولايات بان تؤلف حكومات خاصة بها وان تحافظ على هذه الحكومات ان كانت قد اسستها قبل ذلك، وفي ١٥ ايار صادق رسمياً على تأسيس دول مستقلة عن بريطانيا في الولايات. وعمدت بعض الحكومات التي تشكلت في الولايات إلى استبدال عدد لايستهان به من ممثليها في المؤتمر بآخرين ممن يدعون إلى القطيعة النهائية مع بريطانيا واصبحت ممثلة في المؤتمر على انها دول مستقلة واقرت كل دولة منها دستوراً خاصاً بها. واكدت جميع هذه الدساتير بان الشعب مصدر السلطات والغت الامتيازات التي كان الارستقراطيون مالكو الأرض يتمتعون بها وغير ذلك من المبادئ التقدمية، ولكنها فرضت من ناحية اخرى

---

(1) Thomas Paine, Common Sense, New York, 1997.
(2) Alden, Op. Cit., P.239.

شروطاً مالية على المشاركة في الانتخاب تفاوت مقدارها من ولاية إلى اخرى[١]، إلى جانب بعض السلبيات الأخرى التي تميزت بها تلك الدساتير [٢].

بعد كل هذه التدابير اصبح الانفصال عن بريطانيا واعلان الاستقلال امراً لابد منه لكن المؤتمر تردد في أول الامر في اتخاذ هذه الخطوة الحاسمة لانه كان مايزال بين اعضائه مندوبون يعارضون الانفصال ويطالبون بتأجيل ذلك على امل ان تقدم الحكومة البريطانية شروطاً ملائمة للتسوية. لكن المؤتمر حسم امره اخيراً واقر في ٧ حزيران ١٧٧٦ مشروع قرار قدمه مندوب فرجينيا في المؤتمر ريتشارد هنري لي Richard Henry Lee ، يتألف من ثلاثة بنود يقر الأول بتحرير المستعمرات وتكوينها دولا مستقله عن بريطانيا ويدعو الثاني إلى ضرورة المباشرة فوراً بعقد احلاف خارجية، ويوجب الثالث وضع خطة لانشاء اتحاد كونفدرالي بين هذه الدول. وبعد نقاش عاصف شكل المؤتمر لجنة ضمت بنيامين فرانكلين وجون ادمز وتوماس جفرسون وروبرت لفنكستون Robert Livingston وروجر شيرمان Roger Sherman لصياغة البيان الخاص بقبول الاقتراح وفوضت اللجنة جفرسون بوضع مسودة البيان وقدمت المسودة بعد ان ادخلت عليها بعض التعديلات التي اقترحها كل من فرانكلين وادمز إلى المؤتمر الذي اجرى عليها هو الاخر تعديلات اخرى منها الغاء الفقرة

(١) كان على الشخص في ماساتشيوستس مثلاً ان يمتلك ما قيمته ٦٠ جنيهاً استرلينياً، وهو مبلغ كبير في تلك الايام ، لكي يكون له الحق في المشاركة في الاقتراع. اما في كارولينا الجنوبية فكان على الشخص ان تبلغ ملكيته ٧٠٠٠ جنيهاً استرلينياً لكي يكون من حقه ان يصبح عضواً في مجلس الولاية و ١٠٠٠٠ جنيه استرليني لكي يصبح مؤهلاً لان يكون حاكماً للولاية.

Riegle and Kaugh, Op. Cit., P.101.

(٢) انظر حول ذلك:

Efimov, Tam zhe str. 104.

التي تشجب تجارة العبيد لأنها اثارت معارضة شديدة من جانب مندوبي الولايات الجنوبية وحذف الفقرة التي عدت الاسكوتلنديين مرتزقة اجانب لان بقاءها من شأنه ان يثير غضب الكثير من الوطنيين الذين ينحدرون في اصلهم من شمال بريطانيا. وبعد اجراء هذه التعديلات اقر المؤتمر البيان في ٢ تموز ١٧٧٦ واعلنه في ٤ منه.

استند بيان الاستقلال إلى نظرية الحقوق الطبيعية والعقد السياسي التي جاء بها الفلاسفة الأوربيون ولاسيما البريطانيون فاكد ان الناس " خلقوا متساوين" وخالقهم منحهم حقوقاً طبيعية لايمكن غمطها " منها الحق في " الحياة والحرية والسعي من أجل السعادة " ، وان الحكومة تأسست من اجل حماية هذه الحقوق، حيث قام بين المحكومين وحاكمهم أو حكامهم عقد كان الرعية بموجبه ملزمين بطاعة الحكومة في مقابل حماية هذه الأخيرة لحقوقهم الطبيعية تلك، لكن اذا اظهرت الحكومة بقيامها " بسلسلة طويلة من المظالم والاغتصابات" دليلاً على نيتها في اقامة " استبداد مطلق " فان " من حق المحكومين بل من واجبهم الاطاحة بمثل هذه الحكومة وايجاد حماة جدد لامنهم المستقبلي " وقد فعل ملك بريطانيا الحالي ذلك وسعى باستمرار إلى فرض حكم مستبد على المستعمرات وتاريخه هو " تاريخ مظالم واغتصابات متكررة لها كلها هدف واحد هو فرض طغيان مطلق على هذه الولايات " . ولان ملك بريطانيا فعل ذلك فان الأمريكيين اصبحوا في حل من أي التزام تجاهه وغدوا اناساً مستقلين . اما البرلمان البريطاني فانه لايمتلك اية سلطة على المستعمرات كونه مجرد جمعية تساعد ملك بريطانيا، بواسطة التشريعات التي تصدرها على ارتكاب العديد من اعمال الطغيان. وذكر البيان قائمة طويلة من تلك الاعمال واكد ان سكان المستعمرات كانوا على الدوام يبحثون عن الصلح لكن الصد والابعاد كان نصيبهم كما انهم ناشدوا أخوانهم البريطانيين المساندة دون جدوى ولهذا فان البريطانيين وشعوب

العالم الأخرى هم من الان فصاعداً " اعداء في الحرب، اصدقاء في السلم ".
واختتم البيان بالتأكيد على " ان كل ارتباط سياسي بينها [المستعمرات] وبين بريطانيا العظمى ملغي بالكاية ويجب ان يكون كذلك ، وانها باعتبارها دولا حرة ومستقلة لها السلطة التامة في ان تشن الحرب وتعقد الصلح وتنشئ الاحلاف وتمارس التجارة وتقوم بكل الاعمال والامور التي تقوم بها الدول المستقلة " [١].

لقد كان لاعلان بيان الاستقلال صدى واسع خارج المستعمرات الأمريكية، حيث استقبله التقدميون والثوريون بابتهاج وتعاطف مع الوطنيين الأمريكيين واخذوا يدعون إلى نشر المبادئ التي وردت فيه في جميع انحاء العالم ، واصبح الاعلان والمبادئ التي وردت فيه راية للحركات الثورية وملهما لها في نضالها ضد الحكم المطلق والانظمة الاقطاعية ومحفزاً لها للثورة ضد الظلم والطغيان [٢] .

اما في الداخل فقد عمق اعلان الاستقلال الخلاف القائم بين الوطنيين والموالين وزاد من التناقض القائم بينهما وادى إلى فرز جديد للقوى السياسية في المستعمرات، ذلك انه على الرغم من اقرار المؤتمر لبيان الاستقلال كان هناك فريق من الوطنيين لايؤيدون ذلك ولايعتقدون بحتمية الانفصال عن بريطانيا ويمكن القول ان اعداد الموالين ازدادت بعد اعلان الاستقلال لان عدداً من الوطنيين الذين كانوا قد انضموا إلى معسكر الوطنيين لرغبتهم بالدفاع عن حقوقهم، انسحبوا من ذلك المعسكر بعد اعلان الاستقلال وانضموا إلى معسكر

---

(١) انظر النص الكامل للبيان في:
The Declaration of Independence and the Constitution of the United States Bantam Books, USA, 1998; Speechs and Ducuments in American History, Volum 1 1776-1815, Selected and Edited by Rohert Birley, London 1956, PP.2-6; Sources and Documents … PP. 157-160; Beloff (ed.) Op. Cit., PP.271-276.

(2) Alden, Op. Cit., P.244.

الموالين فشكلوا بذلك كتلة لايستهان بها معادية للقضية الوطنية قد يصل عدد افرادها إلى ربع السكان البيض في المستعمرات الثلاث عشرة [١] .

على الجانب الاخر اشاع اعلان الاستقلال الفرح والابتهاج في معسكر المدافعين المتحمسين عن الحقوق الأمريكية فعبروا عن ذلك باحتفالات بهيجة عمت جميع المستعمرات، غير انه كان عليهم ان يخوضوا صراعاً عنيفاً وحرباً دامية استمرت مدة طويلة مع الموالين ومع الهنود ومع الجيش والاسطول البريطانيين قبل ان يتمكنوا من جني ثمار الاستقلال، فاعلان الاستقلال كان يعني القطيعة التامة مع بريطانيا وانصارها في الداخل الامر الذي حتم على المستعمرات ان تخوض من اجل حماية استقلالها والحفاظ عليه كفاحاً مريراً ضد بريطانيا من جانب وضد انصارها في الداخل من جانب اخر. ولهذا فان الكفاح الذي خاضه الوطنيون الأمريكيون من اجل استقلالهم لم يكن حرباً تحررية فقط بل كان في الوقت نفسه حرباً داخلية وحرباً اهلية تهدف إلى الإصلاح الثوري.

في خضم هذا الصراع تكتل الموالون لبريطانيا والفوا فصائل مسلحة وانضموا إلى القوات البريطانية النظامية وشنوا حرباً ضروساً ضد انصار الاستقلال، أي انهم قاموا بثورة مضادة مارسوا فيها العنف بكل اشكاله ضد الوطنيين. وفي مقابل ذلك مارس الوطنيون عنفاً ثورياً ضد انصار بريطانيا، ففي اذار ١٧٧٦ اتخذ المؤتمر قراراً بنزع سلاح الموالين وفي تشرين الثاني من العام التالي قرر مصادرة أموالهم الامر الذي ترتب عليه نزع ملكية اراضي التاج واراضي الكنيسة الرسمية الانجليزية ومزارع مالكي المستعمرات السابقين، ففقد

---

(١) بلغ عدد الذين ساعدوا بريطانيا اثناء الحرب ما بين ٣٠ و ٥٠ الفاً من الموالين ، كما حارب إلى جانبها عدد من الهنود يفوق عدد الذين وقفوا إلى جانب الوطنيين. وعندما انتهت الحرب غادر المستعمرات إلى كندا والى المستعمرات البريطانية في الهند الغربية ما يقرب من ١٠٠ ألف من الموالين مع افراد عوائلهم.
Efimov, Tam zhe str. P.98.

بذلك آل بالتيمور املاكهم في ميريلاند وعائلة بن اراضيها في بنسلفانيا وصودرت ضياع بيبريل الواسعة في مين وغير ذلك. لقد طالت المصادرة اراض وممتلكات واسعة، ففي فرجينيا مثلاً بلغت مساحة اراضي اللورد فيرفاكس التي صودرت لصالح الثورة خمسة ملايين ايكر، في حين صودرت في كارولينا الشمالية املاك اللورد كرينفيل التي كانت تؤلف ثلث مساحة المستعمرة باجمعها. اما في نيوهامبشير فقد تعرضت للمصادرة املاك ثلاثمائة عائلة من عوائل الارستقراطيين، وبلغت القيمة الإجمالية لاملاك الموالين التي صودرت لصالح الثورة في المستعمرات باجمعها ٤٠ مليون دولار منها ٣٦٠٠٠٠٠ فيما ماصودر في نيويوك وحدها [١].

انيط تنفيذ هذه المصادرات بلجان الامن فكانت هذه اللجان تتعقب كل من يقف سراً أو علناً ضد قضية الاستقلال وتعاقبهم بقسوة. وقد اشتكى الموالون من افعال هذه اللجان واكدوا انها " كانت تضع قوائم وتصدر احكاماً وتفرض عقوبات وغرامات على كل من يحلو لها ان تعده مذنباً، وتفعل كل ذلك ليس بدون قانون فحسب بل خلافاً لاي قانون مهما كان " [٢]. لقد تضمنت " القوائم السوداء " التي وضعتها هذه اللجان اسماء كل من كان يشك في انه يتعاون مع بريطانيا ، ففي بنسلفانيا وحدها ضمت " القائمة السوداء " ٤٩٠ اسماً ، وكان من يتهم بالخيانة في هذه الولاية يحكم عليه بالموت كما كان يعاقب بقسوة كل من يشك في انه معاد للوطنيين، اما في ماساتشيوستس فكان بامكان أي شخص في اثناء الاجتماعات العامة التي كان يعقدها سكان المدينة ان يتهم أي شخص يشك في تعاونه مع العدو واذا ايدت اغلبية المجتمعين هذا الاتهام يقدم الشخص المعني

(1) Fusenko, Tam zhe str. 77; J.F Jamson The American Revolwtion Considerd as a social movement. Boston 1956 P.31; G.H. Van Tyne American Revolution, New York, London 1905, P.264.

(2) Tsit. Fursenko Tam zhe str. 77.

الى المحاكمة ويحكم عليه عادة بالنفي إلى بريطانيا، واذا سولت له نفسه العودة فان نصيبه سيكون الاعدام [١]. وهكذا ادت لجان الامن دوراً مهماً في مكافحة عناصر الثورة المضادة وتمكنت من تقليل الاذى الذي سببوه للثورة بدرجة كبيرة، وكانت عوناً للجيش الأمريكي في الكفاح المرير الذي كان يخوضه ضد القوات البريطانية المتفوقة عليه في العدة والعدد .

العمليات العسكرية في المرحلة الأولى من الحرب ١٧٧٥ – ١٧٧٧ :

لم تحدث بعد معركة بنكرهل معارك كبيرة بين الجانبين وسادت فترة من الهدوء النسبي كانت ضرورية للطرفين لكي ينظما صفوفهما استعداداً للجولات القادمة ، فبالنسبة للأمريكيين كانت هناك عوامل مهمة تعيق كفاحهم ضد البريطانيين وتضع امام نجاحهم في هذا الكفاح عقبات جسيمة يصعب تجاوزها، اولها حالة الجيش المزرية من حيث التنظيم والتدريب والتسليح وافتقاره لكل ما يمكن ان يؤهله للصمود في وجه القوة البريطانية المتفوقة عليه في كل شيء [٢].

وعلى الرغم من ان عدد سكان المستعمرات الثلاث عشرة الذي كان آنذاك يقارب المليونين ونصف المليون نسمة كان كافياً لان تتألف منه قوة عسكرية كافية لمقارعة بريطانيا لاسيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار الصعوبات التي كان البريطانيون يواجهونها بسبب صعوبة نقل القوات عبر الأطلسي، الا ان الاقتصاد الأمريكي لم يكن انذاك مؤهلاً لاسناد قوة عسكرية كبيرة عاملة في الميدان لمدة طويلة كما ان النقص في السلاح والذخيرة ومحدودية انتاجهما كانت تحد من عدد الرجال الذين يمكن الاحتفاظ بهم تحت السلاح . يضاف إلى ذلك ان تجنيد عدد

(1) Fursenko, Op. Cit., P.77.

(٢) انظر حول ذلك:
Riegle and Haugh, Op. Cit., P.106.

كبير من الرجال من شأنه ان ينعكس سلباً على الانتاج الزراعي ويسبب نقصاً في المواد الغذائية اللازمة للجيش وللسكان المدنيين. والاهم من ذلك كله ان الأمريكيين كانوا يفتقرون إلى سلطة مركزية قوية وجهاز حكم مؤهل لتسخير مواردهم المادية والبشرية ذلك ان الدساتير التي اقرت في جميع الولايات الثلاث عشرة كانت قد ركزت السلطة في كل ولاية بيد المؤسسة التشريعية فيها وقلصت سلطة الحكام بشكل كبير، وكان ذلك انعكاساً للشك والحساسية التي كانت سائدة بين السكان تجاه السلطة التنفيذية القوية. وكانت حالة الشك والتحفظ تجاه مركزية السلطة سائدة ايضاً في الموقف من مسألة الاتحاد بين الولايات فالمؤتمر القاري لم يكن في الواقع الا تجمعاً لمندوبين اختارتهم المؤسسات التشريعية في الولايات ولم يكن يمتلك سلطة خاصة به ولاصلاحيات يفرض بها تنفيذ قراراته. لقد كانت سلطته الوحيدة في الواقع العملي " ان يقف وقبعته في يده يستجدي العون من الولايات " (1).

احس الأمريكيون بهذا النقص لكنهم كانوا منقسمين بشأن نوع الحكومة المركزية المراد قيامها، فالديمقراطيون منهم كانوا يريدون حكومة ضعيفة لاتمتلك الحق في فرض الضرائب وليس من صلاحيتها تنظيم التجارة ولا في مقدورها الغاء القوانين التي تصدرها الولايات، اما المحافظون فكانوا يريدون حكومة قوية تستطيع ان تهيمن على التجارة وتدير الشؤون المالية والخارجية وتسيطر على الجيش والبحرية، وكانوا يريدون لها ان تكون قوية بما يكفي لكبح الحركة الشعبية والسيطرة عليها. وفي الوقت الذي تفوق فيه المحافظون في الولايات فاقاموا فيها حكومات تتمتع بالسلطة في كل وجوهها كانت الارجحية للديموقراطيين في المؤتمر الذي اقر في ١٥ تشرين الثاني عام ١٧٧٧ وبعدما يزيد على السنة من النقاش والاخذ والرد خطة للاتحاد بين الولايات اطلق عليها

(1) Riegle and Haugh, Op. Cit., P.103.

اسم " بنود الاتحاد " Articles of Confederation وارسلها إلى الولايات لفرض المصادقة عليها لتكون أول دستور للولايات المتحدة.

اقامت هذه البنود بين الولايات اتحاداً كونفدرالياً باسم " الولايات المتحدة الأمريكية " احتفظت فيه كل ولاية بالحق في فرض الضرائب الكمركية ضمن حدودها والحق في ان تكون لها قوات مسلحة برية وبحرية خاصة بها. اما المؤتمر الذي كان لكل ولاية، باعتبارها دولاً مستقلة ، صوت واحد فيه فلم يكن له صلاحية عقد معاهدات تجارية ، وفرض تعريفات كمركية، كما ان أي قانون كان يصدره فيما يتعلق بالشؤون العامة كتأليف القوات المسلحة بشقيها البري والبحري وسك العملة وعقد القروض يتوجب من أجل ان يصبح نافذ المفعول ان توافق عليه تسع ولايات من الثلاث عشرة المشتركة في الاتحاد. ولم يكن المؤتمر سلطة لاجبار الولاية التي ترفض القانون على قبوله، كما لايدخل في صلاحياته فرض الضرائب بل كان بامكانه ان يطلب المال من الولايات. ومع ان المؤتمر كان بامكانه ان يعقد المعاهدات الا ان الارجحية كانت للاتفاقات التي تعقدها الولايات (1).

وعلى الرغم من ضعف هذه البنود فان العديد من الولايات عارضتها ورفضت في البداية اقرارها. وقد طالت عملية الاقرار هذه ولم تنته الا في عام ١٧٨١. وظل المؤتمر خلال هذه المدة يعمل على الرغم من عدم امتلاكه سلطة شرعية حقيقية.

وهكذا فان الصلاحيات التي منحتها بنود الاتحاد للمؤتمر لم تكن كافية لتمكينه من ادارة الحرب بكفاءة، إذ لم يكن بمقدوره فرض الضرائب أو تجنيد

(1) انظر النص الكامل لبنود الاتحاد في:
Speechs and Dacuments in American History ... PP.7-17; Sources and Documents ... PP.178-186.

المقاتلين بشكل مباشر بل كل ما كان يستطيع القيام به هو ان يعين حاجة الاتحاد للقوات والاموال ويحدد الحصة التي على كل ولاية ان تدفعها حسب ثروتها وعدد السكان فيها. لكن الولايات نادراً ما كانت تؤدي حصتها من المال والرجال كاملة . لذا فان " المالية كانت النقطة الأضعف في البنية الحكومية الضعيفة بشكل عام " [1] . ولهذا فقد اضطرت الظروف المؤتمر والولايات إلى التوسع في اصدار النقود الورقية الأمر الذي ادى مع الوقت إلى حدوث حالة من التضخم الكبير وهبوط قيمة تلك النقود مما حد بدرجة كبيرة من قدرة المؤتمر والولايات على الإيفاء بمصاريف الحرب بشكل كاف.

من ناحية اخرى كان الجيش الأمريكي نفسه يعاني من نواقص خطيرة . لقد تألف الجيش على اساس التطوع واعتمد في تأمين مقاتليه مبدأ التوزيع حيث كان على كل ولاية ان تقدم عدداً معيناً من المقاتلين . وكان المجندون في أول الامر يتسلمون رواتب نقدية مقابل خدمتهم في الجيش أصبحت فيما بعد نقدية وعينيه بسبب شحة النقود التي كانت تؤدي في بعض الاحيان إلى عدم دفع رواتب المقاتلين لفترات طويلة . وكان الجيش شأنه شأن سكان الولايات المتحدة متنوعاً في بنيته القومية ففيه الانجليز والاسكوتلنديون والايرلنديون والألمان والهولنديون والفرنسيون وبضعة الاف من الزنوج، كما ان عدداً من القبائل الهندية حارب إلى جانب الأمريكان ضد البريطانيين. لقد رفض واشنطن في البداية دعوة الزنوج إلى الجيش لكن الهزائم التي مني بها الجيش في ١٧٧٦-١٧٧٧ اضطرته إلى العدول عن موقفه هذا فتشكلت في العديد من الولايات افواج من الزنوج وعد المنتسبون اليها بمنحهم الحرية [2]. لقد عانى الجيش من ارتباك واضح في الادارة والتجهيز من التوزيع الحاصل في الصلاحيات بين

(1) American Military History, P.48.

(2) Efimov, Tam zhe str. P.106.

المؤتمر والولايات . فالولايات كانت بموجب " بنود الاتحاد " مسؤولة عن تجنيد المقاتلين في الجيش القاري وعن التنظيم الأولي لهم وتجهيزهم وعن تعيين الضباط حتى مرحلة كولونيل داخل، اما المؤتمر فكان يصدر الاوامر بمنح الرتب للضباط الذين تختارهم الولايات وتعيين كبار الضباط . وحين يكون الجيش في الميدان يكون المؤتمر هو المسؤول عن ادارته وتجهيزه بشكل رئيس، لكن المؤتمر لم يكن له أي سيطرة على المليشيا على الرغم من انه كان يقوم ، في الغالب ، بتنظيم عملية تجهيز وادارة قوات المليشيا العاملة مع الجيش [1].

لكن على الرغم من هذه النواقص المهمة كان معسكر الوطنيين يتمتع بافضليات ملحوظة فبالرغم من كثرة الموالين نسبياً وتركزهم بكثافة في مواضع معينة كان الوطنيون قادرين على الاستيلاء على الحكم المحلي والاحتفاظ به إلى ان يأتي الجيش البريطاني فيستعيده منهم لكنهم سرعان ما يستعيدون السيطرة عليه بعد مغادرة ذلك الجيش. إلى ذلك كان الجيش الأمريكي يلقى مساعدة قيمة من المليشيا التي كانت تشن حرب عصابات ناجحة وفعالة ضد البريطانيين. والاهم من كل ذلك ان الأمريكيين كان يشدهم حماس ثوري يدفعهم إلى النضال باستبسال في الوقت الذي كان فيه الجنود البريطانيون يقاتلون في حرب اهدافها غريبة عليهم وغير مفهومه لهم. فضلاً عن ذلك كان الجيش الأمريكي يمتلك تفوقاً كبيراً في تكتيك ادارة الحرب يقوم على تجنب المعارك الكبيرة قدر الامكان وتوجيه ضربات صغيرة مفاجئة للعدو، كما انه استخدم في المعارك تكتيكاً جديداً يقوم على نشر القوات اقتبسه من الهنود في حين اعتمد البريطانيون تكتيك الصفوف الذي تقادم عهده. وهناك ميزة مهمة اخرى للجانب الأمريكي هي ان الأمريكيين لم يكونوا يمتلكون أي عاصمة أو أي مدن كبيرة يمكن ان تكون رمزاً وطنياً للبلاد ومركزاً للتجارة والصناعة والادارة، الامر الذي ترتب عليه

(1) American Military History ... P. 49.

افضليات ملحوظة للجانب الأمريكي في الصراع ، " ان في سقوط مدينة مثل "لندن" أو " باريس " في حرب من الحروب اشارة واضحة للهزيمة التي لابد ان تحيق في النهاية بانجلترا أو فرنسا، ولكن مدناً مثل " بوسطن " أو " نيويورك " أو " فيلادلفيا " يمكن ان تقع في قبضة الانجليز دون ان يترك سقوطها أي اثر خطير على قضية تحرير المستعمرات " [(١)] . وبالفعل فقد سقطت فيلادلفيا مقر المؤتمر القاري خلال الحرب بيد البريطانيين كما سنرى دون ان يؤثر ذلك كثيراً على الجانب الأمريكي. يضاف إلى كل ذلك ان الأمريكيين كانوا يحظون بمساعدات قيمة في المال والسلاح من فرنسا قبل ان تتحول هذه المساعدات إلى اسهام مباشر في الحرب من جانب فرنسا، كما ان العديد من الضباط الأجانب ذوي الخبرة القتالية الجيدة تطوعوا لاسباب مختلفة للقتال إلى جانب الأمريكيين وعينوا في مواقع مهمة في الجيش الأمريكي وأدوا له خدمات كبيرة حقاً.

اما البريطانيون فقد كانوا يعانون من مشاكل تحد لدرجة كبيرة من قدرتهم على مواجهة الثوار، فإلى جانب بعد المسافة بين بريطانيا ومسرح العمليات في أمريكا وقلة عدد القوات الموجودة آنذاك في المستعمرات وحتمية ابقاء جزء لايستهان به من تلك القوات في كندا للدفاع عنها كانت هناك مشاكل تتعلق بالقيادة بحيث استدعي الجنرال كيج إلى بريطانيا بحجة المساعدة على وضع الخطط للحملة القادمة [(٢)] وحل محله الجنرال وليم هاو في خريف ١٧٧٥ وصدرت لهذا الاخير تعليمات تقضي بالانتظار لحين وصول تعزيزات كبيرة من بريطانيا.

---

(١) دان ليسي، الثورة الأمريكية دوافعها ومغزاها. ترجمة سامي ناشد، الجزء الثاني، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص٢١.

(٢) كان هناك كلام يقال بحق الجنرال كيج مفاده انه كان يتعاطف سراً مع سكان المستعمرات الثائرين.

لكن هذه التعزيزات لم تصل الا في صيف ١٧٧٦ حين ارسلت الحكومة البريطانية جنوداً مرتزقة استأجرتهم بموجب عقود خاصة من الامارات الالمانية ولاسيما امارة هسن التي استأجرت منها ١٢ الف مقاتل دفعت في مقابل كل واحد منهم ٣٠ كروناً بالاضافة إلى ٤٥٠ ألف كرون لاعالة الفيلق الذي الفوه. لقد الف هؤلاء الدفعة الأولى من المقاتلين الذين ارسلتهم الحكومة البريطانية لمواجهة الثوار توالت بعدها دفعات اخرى بحيث بلغ عدد القوات البريطانية التي ارسلت لقتال الثوار في سنوات الحرب الثمانية ٩٠ ألف مقاتل يساندهم ٣٠-٥٠ الفاً من سكان المستعمرات الموالين وبعض القبائل الهندية ولاسيما تلك التي كانت قد فقدت اراضيها [(١)].

وهكذا كان لدى الجانبين في هذه المرحلة ما يدعوهما إلى تجنب مواجهة واسعة فلم تجر في البداية عمليات عسكرية تستحق الذكر، لكن الموقف في بوسطن لم يلبث ان تغير لصالح الوطنيين في شباط ١٧٧٦ بعد الجهود التي بذلت لتعزيز الجيش الأمريكي وزيادة قوته بحيث اصبح يتألف مع المليشيا من حوالي ١٤٠٠٠ مقاتل [(٢)] وبعد وصول المدافع التي جرى الاستيلاء عليها في حصن تيكوندروكا . لهذا قرر واشنطن القيام بعمليات هجومية فعمد في ٤ أذار ١٧٧٦ إلى احتلال مرتفعات دورتشستر التي تشرف على مدينة بوسطن وبذلك جعل البريطانيين في المدينة في وضع حرج إذ اصبحت مدافعه تطول الأسطول البريطاني والقوات البريطانية الموجودة في المدينة في حين لم تكن قذائف المدافع البريطانية قادرة على الوصول إلى قمة تلك التلال . وقد جعل ذلك الجنرال هاو يفكر باحتلال تلك التلال واصدر بالفعل امراً بذلك لكنه عاد وتراجع عنه لانه رأى بعد تفكير ان من غير الصحيح المخاطرة بمعركة اخرى قد تكون

---

(1) Efimov, Tam zhe str. 107.

(2) American Military History, P.41.

مثل معركة بنكرهل أو اسوء بالنسبة للبريطانيين لالشيء الا للبقاء في بوسطن مدة اطول قليلاً ، وقرر بدلاً من ذلك اخلاء بوسطن وتمكن من التوصل مع واشنطن إلى اتفاق حول ذلك فابحر بمرافقة الأسطول في ١٧ أذار مصطحباً معه ١١٠٠ من الموالين إلى هاليفاكس التي اصبحت الان مركز تحشد القوات البريطانية [١].

تزامن هذا النصر مع انتصارات اخرى احرزها الوطنيون ايضاً في المستعمرات الجنوبية استطاعوا بنتيجتها ان يجبروا البريطانيين والموالين لهم على اخلاء فرجينيا والكاروليناتين [٢] . كذلك كان الوضع في المستعمرات الوسطى مواتياً للوطنيين ايضاً إذ لم تكن القوات البريطانية والموالون لها هناك تشكل أي خطر عليهم انذاك ، لاسيما وان كيج كان قد سحب جميع القوات البريطانية من نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا من اجل الاحتفاظ ببوسطن.

بعد اخلاء البريطانيين لبوسطن تحول انتباه الجانبين الأمريكي والبريطاني نحو نيويورك ادراكاً منهما لموقعها الستراتيجي المهم إذ انها تحتل موقعاً وسطاً بين نيوانجلند والمستعمرات الأخرى الواقعة إلى الجنوب منها كما ان مقتربات البحر فيها ملائمة جداً لانزال برمائي يمكن ان يقوم به البريطانيون فيؤلفون بذلك خطراً كبيراً على الوطنيين واذا استطاعوا الاستيلاء عليها وعلى وادي الهدسن فانهم سيفصلون نيوانجلند عن بقية المستعمرات الثائرة " اذا كان هناك أي سبيل ستراتيجي يستطيع البريطانيون بواسطته احراز النصر فانه سيكون عن طريق السير من نيويورك صعوداً في نهر الهدسن والانضمام إلى القوات البريطانية الهابطة جنوباً من كندا عبر سلسلة البحيرات وبذلك تنفصل

(1) Alden, Op. Cit. PP.189-190; Morison, Op. Cit., P.239.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في :
Alden, Op. Cit., PP.190-193.

نيوانجلند عن بقية البلاد " [١] . يضاف إلى ذلك ان نيويورك يمكن ان تصبح قاعدة انطلاق للتقدم نحو فيلادلفيا مقر المؤتمر القاري.

لهذه الأسباب ولوجود الكثير من انصار بريطانيا في ولاية نيويورك ومنهم العديد من التجار المرتبطين اقتصادياً ببريطانيا قام واشنطن في نيسان وايار ١٧٧٦ بنقل الجزء الأغلب من قواته من بوسطن إلى نيويورك . لقد كان عدد هذه القوات مع المليشيا حين وصلت إلى نيويورك حوالي عشرة الاف مقاتل لكنها بفضل الجهود التي بذلها المؤتمر وحكومات الولايات المجاورة ازدادت وبلغت حين بدأت معركة نيويورك في ٢٦ آب ١٧٧٦ مايزيد على ٢٠٠٠٠ مقاتل وهو اعلى عدد حارب تحت قيادة واشنطن الشخصية في أي وقت اثناء الحرب، لكن اغلب هؤلاء كانوا اما من المليشيا أو من رجال جندوا حديثاً لم يتعودوا على الضبط ولم ينالوا ما يكفي من التدريب، لكنهم كانوا مجهزين بكمية كبيرة من الذخيرة كانت قوة بحرية أمريكية مكونة من سبع سفن تجارية جرى تحويلها إلى سفن حربية قد استولت عليها في اذار ١٧٧٦ من ناساو في البهاما[٢].

في مقابل ذلك استطاع القائد البريطاني وليم هاو ان يجلب من هاليفاكس ومن بريطانيا قوة بلغ تعدادها ٣٢٠٠٠ مقاتل من النظاميين الانجليز والمرتزقة الهسيين المدربين جيداً يسندهم الاسطول البريطاني الذي كان يقوده اخوه الاميرال ريتشارد هاو.

بدأ القتال في ٢٦ آب ١٧٧٦ وخلال المعارك التي استمرت حتى حلول الشتاء [٣] ، اضطر الأمريكيون إلى اخلاء مدينة نيويورك التي احتلها

(1) American Military History,P.52.

(2) Morison, Op. Cit., P.220.

(٣) انظر تفاصيل ذلك في:
American Militory History, PP.54-57; Morison, Op. Cit., PP.240-241.

البريطانيون في ايلول من ذلك العام واصبحت قاعدتهم الرئيسية في أمريكا حتى نهاية الحرب لكن محاولاتهم التوغل في داخلية الولاية باءت بالفشل [1].

لكن القوات الأمريكية كانت تعاني من سلبيات كثيرة ليس اهمها الفرار من الخدمة وتفشي الامراض ومغادرة افراد المليشيا وتخليهم عن القتال. ومما عقد الامور أكثر ان مدة الخدمة حسب شروط التجنيد انتهت بالنسبة لاغلبية افراد الجيش في ١٧٧٦ . لهذا واجهت واشنطن مهمة اعادة تأليف الجيش القاري فأخذ يلح على المؤتمر لتحقيق ذلك. وامام حراجة الموقف قرر المؤتمر في ٢٦ كانون الأول ١٧٧٦ تخويله سلطة تأليف قوات اضافية ومنحه صلاحيات واسعة لمدة ستة أشهر تعطيه الحق بتعيين واقصاء الضباط ومصادرة الممتلكات الخاصة وفرض الاحكام العرفية.

استطاع واشنطن في الايام الاخيرة من عام ١٧٧٦ ان يحشد ٧٠٠٠ مقاتل قرر ان يشن بهم هجوماً على ترنتون بعد ان وصلته اخبار مفادها ان الحامية هناك التي كانت تتألف من الهسيين لايتجاوز تعدادها ١٤٠٠ رجل وان قائدها يميل كثيراً إلى شرب الخمر لحد السكر الشديد ويهمل امور الامن. وقد شجع ذلك واشنطن فبدأ هجومه قبل فجر ٢٦ كانون الأول بساعة واستطاع بعد ساعة ونصف فقط ان يجبر الهسيين على الاستسلام دون ان تخسر قواته سوى رجلين ماتا متجمدين من شدة البرد وأربعة جرحى في مقابل قتل حوالي ثلاثين مقاتلاً واسر ٩١٨ من الاعداء والاستيلاء على ١٢٠٠ قطعة سلاح وستة مدافع[2].

بعد بضعة ايام منحها واشنطن لمقاتليه للراحة والاستجمام عاد مرة اخرى إلى تحشيد قواته وهدفه هذه المرة الاستيلاء على تجهيزات البريطانيين

(1) Efimov, Tam zhe str. 108-109; Morison, Op. Cit., P.245.
(2) American Military History P.61; Morison, Op. Cit., PP.243-244.

في برنستون Princeton ونيوبرونزويك New Brunswick . وكان القائد البريطاني في نيوجرسي كورنواليس Cornwallis قد حشد مايقرب من ٦٠٠ مقاتل لمواجهته لكنه رأى ان يريحهم لبضعة ايام قبل المواجهة فاستغل واشنطن ذلك واستطاع بحركة خداع بارعة ان ينسل بقواته ليلاً باتجاه برنستون والتقى على بعد ميلين منها بفوجين من القوات البريطانية كانا قد غادرا برنستون للانضمام إلى قوات كورنواليس فانقض عليهما والحق بهما خسائر جسيمة واجبرهما على التراجع بلا نظام واستولى على برنستون، لكن واشنطن بدلاً من ان يواصل التقدم نحو نيوبرونزويك عمد ، تلافياً لاحتمال تطويق القوات البريطانية له من الخلف ورغبة في اراحة جنوده، إلى التحرك باتجاه الشمال نحو موريستاون Moristown لكي يحتمي بالتلال والغابات الموجودة هناك من أي هجوم قد تقوم به القوات البريطانية ولكي يستفيد من ميزات ذلك الموقع التي تمكنه من مجابهة أي تقدم يقوم به البريطانيون صعوداً في نهر الهدسن أو براً باتجاه فيلادلفيا. لكن البريطانيين كانوا على مايبدو قد اتعبتهم حرب الشتاء فعمد قائدهم هاو إلى سحب الاغلبية الساحقة من قواته من نيوجرسي.

عززت هذه الانتصارات ثقة الأمريكيين بانفسهم وبجيشهم وقائده وزادتهم ايماناً بقضيتهم وكان لذلك اهمية كبيرة بعد الخسارة الكبيرة التي تكبدوها باستيلاء البريطانيين على مدينة نيويورك وبعضاً من المنطقة المحيطة بها. وقد انعكس ذلك ايجابياً على عملية التجنيد في الجيش والتطوع في المليشيا، كما استولى الأمريكيون نتيجة لهذه الانتصارات على تجهيزات عسكرية قيمة من البريطانيين واستطاعوا ان يحرروا جزءاً كبيراً من نيوجرسي، واصبحوا في موقع افضل في صراعهم مع الموالين الذين كانوا مايزالون يتواجدون في بعض الانحاء.

مع ذلك استقبل الأمريكيون العام ١٧٧٧ وجيشهم يعاني من صعوبات ملحوظة مازالت قائمة تتعلق بالتجنيد وتفشي الامراض والهروب من الخدمة

والاستياء الذي عم الكثير من الضباط لقلة رواتبهم وخيبة املهم بسبب التعيينات والترقيات التي اجراها المؤتمر وحكومات الولايات. وقرر البريطانيون استغلال هذه الاوضاع والقيام بعمل حاسم لانهاء الحرب ووضعوا لذلك خطة تقضي بتطويق نيوانجلند وعزلها ، فقد كان لهم آنذاك في أمريكا الشمالية مجموعتان من القوات ترابط احداهما في نيويورك بقيادة الجنرال هاو وتتمركز الثانية في كندا بقيادة الجنرال برغوين الذي كان قد حل محل القائد السابق كارلتون فكانت الخطة تقضي بان تقوم القوات البريطانية المرابطة في نيويورك بعمليات عسكرية ضد جيش واشنطن وتتقدم باتجاه الشمال في نفس الوقت الذي تبدأ فيه القوات المتمركزة في كندا هجوماً باتجاه الجنوب بحيث ينتهي الامر بالتقاء القوتين في الباني Albany فيتم بذلك تطويق نيوانجلند وعزلها عن بقية الولايات.

استناداً إلى ذلك بدأ برغوين في حزيران ١٧٧٧ بالتقدم من كندا جنوباً على افتراض ان هاو سوف يتحرك بقواته شمالاً لملاقاته، لكن هاو مستنداً على تعليمات من وزارة الحرب البريطانية تأمره بان يرسل قوة كبيرة صعوداً في نهر الهدسن لملاقاة برغوين في الباني وتنصحه في الوقت نفسه بارسال القوة الأكبر من جيشه إلى فيلادليفيا، ابقى حامية صغيرة للدفاع عن نيويورك ووجه الجزء الأكبر من جيشه نحو فيلادلفيا وليس الزحف صعوداً على طول نهر الهدسن معتقداً ان ذلك من شأنه ان يرغم واشنطن على تحريك الجيش الأمريكي الاساس نحو الجنوب فيخف بذلك الضغط عن برغوين ويتحقق الهدف من وراء الزحف شمالاً، كما ان ذلك قد يحقق له هدفاً اخر كان يسعى اليه هو جر واشنطن إلى معركة كبيرة كان الاخير يتجنبها [١].

(١) دان ليسي، المصدر السابق، ص ٢٨؛ Morison, Op. Cit., PP.245-246.

بعد فترة استغرقت كل ربيع واكثر صيف ١٧٧٧ قضاها الجانبان في مناورات غير مثمرة استأنف هاو تقدمه باتجاه فيلادلفيا وتصدى له واشنطن فقامت معركة اضطر الأمريكيون بنتيجتها إلى التراجع إلى تشستر Chester وواصل هاو تقدمه إلى ان دخل فيلادليفيا في ٢٦ أيلول ١٧٧٧ دون مقاومة [١] وكان المؤتمر قد غادرها قبل ذلك إلى داخلية بنسلفانيا ثم استقر أخيراً في قرية يورك.

توالت بعد ذلك الاندحارات على جيش واشنطن ففي ٣ تشرين الأول خسر الأمريكيون معركة جرمانتون Germanton واضطروا إلى التراجع بلا نظام. وفي الشهر نفسه تمكن هاو بالتعاون مع أخيه قائد الاسطول البريطاني من تدمير التحصينات التي اقاموها في ديلاوير واستأنف في كانون الأول تقدمه نحو وايتمارش Whitemarch التي كان واشنطن قد انسحب اليها بعد معركة جرمانتون، لكنه لم يلبث ان عدل عن ذلك وعاد لقضاء فصل الشتاء في فيلادلفيا اما واشنطن فقد توجه إلى فالي فورج Valley Forge وهي منطقة تلال وغابات يسهل الدفاع عنها وتساعد على احباط أي مسعى يقوم به البريطانيون للتقدم غرباً.

في الوقت نفسه الذي كان فيه الجنرال هاو يتقدم في بنسلفانيا كان برغوين هو الاخر يزحف من كندا على رأس ٤٠٠٠ من الجنود البريطانيين النظاميين و ٣٠٠٠ من الالمان و ١٠٠٠ من المليشيا الكنديين والهنود وتمكن في البداية من تحقيق بعض الانتصارات منها الاستيلاء على تيكوندروكا في ٢٧ حزيران [٢] ١٧٧٧ لكن الوطنيين الحقوا به هزيمة كبيرة في بننكتون Bennington في ١٦ آب افقدته ما يقرب من عشر القوات التي كانت تحت

(1) American Military History … P. 66-67.
(2) Morison, Op. Cit., P.246.

قيادته [١]. هنا أصبح امامه خياران: اما ان يواصل التقدم ويحقق نصراً حاسماً يصل بنتيجة إلى الباني أو يتراجع إلى تيكوندروكا ، فاختار التقدم وعبر في ١٣-١٤ ايلول نهر الهدسن باتجاه موضع ساراتوغا Saratoga واخذ يستعد للتقدم نحو المواقع الأمريكية.

في الوقت الذي كان فيه برغوين يجهل الموقع الذي حل فيه والمنطقة المحيطة به لان اغلب الهنود الذين كانوا معه والذين كانوا يعرفون المنطقة جيدا قد هربوا من الخدمة وكانت استخباراته وخط امداداته وتموينه سيئة، كانت القوات الأمريكية التي تجابهه قد حصلت فيها تغييرات ايجابية مهمة ففي ١٩ اب ١٧٧٧ عين لها قائد جديد هو الجنرال هوراشيو كيتس Horatio Gates كما انضمت اليها في هذه الاثناء قوات من المليشيا من نيوانجلند ومن نيويورك كما انضم اليها الجنرال ارنولد وفوج من المحاربين القدماء المتمرسين من الرماة حملة البنادق ارسلهم واشنطن ، وبذلك مال توازن القوى من حيث العدد لصالح الأمريكيين الذين وضعوا لمجابهة برغوين ٧٠٠٠ مقاتل مقابل قواته التي لم يتجاوز عددها ٦٠٠٠ مقاتل علماً بان اعداد الأمريكيين كانت تتزايد مع الوقت.

تقدم برغوين لاحتلال مرتفعات بيمز Bemis Heights الواقعة إلى الجنوب من ساراتوغا والتي كان الامريكيون قد اتخذوها موقعاً لهم، لكن القوات الأمريكية تصدت له وهو في الطريق. ومع انها اضطرت إلى التراجع بعد هذه المواجهة الا انها الحقت بالبريطانيين خسائر قدرت بضعف خسائرها وكما ان مواقعها في مرتفعات بيمز ظلت سالمة [٢].

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في:
American Military History ... P. 73.

(٢) Ibid. P. 74.

واصل برغوين سعيه لاحتلال مرتفعات بيمز فتقدم بقواته في ٧ تشرين الأول في محاولة لجس النبض ومعرفة نقاط الضعف في الموقف الأمريكي ، لكن الأمريكيين تصدوا لهم واجبروهم على التراجع بعد ان كبدوهم خسائر قدرت بخمسة اضعاف خسائر الأمريكيين.

بعد هذا الفشل انسحب برغوين إلى موقع بالقرب من ساراتوغا، وهناك حاصره الأمريكيون وقطعت المليشيا عليه طريق الهرب فاضطر ومعه ستة جنرالات و ٣٠٠ ضابط اخر وحوالي ٥٥٠٠ مجند إلى الاستسلام في ١٧ تشرين الأول، وقد منحه كيتس شروطاً جيدة للاستسلام حيث سمح لقواته بان تعود إلى انجلترا بشرط ان لاتعود للخدمة مجدداً [١]. لقد كان ذلك نصراً مشهوداً للأمريكيين سجل الفضل فيه لكيتس رغم ان الذي ادى الدور الرئيس فيه كان الجنرال ارنولد الذي بدأ لهذا السبب يفكر بان الملك البريطاني سوف يكون أكثر تقديراً لمواهبه من المؤتمر.

لقد كان للنصر الذي احرزه الأمريكيون في ساراتوغا انعكاسات ايجابية غاية في الأهمية على القضية الأمريكية فقد تم بنتيجة القضاء على جزء مهم من الجيش البريطاني واستولى الأمريكيون على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر وقضوا على احتمال تقدم البريطانيين من كندا جنوباً لفصل الولايات الأمريكية إلى جزئين منفصلين، والاهم من ذلك كله ان معركة ساراتوغا قضت على تردد فرنسا واقنعت الحكومة الفرنسية بالدخول في الحرب إلى جانب الأمريكيين فبادرت إلى الدخول معهم في مفاوضات من اجل ذلك.

---

(1) Morison, Op. Cit., P.249.

الفصل الثامن

العلاقات الخارجية واتساع نطاق الحرب

كان لابد للنزاع بين بريطانيا ومستعمراتها ان يجذب انتباه الدول الأوربية الأخرى التي اخذت حكوماتها تراقب باهتمام سير الحرب الجارية في أمريكا الشمالية . وكانت الحكومة الفرنسية أكثر تلك الحكومات اهتماماً بما يجري هناك، ففرنسا التي حاقت بها في حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) هزيمة ساحقة فقدت بنتيجتها مناطق واسعة كانت تمتلكها في أمريكا واهتزت مكانتها الدولية وتراجع نفوذها [١]، جهد ساستها بعد انتهاء تلك الحرب في العمل على تلافي اثار تلك الهزيمة واستعادة مكانة بلادهم الدولية واضعاف خصمهم اللدود بريطانيا. ولتحقيق ذلك ركز الدوق شوازيل Choiseul ، المسؤول عن ادارة السياسة الخارجية لفرنسا اثناء حرب السنوات السبع وبعدها، جهوده على تحقيق هدفين عدهما اساسيين ، الأول اعادة تنظم الجيش الفرنسي والبحرية الفرنسية وتعزيزهما والثاني بناء علاقات ودية مع الدول الأوربية الأخرى. ولتحقيق هذا الهدف الاخير سعى إلى المحافظة على الأحلاف الدفاعية المعقودة مع النمسا واسبانيا والى اقامة علاقات ودية جهد الامكان مع بروسيا لكي يعيقها عن التحالف مع بريطانيا، كل ذلك من اجل اطلاق يد فرنسا في شن الحرب على

---

(١) انحسر النفوذ الفرنسي امام التفوق البريطاني في البر والبحر وتراجعت مكانتها الدولية بسبب النتيجة التي آلت اليها حرب السنوات السبع لدرجة ان السفير البريطاني كان كنوع من التأكيد على التفوق البريطاني ، " يصر في الاحتفالات الرسمية التي تقام في أي دولة على ان يدخل قبل السفير الفرنسي " .

Samuel Flagg Bemis, Adiplomatic Hisory of the United States, Fourth Edition, New York 1955, P.17.

بريطانيا لوحدها. وبعد ان تم له ذلك اخذ يبحث عن أي فرصة يمكن ان يستغلها لشن تلك الحرب. وعندما قام النزاع بين بريطانيا ومستعمراتها في أمريكا الشمالية رأى فيه شوازيل فرصة محتملة لتحقيق هذا الهدف فبادر إلى ارسال عدد من المراقبين إلى أمريكا سراً، ليتعرف بدقة على اهداف المستعمرات ومدى جديتها في تحقيق تلك الاهداف. ووصلته من بعض هؤلاء المبعوثين السريين تقارير مشجعة تشير إلى تزايد الخلاف وتعمقه بين الحكومة البريطانية وسكان المستعمرات. لكن فترة من الهدوء المؤقت اعترت هذا النزاع جعلته يقتنع بان تمرداً يمكن استغلاله لتحقيق الهدف الذي يسعى اليه لن يحدث في المدى المنظور ، ثم لم يلبث هو ان ترك منصبه عام ١٧٧٠ .

حلت الفرصة المنتظرة في عهد الكونت فرجن Vergennes وزير الخارجية الجديد الذي تولى المنصب في عهد لويس الرابع عشر (١٧٧٤-١٧٩٢). وكان هذا سياسياً حاذقاً وذكياً يتمتع بقابليات دبلوماسية مشهودة ساعدته إلى جانب مرونته وسعة افقه ووجود تطابق حقيقي في المصالح بين فرنسا ودول أوربية اخرى كانت تسعى لتقويض النفوذ البريطاني وبينها وبين الولايات المتحدة على ان يحقق نجاحاً ملحوظاً في تحقيق الأهداف التي كان يسعى اليها.

كان فرجن يسعى لتحقيق ذات الأهداف التي سعى اليها شوازيل لكنه كان أكثر حذراً في اجراءاته وسلوكه من هذا الاخير، ولهذا فانه في البداية حين تولى منصبه عام ١٧٧٤ لم ير في الاحداث التي كانت تجري في أمريكا الشمالية فرصة مناسبة لتحقيق ماكان يسعى اليه. لكن تطور الاحداث من جهة والدور الذي اداه بومارشيه Beaumarchais من جهة اخرى جعله يغير رايه ويباشر بالسعي جاهداً لاستغلال النزاع للانتقام من بريطانيا وإذلالها.

كان بومارشيه هذا شخصية ادبية كبيرة مشهورة على النطاق العالمي

عرفته الأوساط الثقافية مؤلفاً للمسرحيتين المشهورتين " حلاق اشبيلية " و "زواج فيجارو" وقد فتحت له مواهبه المتعدده باعتباره ساعاتياً ماهراً وموسيقياً حاذقاً وما يمتلكه من ذكاء وقاد وموهبة ادبية فذة ابواب البلاط الفرنسي فاصبح واحداً من ابرز اصحاب الحظوة فيه. ان شخصية بومارشيه ومشاركته الفعالة في حملة مساندة المستعمرات الأمريكية الثائرة امر له دلالته فيما يتعلق بتشخيص الأوساط الاجتماعية الفرنسية التي شاركت في هذه الحملة، فاذا ما كان شوازيل وفرجن وغيرهما من اوساط البلاط الفرنسي يمثلون وجهة نظر الارستقراطية الفرنسية الحاكمة فان بومارشيه المنحدر من الطبقة الثالثة والمؤمن بالافكار التقدمية التي نادى بها دريدرو وفولتير وغيرهما من مفكري البرجوازية كان يجسد موقف الأوساط البرجوازية الديموقراطية في فرنسا " ففي عصر كانت فيه الحركة الديموقراطية تتنامى في فرنسا والثورة البرجوازية تنضج بدت حرب الاستقلال في أمريكا في عيون البرجوازية الفرنسية، قبل أي شيء اخر، تحدياً شجاعاً للطغيان ومثلاً يستحق الاحتذاء "[1]، يضاف إلى ذلك ان مساعدة الأمريكيين كانت بالنسبة لبومارشيه وشركائه في الرأي من اصحاب الاعمال مشروعاً استثمارياً يمكن ان تتحقق من ورائه الارباح [٢] . والواقع ان كل طبقات المجتمع

---

(1) Forsenko, Tam zhe str. 86.

(٢) ادعى بومارشيه فيما بعد ان العديد من الشحنات التي ارسلها إلى المستعمرات الثائرة كانت قروضاً للولايات المتحدة وانه صرف من ماله الخاص لصالح الوطنيين، وطالب هو وورثته من بعده بمبلغ ٣,٦ مليون ليفر ايفاء لهذه القروض، لكن الأمريكيين يؤكدون ان اغلب هذه الشحنات كانت عبارة عن هدايا من الملكين الفرنسي والاسباني، وامتنع المؤتمر القاري في البداية عن الدفع لكن الولايات المتحدة دفعت لورثة بومارشيه بعد وفاته ٨٠٠,٠٠٠ فرنك مقابل التخلي عن مطالبهم . انظر:

Alden, Op. Cit., P.376; Bemis, A Diplomatic History … P.23.

الفرنسي وفئاته تعاطفت مع الثوار الأمريكيين وشارك ممثلوها بهذه الدرجة أو تلك في القتال إلى جانبهم فبالاضافة إلى الإقطاعيين الارستقراطيين الذين يسيطرون على الحكم والبرجوازية ممثلة ببومارشيه ومن اشترك معه من رجال الاعمال ساند الثورة الأمريكية النبلاء الليبراليون ممثلين بلافاييت الذي تجاوز منع الملك له وجهز على حسابه الخاص سفينة اسماها " النصر " وابحر بها إلى أمريكا حيث شارك في القتال في جيش واشنطن (١) . كما اشترك في الحرب إلى جانب الوطنيين الأمريكيين ايضاً سان سيمون الذي اصبح فيما بعد واحداً من مؤسسي الاشتراكية الطوبائية وغيره كثير. وهكذا فان " فرنسا باجمعها استحسنت الثورة الأمريكية " (٢) ، فالحاكمون رأوا فيها وسيلة لاضعاف الإمبراطورية البريطانية واستعادة توازن القوى الذي اختل بنتيجة حرب السنوات السبع والصناعيون والتجار الفرنسيون كانوا يريدون من خلال نجاحها الوصول إلى السوق الأمريكية متجاوزين القيود التي كانت بريطانيا تفرضها على تجارة المستعمرات ، اما المثقفون في فرنسا وفي عموم أوربا (٣) ، فقد اعجبوا بها من منطلقات فكرية إذ رأو فيها تحدياً للاستبداد الذي كان يخيم على أوربا في ذلك الوقت وتجسيداً للافكار التي كانت تنادي بها حركة التنوير التي كانت تؤكد على حق الإنسان في ان يحكم نفسه بنفسه، ومن شأن ذلك اذا تحقق ان يؤدي إلى حياة افضل للبشرية.

على اية حال ادى بومارشيه دوراً كبيراً في اقناع الحكومة الفرنسية بضرورة مساعدة الثوار الأمريكيين، فقد زار لندن سراً في ١٧٧٥ والتقى هناك

(١) Efimov, Tam zhe str. 99.

(٢) Morison, Op. Cit., P.251.

(٣) انظر حول الاثر الذي تركته الثورة الأمريكية في الاوساط الثقافية في أوربا وموقف المثقفين الأوربيين منها:
Aptheker, Op. Cit., PP.194-197.

بارثر لي Arttur Lee وكيل ماساتشيوستس في العاصمة البريطانية واستطاع هذا اقناعه بجدية الأمريكيين في ثورتهم على بريطانيا . وسبق ذلك لقاء اخر جرى في لندن في كانون الأول ١٧٧٤ بين القائم بالاعمال الفرنسي في العاصمة البريطانية ووكلاء المستعمرات اقترح فيه هؤلاء على القائم بالاعمال عقد حلف بين فرنسا وامريكا وطلبوا ان تقدم فرنسا المساعدة للمستعمرات (١). واستطاع بومارشيه ان يقنع فرجن بجدية الأمريكيين في ثورتهم ، لكن فرجن فضل ان يتأكد من الامر فارسل في ايلول ١٧٧٥ ضابطاً خاصاً إلى المستعمرات هو بونفولوار Bonvouloir وفوضه ان يؤكد للوطنيين الأمريكيين اسناد فرنسا وموافقتها على ان يستخدموا الموانئ الفرنسية بحرية (٢).

وشجعت التقارير التي بعث بها بونفولوار في شتاء ١٧٧٥-١٧٧٦ فرجن إذ اكدت له اتجاه المستعمرات بشكل حاسم واكيد نحو الاستقلال عن بريطانيا (٣). وحين تأكد فرجن من ذلك اتصل في اذار ١٧٧٦ بالحكومة الاسبانية محاولاً التعرف على موقفها فتسلم من غريمالدي Grimaldi الوزير الاسباني المسؤول عن الشؤون الخارجية جواباً مشجعاً إذ كان من رأي هذا الاخير ان مد الأمريكيين سراً بالمساعدة التي يحتاجونها للاستمرار في الصراع مع البريطانيين من شانه ان يؤدي إلى اضعاف الجانبين المتنازعين الامر الذي سيكون لصالح فرنسا واسبانيا.

ساعد موقف غريمالدي هذا على اقناع فرجن باقتراحات بومارشيه الذي كان يلح على ضرورة مساعدة الأمريكيين، فعمد إلى تضمين هذه المقترحات في تقرير رسمي قدمه للملك ولمجلس الوزراء بعنوان " انطباعات حول الوضع

(١) Aptheker, Op. Cit., P.182.

(٢) Alden, Op. Cit., P.373.

(٣) دان ليسي، المصدر السابق، ص ٣٣.

الراهن للمستعمرات الانجليزية وحول السلوك الذي ينبغي لفرنسا ان تنتهجه تجاهها" ، اكد فيه ان انجلترا كانت " عدواً لدوداً غير عادل وغير مخلص لفرنسا وانها تنتهج سياسة ثابتة لاذلال فرنسا لذا فان من واجب هذه الاخيرة ان تنتهز كل فرصة تسنح لاضعاف قوتها، وان مساعدة فرنسا للثوار الأمريكيين سراً سوف تحقق لها فوائد كثيرة إذ انها ستضعف بريطانيا كما انها ستسبب خسارة لايمكن تعويضها للتجارة الانجليزية وتوسع لدرجة لايستهان بها التجارة الفرنسية، بالاضافة إلى انها ستوفر احتمالاً كبيراً لاستعادة فرنسا جزءاً من ممتلكاتها التي خسرتها لصالح بريطانيا. ويمضي التقرير في القول بان المستعمرات اذا استقلت فانها ستقيم نظاماً جمهورياً للحكم وهو شكل للحكم ضعيف بطبيعته الامر الذي سيكون ضماناً لعدم حدوث أي نوايا عدوانية من جانب المستعمرات المستقلة تجاه ممتلكات الدول الأوربية في ذلك الجزء من العالم، اما اذا سمح لبريطانيا ان تتوصل إلى تسوية مع المستعمرات فان ذلك سيدفعها إلى السعي للتعويض عن ما اصابها حالياً من الخسائر بالانقضاض على ما تبقى لفرنسا واسبانيا من ممتلكات في العالم الجديد [١].

اقتنع الملك ومجلس الوزراء بالمبررات التي ساقها التقرير فاقر السياسة التي اقترحها في ٢ أيار ١٧٧٦ وبدأت الاستعدادات العسكرية والبحرية تأخذ مجراها سراً في الوقت الذي كانت تكال فيه عبارات الود للحكومة البريطانية في العلن. ومع ان وزير المالية توركو Turgot اعترض على ذلك لانه كان يعتقد بان المستعمرات الفرنسية سوف تتحرر حتما في ويوم من الايام لذا فانها لاتستحق ان تخوض فرنسا من اجلها حرباً وقائية مكلفة ضد بريطانيا لاسيما وان

(١) انظر:
Bemis, A Diplomatic History ... P. 20 ; Alden, Op. Cit., P.374.

الوضع المالي للحكومة الفرنسية كان سيئاً والخزينة خاوية الا انه اذعن اخيراً ووافق على سياسة المساعدة السرية للمستعمرات الانجليزية.

استناداً إلى سياسة المساعدة السرية التي قررت الحكومة الفرنسية انتهاجها اصدر لويس السادس عشر توجيهاً بان تمنح المستعمرات الانجليزية مليون ليفر (حوالي ٢٠٠,٠٠٠ دولار) تسلم لها على شكل ذخائر ومعدات عسكرية من المستودعات الملكية عن طريق بومارشيه الذي عمد إلى تأسيس شركة تجارية اسماها : " رودريك هورتاليز وشركاوه " roderigue Hortalez and Company واتخذها واجهة مظهرها المشروعات التجارية ومخبؤها شراء الاسلحة والذخائر للثوار الأمريكيين. كذلك فعل ايضاً الملك الاسباني الذي عمد هو الاخر إلى منح المستعمرات مليون فرنك اخر عن طريق الشركة نفسها. وهكذا قررت الحكومة الفرنسية تقديم الاسناد والمساعدة للامريكيين حتى قبل ان يطلب هؤلاء المساعدة . وكانت المساعدات التي وصلت إلى الثوار عن طريق شركة بومارشيه المشار اليها وافرة لدرجة فاقت كل ما كان متفقاً عليه. لقد اسهمت المساعدة الفرنسية المتعددة الاشكال اسهاماً فعالاً في تحقيق النصر للامريكيين إذ " بدون الملابس والبارود والمدافع والقنابل والخيام التي وصلت القوات الأمريكية عن هذا الطريق [شركة رودريك هورتاليز] كان من الصعب بل من المستحيل على المستوطنين في أمريكا ان يصبح لهم جيش مركزي يستطيع الوقوف امام الانجليز " [١] لقد توالت الاعانات والأسلحة والذخائر وتدفقت على الأمريكيين طيلة مدة الحرب وبلغت حتى نهاية تلك الحرب أكثر من مليون دولار، فضلاً عن القروض التي تجاوزت ستة ملايين دولار [٢].

(١) دان ليسي، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢) انظر قائمة تفصيلية بالاعانات والقروض والتجهيزات التي قدمتها كل من فرنسا واسبانيا للولايات المتحدة اثناء حرب الاستقلال في:

من ناحية اخرى دفعت الحاجة إلى الأسلحة والذخائر وضرورة البحث ن اسناد خارجي المؤتمر القاري إلى ان يؤلف في ١٨ ايلول ١٧٧٥ لجنة سرية مهتها تأمين السلاح والذخيرة أردفها في ٢٩ تشرين الثاني من ذلك العام بلجنة رية اخرى هي لجنة المراسلات السرية وذلك " من أجل هدف وحيد هو راسل مع اصدقائنا في بريطانيا العظمى وايرلندا والاجزاء الأخرى من عالم"(١).

ومع ان الرأي الذي كان سائداً في البداية في المؤتمر كان التأكيد على جوب عدم الدخول في حلف قد يجر الأمريكيين في المستقبل إلى حرب تنشب ي أوربا الا انه سرعان ما اجبرت الظروف المؤتمر على تغيير رأيه هذا دفعته إلى ان يوجه إلى مبعوثيه تعليمات تقضي بالسعي لعقد حلف مع فرنسا اسبانيا (٢).

باشرت لجنة المراسلات اعمالها وبدأت باجراء اتصالات مع ارثر لي ذي كان قد اصبح الان وكيلاً للمؤتمر القاري أي لكل المستعمرات في البلاط بريطاني بعد ان كان ممثلاً لاقليم ماساتشيوستس فقط ، ومع جارلس فردريك

Bemis, A Diplomatic History … P. 24.

(١) كانت هذه اللجنة برئاسة فرانكلين وضمت بالاضافة اليه كلاً من جون ديكنسون Dickinson وتوماس جونسون Johnson وجون جي Jay ، لكن اعضاءها كانوا يتبدلون باستمرار، وفي نيسان ١٧٧٧ تبدل اسمها إلى " لجنة الشؤون الخارجية " واصبحت حلقة الوصل بين المؤتمر والمبعوثين في الخارج فألفت بذلك النواة التي قامت على اساسها وزارة الخارجية الأمريكية. وحين ظهر ان هذه اللجنة غير كافية لاقامة علاقات دبلوماسية عين المؤتمر في ١٧٨١ سكرتيراً للشؤون الخارجية وكان أول من تولى هذا المنصب روبرت ليفنكستون Livingston (١٧٨١-١٧٨٣) اعقبه جون جي (١٧٨٤-١٧٩٠) الذي استمر في ادارة الشؤون الخارجية إلى ان تأسست وزارة الخارجية بموجب الدستور.

(٢) See Morison, Op. Cit., P.251; Pleshkov, Tam the str. 22.

وليم دوماس Domas، وهو طالب كان يدرس القانون الدولي ويقيم في لاهاي وكان صديقاً لفرانكلين ويتراسل معه، وكان هدف اللجنة من ذلك الحصول على معلومات حول مواقف الدول الأجنبية من المستعمرات. واجرت اللجنة ايضاً اتصالات سرية مع بونفولوار، مبعوث فرجن الذي سبقت الاشارة اليه وقررت في ٣ أذار ١٧٧٦ نتيجة لهذه الاتصالات ارسال وكيل " تجاري " إلى فرنسا التأكد من امكانية اجراء ترتيبات لشراء تجهيزات عسكرية بالآجل والاستعلام عن امكانية الحصول على مساعدة عسكرية وسياسية من فرنسا. واختار المؤتمر لهذه المهمة احد اعضائه وهو سيلاس دين Deane فغادر هذا إلى فرنسا بصفة تاجر في اذار ١٧٧٦.

تشجع فرجن حين اعلن المؤتمر القاري بيان الاستقلال لكنه كان يدرك ان اشتراك فرنسا في النزاع القائم في أمريكا الشمالية من شأنه ان يدخلها في حرب مع بريطانيا وهو امر كان فرجن يفضل ان يقوم به بمساعدة اسبانيا بعد ان يتأكد بما لايقبل الشك بان المستعمرات مصممة فعلاً على الاستقلال وقادرة على تحقيقه بقدراتها الذاتية. ولهذا عمد إلى جس نبض الحكومة الاسبانية التي كانت علاقاتها بالبرتغال آنذاك متوترة لدرجة ان حرباً غير معلنة كانت قائمة بينهما بسبب نزاع على الحدود في منطقة لابلاتا La Plata في أمريكا الجنوبية. ووجد فرجن لدى الحكومة الاسبانية صدى ايجابياً على اقتراحه التحالف بين الدولتين لمحاربة بريطانيا حيث ابدى غريمالدي Grimaldi وزير خارجيتها الذي كان يريد نقل الحرب إلى أوربا وتوجيه لطمة لبريطانيا حليفة البرتغال، موافقة حكومته على ذلك على ان تأخذ البرتغال وجزيرة منوركا Minorca ثمناً لاشتراكها في الحرب ، وكان فرجن مستعداً لدفع هذا الثمن الباهض (١) لكنه اثر

(1) Alden, Op. Cit., P.377.

التريث والانتظار بعد ان وصلته اخبار الانتصار الذي حققته القوات البريطانية على جيش واشنطن في معركة لونج ايلند Long Island في اواخر اب ١٧٧٦.

من ناحيته قرر المؤتمر القاري ارسال بعثة دبلوماسية رسمية إلى أوربا تتوجه اولاً إلى فرنسا وزودها بتعليمات اصدرها في ٢٤ أيلول ١٧٧٦ تقضي بالتعامل مع الدول الأوربية الأخرى [١]. وتألفت البعثة في البداية من بنيامين فرانكلين وسيلاس دين وتوماس جفرسون، لكن الاخير اعتذر عن المشاركة فيها بسبب مرض زوجته فاستبدل بارثر لي الذي كان موجوداً في أوربا آنذاك. وزود المؤتمر اللجنة بنموذج لمعاهدة اعدته لجنة المراسلات السرية التي اشرنا اليها ليكون اساساً للتفاوض عليه مع الدول الاجنبية. وعرف محتوى هذا النموذج بـ " خطة ١٧٧٦" التي كان لها اثر كبير في تاريخ الدبلوماسية الأمريكية لأنها جسدت المبادئ العامة التي اعتمدتها سياسة الولايات المتحدة منذ ذلك الوقت فيما يتعلق بموضوعات مهمة واساسية مثل قوانين البحار وحقوق المحايدين وغيرها حيث ارتكزت على مبدأ " سفن حرة بضائع حرة " Free Ships Free goods الذي يعني حق البلدان المحايدة في المتاجرة بحرية وبكل انواع البضائع عدا

(١) قرر المؤتمر ان يرسل مبعوثين يمثلونه في الدول الأوربية المهمة سواء اعترفت بهم تلك الدول ام لا فذهب عدد من هؤلاء في اوقات مختلفة إلى باريس ومدريد وبرلين وفينا وسانت بطرسبورغ ولاهاي وفلورنسا ، دون ان يصادف أي منهم النجاح باستثناء فرانكلين الذي استقبله وزير الخارجية الفرنسي رسمياً في ٢٨ كانون الأول ١٧٧٦ . وقد عرفت خطوة المؤتمر هذه بـ " دبلوماسية المليشيا" وعرف هؤلاء المبعوثون بـ" دبلوماسيو المليشيا " وذلك لانهم لم يكونوا دبلوماسيين مدربين أو على اطلاع على فن السياسة الدولية، وانهم ارسلوا دون مراعاة للقواعد الدبلوماسية المألوفة التي تقضي باعتراف الدول التي يذهبون اليها بالولايات المتحدة وقبولها بالاشخاص الذين ترسلهم ممثلين لها.

البضائع الحربية المهربة ، مع جميع البلدان بما في ذلك البلدان التي تكون في حالة حرب [١].

تميز فرانكلين بين اعضاء البعثة وطغى بنشاطه المثمر على عضوي البعثة الاخرين وذلك بفضل ما كان يمتلكه من قابليات وما كان يتمتع به من شهرة وما عقده من علاقات مع اوساط مهمة في المجتمع الفرنسي واستطاع بفضل ذلك ان يحظى باستحسان الاوساط الرسمية في فرنسا وفي مقدمتها وزير الخارجية فرجن، وساعدته على ذلك ايضاً التعليمات التي كان المؤتمر قد زود البعثة بها والتي قضت بان تعرض البعثة على فرنسا امتيازات تجارية وان تؤكد لها ان الأمريكيين لن يعودوا ابداً إلى حظيرة بريطانيا وان يتعهد اعضاء البعثة للحكومة الفرنسية في حالة دخول فرنسا الحرب بان الولايات المتحدة لن تعقد صلحاً منفرداً دون اشعار فرنسا قبل ذلك بستة اشهر [٢].

كان لكل ذلك اثره في تشجيع فرجن الذي كان مقتنعاً اصلا بضرورة اسناد الأمريكيين حتى لو ادى ذلك إلى الدخول في حرب مع بريطانيا، فأقدم في ٢٨ كانون الأول ١٧٧٦ على استقبال فرانكلين استقبالاً رسمياً، وفي تموز من السنة التالية عاود الاتصال باسبانيا مقترحاً عقد حلف بينها وبين فرنسا لمحاربة بريطانيا، لكن اسبانيا في هذه المرة احبطت همته لان وزير خارجيتها الجديد كان له رأي اخر كما سنرى، كما ثبطت همته ايضاً اخبار الاندحارات التي توالت على الأمريكيين في هذه المرحلة من الحرب.

في هذه الاثناء كان يجري في العاصمة الفرنسية صراع دبلوماسي حاد بين فرانكلين والسفير البريطاني ستورمونت Stormont حيث كان فرانكلين

(١) حول محتوى هذه الخطة انظر:
Pleshkov, Tam zhe str. 22-23; Bemis, A Diplomatic History … P. 25-26.

(2) Alden, Op. Cit., P.378.

يتصدى لنشاط السفير ويدحض ادعاءاته بنجاح مشهود . وفي خضم هذا الصراع وصلت إلى باريس في ٤ كانون الأول ١٧٧٧ اخبار النصر الساحق الذي احرزه الأمريكيون في ساراتوغا في ١٧ تشرين الأول من ذلك العام، فاحدثت تغييرات عميقة في مواقف كل الاطراف.

كَان الاثر الذي تركه انتصار الأمريكيين في ساراتوغا علـى الحكومة البريطانية كبيراً لدرجة جعلها تبدي استعدادها لمنحهم حكماً ذاتياً ضمن الإمبراطورية وتقرر ارسال بعثة خاصة إلى أمريكا تحمل هذا العرض للمستعمرات . كما ارسلت في الوقت نفسه احد عناصر الخدمة السرية لديها هو بول وينتورث Paul Wentworth إلى فرنسا لكي يقنع المبعوثين الأمريكيين هناك باسناد شروط الصلح الجديدة التي ستعرضها بريطانيا على المستعمرات. واجرى هذا المبعوث في اواخر كانون الأول ١٧٧٧ واوائل كانون الثاني ١٧٧٨ عدة لقاءات مع فرانكلين ودين متجاوزاً لي، وحاول في هذه اللقاءات ان يرشيهما فعرض عليهما مناصب رفيعة في الحكومة الجديدة التي ستقوم في أمريكا بعد الصلح، اذا استخدما نفوذهما للتوصل إلى التسوية التي تريدها بريطانيا [1]. لكنهما لم يكتفيا برفض هذا العرض فقط بل تعمدا ان يعلم فرجن بهذه اللقاءات محاولين استغلال خشية فرجن من احتمال التوصل إلى تسوية بين الأمريكيين والحكومة البريطانية فتفلت الفرصة من يده. وبالفعل كان لذلك اثره على فرجن الذي سارع إلى اعلام الحكومة الاسبانية بحراجة الموقف واقترح عليها ان تنضم إلى فرنسا في الاعتراف بالولايات المتحدة قبل ان تتوصل هذه إلى تسوية مع بريطانيا فتفلت الفرصة الذهبية التي سنحت لتقويض الإمبراطورية البريطانية في أمريكا وحثها على القيام بعمل يطمئن الأمريكيين ويستحق في نظرهم ان

(1) Samuel Flagg Bemis, The Diplomacy of the American Revolution, Edinburgh and London, 1947, P.59.

يرفضوا المقترحات البريطانية. لقد كان فرجن متحمساً لدرجة انه وعد الوفد الأمريكي في ١٧ كانون الأول ١٧٧٧ وقبل ان يصله رد من الحكومة الاسبانية بالاعتراف بالولايات المتحدة ومساعدتها ، واردف ذلك باعداد مذكرة حول " اسباب الحلف مع المستعمرات الأمريكية" اكد فيها على ضرورة اسناد فرنسا للمستعمرات وشرح مبررات ذلك وانهاها بالقول : " وهكذا يتوجب على فرنسا ان تناصر القضية الأمريكية وان تستخدم كل قوتها لهذا الغرض حتى لو رفضت اسبانيا الانضمام اليها ... " [1].

مضى فرجن في تنفيذ سياسته هذه فعمد بعد ان يأس من التحرك الاسباني إلى عقد معاهدتين مع الولايات المتحدة مدفوعاً بخشيته من ان تؤدي المباحثات بين المبعوث البريطاني والوفد الأمريكي إلى تسوية تفقد فرنسا بنتيجتها الفرصة التي انتظرتها طويلاً ومدفوعاً ايضاً باعتقاده بان عقد المعاهدتين سيسهم في تعزيز موقف الولايات المتحدة ويزيد حصانتها تجاه الاغراءات البريطانية .

لقد شجع فرجن على الاندفاع في تأييد الأمريكيين الوضع الذي كان سائداً في أوربا آنذاك وتأكده من ان اياً من الدول الأوربية الكبيرة لن تتدخل لاحباط مساعيه فاسبانيا والنمسا مرتبطتين بحلفين دفاعيين مع فرنسا وروسيا مشغولة بالصراع مع الدولة العثمانية الذي اشتد بعد عقد معاهدة كجك كينارجة ١٧٧٤ وبروسيا منهمكة في استيعاب المكاسب الاقليمية التي حصلت عليها نتيجة للتقسيم الأول لبولندا كما انها لم تكن مستعدة الدخول في حرب ضد فرنسا لالشيء الا لارضاء بريطانيا التي ابعدتها عن مفاوضات ١٧٦٣ التي انهت حرب السنوات السبع .

(1) Quoted in Aptheker, Op. Cit., PP.184-185.

وقع فرجن المعاهدتين المشار اليهما اعلاه مع المبعوثين الأمريكيين في ٦ شباط ١٧٧٨ وكانت المعاهدة الأولى معاهدة صداقة وتجارة تضمنت الامتيازات الخاصة بالامم ذات الحظوة الأولى واحتوت المبادئ البحرية التي تضمنتها خطة ١٧٧٦ المشار اليها اعلاه مع اختلاف بسيط . وكان توقيع هذه المعاهدة يعني من الناحية الفعلية اعتراف فرنسا باستقلال الولايات المتحدة، وهذا ماحصل بالفعل فقد استقبل الملك الفرنسي في ٢٠ أذار ١٧٧٨ المبعوثين الأمريكيين الثلاثة في مراسيم احتفالية مشهودة فاصبحت فرنسا بذلك أول بلد يعترف باستقلال الولايات المتحدة.

اما المعاهدة الثانية فكانت عبارة عن حلف دفاعي جاء فيه انه في حالة ما اذا قامت بين فرنسا وبريطانيا حرب نتيجة للمعاهدة الأولى فان الدولتين سوف تقاتلان في هذه الحرب سوية ولن تعقد أي منهما صلحاً أو هدنة مع العدو دون موافقة مسبقة من الطرف الاخر، وترك لكل طرف تقدير المجهود الحربي الذي ينبغي ان يسهم به في هذه الحرب والتزم الطرفان بعدم القاء السلاح الا بعد ان يتأكد استقلال الولايات المتحدة رسمياً أو ضمنياً في معاهدة أو معاهدات تنهي الحرب ، واتفقا على ان هدف هذا الحف هو المحافظة على استقلال وسيادة الولايات المتحدة " مطلقة وغير محدودة في شؤون الحكم والشؤون التجارية على السواء"، وقدم الطرفان لبعضهما ضمانات ذات مغزى فقد ضمنت فرنسا للولايات المتحدة حريتها وسيادتها واستقلالها مع كل ما يضاف اليها من اراضي قد تحصل عليها اثناء الحرب على حساب ممتلكات بريطانيا في أمريكا الشمالية وضمنت الولايات المتحدة لفرنسا بالمقابل ممتلكاتها القائمة آنذاك في أمريكا وكذلك الأقاليم التي ستستولي عليها بموجب معاهدة الصلح المقبلة، وكان على هذه الضمانات ان تبقى قائمة وان تؤخذ بنظر الاعتبار عند عقد الصلح بين الولايات المتحدة وبريطانيا حتى لو لم تنجر فرنسا إلى الحرب. واخيراً تضمنت

المعاهدة مادة فسحت المجال للدول الأخرى المتضررة من بريطانيا للانضمام إلى هذا الحلف على أساس الشروط نفسها الواردة فيه [1] .

من الواضح ان الولايات المتحدة قد حققت مكاسب كبيرة في هاتين المعاهدتين على الضد من فرنسا التي كانت مكاسبها متواضعة . ان السبب في ذلك هو ان فرنسا لم تكن تريد ان تظهر امام العالم بمظهر من يسعى للحصول على مكاسب، وامتيازات خاصة في أمريكا وان هدفها الاساس هو اضعاف بريطانيا وهذا يتحقق بانفصال الولايات المتحدة عن الإمبراطورية البريطانية أي ان هدفها الرئيس هو استقلال الولايات المتحدة وهو نفس الهدف الذي تسعى اليه هذه الاخيرة.

كانت الحكومة البريطانية على علم تام بتفاصيل مايجري من اتصالات بين المسؤولين الفرنسيين والمبعوثين الأمريكيين عن طريق جاسوس لها كان يعمل سكرتيراً لسيلاس دين [2] ، ومع ذلك لم تفعل شيئاً يستفز فرنسا واكتفت باعتراض بعض السفن التي كانت تحمل عتاداً مرسلاً إلى الولايات المتحدة. وحين اعلمتها الحكومة الفرنسية رسمياً في ١٣ أذار ١٧٧٨ بمعاهدة الصداقة والتجارة التي عقدتها مع الولايات المتحدة قامت فقط بطرد السفير الفرنسي ولم تذهب إلى حد اعلان الحرب على فرنسا . وكان هناك بالاضافة إلى رغبة

---

(١) انظر نص المعاهدتين في:

Hunter Miller, Treaties and Other international acts of the United states of America, Vol.2 Washington 1931, PP. 4-27, 36-40.

(٢) هو الدكتور ادورد بانكروفت Edward Bancroft الذي عمل سكرتيراً لدين منذ ان وصل هذا إلى باريس، كما انه عمل فيما بعد سكرتيراً لفرانكلين حين اصبح الاخير وزيراً مفوضاً للولايات المتحدة في فرنسا، ثم عين سكرتيراً للجنة الأمريكية التي اضطلعت بمفاوضات الصلح في ١٧٨٢-١٧٨٣، ولم يكتشف تجسسه لصالح بريطانيا الا بعد قرن من وفاته .

Bemis, A Diplomatic History , P.30.

الأوساط الحاكمة البريطانية في تجنب الحرب مع فرنسا إلى ان يتم اعداد الشعب لها بشكل افضل سببان اخران وراء موقف الحكومة البريطانية المتهاون هذا الأول ان اعلان بريطانيا الحرب على فرنسا رسميا ربما سيؤدي إلى تكوين تحالف دولي ضدها لاسيما وان فرنسا كانت آنذاك مرتبطة بحلفين دفاعيين مع كل من النمسا واسبانيا والثاني هو ان الحكومة البريطانية كانت تأمل بان البعثة التي قررت ارسالها إلى أمريكا حاملة معها شروطاً جديدة للصلح تقضي بالغاء القوانين القسرية والتشريعات الأخرى التي اثارت استياء الأمريكيين ربما تستطيع انجاز مهمتها فتحبط بذلك العمل الفرنسي.

لقد دفع احتمال توسع الحرب ودخول فرنسا وربما دول أوربية اخرى فيها إلى جانب الولايات المتحدة، الحكومة البريطانية إلى العمل على التصالح مع الأمريكيين وانهاء الحرب وقررت ارسال بعثة إلى أمريكا لهذا الغرض ، تحمل شروطاً جديدة للصلح تتضمن الموافقة على كل ما كان الأمريكيون يطالبون به عدا الاستقلال، فقد كانت البعثة مخولة ان تقر لهم بالحرية التامة في كل ما يتعلق بشؤونهم الداخلية وان تعرض عليهم مساعدة اقتصادية وتقترح عليهم ارسال ممثلين عنهم إلى البرلمان البريطاني وان توافق على الغاء جميع القوانين المتعلقة بامريكا والتي اقرت بعد ١٧٦٣، وان تؤكد استعداد الحكومة البريطانية للاعتراف بالمؤتمر القاري بشرط خضوعه للسيادة البريطانية. ومع ان التعليمات التي زودت بها البعثة لم تتضمن الغاء بيان الاستقلال والقوانين الأخرى التي اصدرها المؤتمر القاري الا ان واضعي تلك التعليمات افترضوا ان جميع قرارات المؤتمر " لم تكن قوانين شرعية وسوف تكون ملغية من الناحية الواقعية بعد عقد المعاهدة " [1].

(1) See: Pleshkov, Tam zhe str. PP.50-51; Alden, Op. Cit., P.387; Hicks, Op. Cit., P.152.

وكانت هناك خلافات شديدة في الموقف من الاحداث في الأوساط السياسية البريطانية سواء الحاكمة منها أو التي كانت في صفوف المعارضة، ففي الوقت الذي كان فيه شاتام وانصاره يطالبون بالاستجابة لمطالب الأمريكيين جميعها عدا الاستقلال كانت هناك مجموعة اخرى ترى منح الأمريكيين الاستقلال درءاً للحرب مع فرنسا واسبانيا ، وبعد ان يتم ذلك يمكن التفاوض معهم لاعادتهم إلى الإمبراطورية. وعلى الجانب الاخر كان الملك وانصاره ولاسيما المتطرفون فهم يصرون على المضي في الحرب حتى لو دخلتها فرنسا واسبانيا ضدهم لانهم كانوا واثقين من تفوق الاسطول البريطاني وقدرته على الحاق الهزيمة بالأسطولين الفرنسي والاسباني. اما رئيس الوزراء نورث فقد كان متردداً وحائراً حتى انه اراد الاستقالة لكن الملك اصر على بقائه. وفي الوقت نفسه تميز عمل الحكومة البريطانية في هذه المرحلة بالتخبط ففي الوقت الذي ارسلت فيه البعثة المذكورة للتفاوض مع الأمريكيين طالبة منهم البقاء ضمن الإمبراطورية ، طلبت من كلنتون الذي حل محل هاو في قيادة القوات البريطانية في أمريكا، في تعليمات اصدرتها له في ٢١ آذار ١٧٧٨ . اخلاء فيلادلفيا التي كان البريطانيون قد احتلوها قبل ذلك كما رأينا وعد احتلالها الانجاز الوحيد الكبير الذي حققه البريطانيون في معارك ١٧٧٧، فكيف يتأتى للبعثة اقناع الأمريكيين بالتنازل عن استقلالهم وهم يرون تخاذل القوات البريطانية وتقهقرها؟ ومما زاد الامر سوءاً ان السلطات البريطانية لم تخبر اعضاء البعثة بامر الانسحاب الذي ارسل إلى كلنتون إذ لم يعلموا بذلك الا بعد ان وصلوا إلى الساحل الأمريكي وشاهدوا السفن البريطانية تستعد للابحار إلى نيويورك.

لهذا كله كانت مهمة البعثة محكومة بالفشل . وهذا ما حصل بالفعل فقد بادر المؤتمر حين علم بنية البريطانيين ارسال هذه البعثة وقبل ان تصل إلى الأرض الأمريكية فاتخذ في ٢٢ نيسان قراراً اكد فيه ان الولايات المتحدة

لايمكنها ان تجري أي محادثات أو تعقد أي معاهدة مع أي مبعوثين لبريطانيا مالم يقوموا كخطوة تمهيدية اولى، بسحب جيوشهم واسطولهم أو يعترفوا بعبارات قاطعة وواضحة باستقلال الولايات المتحدة فقطع بذلك الطريق على البعثة واحبط مهمتها . ومما زاد الامر سوءاً واثار نقمة الأمريكيين أكثر ان احد اعضاء البعثة حاول ان يرشي قادة امريكيين ذوي نفوذ مغرياً اياهم بالاموال والمناصب الرفيعة الامر الذي رفضه هؤلاء القادة بازدراء وكشفوه للرأي العام فزاد ذلك من اصرار الأمريكيين على مواصلة الكفاح حتى الاستقلال الناجز.

لهذا كله لم تستطع البعثة ان تفعل شيئاً على الرغم من انها كان مخولة ان تعرض على الأمريكيين شروطاً كان جميع الوطنيين تقريباً قبل ان تبدا الحرب مستعدين لقبولها فقد امتنع الأمريكيون عن أي اتصال بها مالم تسلم بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة وتسحب قواتها كلياً من اراضيهم. ولما كان ذلك ليس من اختصاص البعثة ولا من صلاحياتها فقد اضطرت إلى المغادرة مع القوات البريطانية التي اخلت فيلادلفيا في اواخر حزيران ١٧٧٨ .

لقد اراد البريطانيون من اقتراحاتهم الجديدة ان تكون وسيلة للتأثير على الأمريكيين قبل ان تصل اليهم اخبار عقد المعاهدتين مع فرنسا وتجعل المؤتمر يحجم عن التصديق عليها . ولهذا اسرعت الحكومة البريطانية بارسال مقترحاتها الجديدة إلى أمريكا قبل ان يصادق عليها البرلمان وقبل ان تتجسد هذه المقترحات بشكل تعليمات زودت بها البعثة التي اشرنا اليها اعلاه. لكن الذي حدث ان نصي المعاهدتين وصلا إلى أمريكا وصادق عليهما المؤتمر الذي كان يعقد جلساته في يورك بسبب احتلال البريطانيين لفيلادلفيا في ٤ أيار ١٧٧٨ في حين لم تصل البعثة إلى فيلادلفيا الا في ٦ حزيران. وتبع التصديق على المعاهدتين وصول أول ممثل دبلوماسي، فرنسي اعتمد في الولايات المتحدة هو كونراد الكسندر

جيرارد Conrad Alexander Gerard وذلك في تموز من العام نفسه فاستقبل بحفاوة بالغة ونظم له ولموظفيه حفل بهيج [1].

بعد اعتراف فرنسا بالولايات المتحدة والتحالف معها اصبح قيام الحرب بينها وبين بريطانيا مسألة وقت لا أكثر وبالفعل لم يلبث التصادم ان حصل بين اسطوليهما حين قصفت المدافع البريطانية السفن الفرنسية في ١٧ حزيران ١٧٧٨ دون اعلان الحرب ، اخذت بعد ذلك القوات البرية الفرنسية تتوافد على أمريكا واسهمت بشكل فعال في القتال ضد البريطانيين وكان لها اثر كبير في جلب النصر للأمريكيين.

وهكذا دخلت فرنسا الحرب ضد بريطانيا منفردة متخلية عن فكرتها الأولى القاضية بالتحالف مع اسبانيا في هذه الحرب. لقد دفعتها إلى ذلك رغبتها في عدم افلات الفرصة التي سنحت لاضعاف بريطانيا والانتقام منها من جهة وتردد اسبانيا واحجامها عن القيام بمثل هذه الخطوة من جهة ثانية.

لقد كانت هناك اسباب موضوعية لتردد اسبانيا وضعف حماسها للحرب بالقياس إلى فرنسا فالاذى الذي سببته بريطانيا لاسبانيا أكثر قدماً واقل ايلاماً من الذي سببته لفرنسا كما ان الممتلكات الاسبانية في أمريكا كانت اوسع بكثير من الممتلكات الفرنسية واكثر قيمة واهمية بالنسبة لقوة الدولة الاسبانية من الممتلكات التي بقيت لفرنسا هناك بعد حرب السنوات السبع. يضاف إلى ذلك ان اسبانيا كانت تمتلك في أمريكا أراضي واسعة مجاورة للولايات المتحدة ولها حدود طويلة معها ، لهذا فانها كانت تخشى على هذه الممتلكات من تطاولات " الدولة الجمهورية [الولايات المتحدة] المتسارعة النمو والاخذة بالتوسع بشكل ظاهر"[2]، ومن انتشار عدوى الثورة اليها.

---

(1) Bemis, A Diplomatic History ... P.31.

(2) Aptheker, Op. Cit., P.188.

لهذا كله كانت اسبانيا متخوفة من الحرب ضد بريطانيا ومترددة في اسناد الولايات المتحدة الامر الذي جعلها تتأخر في دخول الحرب، وحتى بعد دخولها كانت حريصة على عدم الاعتراف بالولايات المتحدة، وظلت مصرة على ذلك رغم استعداد الأمريكيين للاعتراف لها بجملة من الامتيازات مثل عرضهم مساعدة اسبانيا في استعادة ميناء بنساكولا، واقتراحهم عليها بان تستولي على البرتغال بل انهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك حين عرضوا عليها في ١٧٧٩ التخلي عن ادعاءاتهم بحقهم في الملاحة في المسيسبي، كل ذلك مقابل اعتراف اسبانيا بالولايات المتحدة [1].

كان فرجن حين توجه إلى اسبانيا مقترحاً التحالف ضد بريطانيا يأمل ان تؤدي رغبة اسبانيا في اخضاع البرتغال حليف بريطانيا التقليدي إلى دفع الحكومة الاسبانية إلى قبول اقتراحه ذاك، لكن اسبانيا توصلت إلى تسوية سلمية مع البرتغال فلم تعد الحرب ضد بريطانيا والحالة هذه وسيلة لاخضاع البرتغال، ولهذا فقد جاء رد الحكومة الاسبانية مخيباً لامال الفرنسيين ولامال ارثر لي الذي كانت البعثة الأمريكية في باريس قد أوفدته في ١٧٧٧ ليلتمس من الحكومة الاسبانية اعترافاً بالولايات المتحدة وحلفاً معها. وقد ادى الدور الأساس في اتخاذ اسبانيا هذا الموقف وزير خارجيتها الجديد فلوريدابلانكا Floridablanka (١٧٧٧-١٧٩٢) الذي لم يكن يريد الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة للأسباب التي ذكرناها أعلاه ولاسيما خشيته من ان يكون الاستقلال الأمريكي مثلاً تحتذيه مستعمرات اسبانيا في العالم الجديد. لكن فلوريدابلانكا كان يريد في الوقت نفسه ان يستغل الحرب القائمة بين بريطانيا ومستعمراتها لتحقيق ما كانت تريده اسبانيا والمتمثل بالدرجة الأولى باستعادة جبل طارق ومنوركا اللتين انتزعتهما منها بريطانيا نتيجة حرب الوراثة الاسبانية، وكذلك استعادة فلوريدا

---

(1) Ibid. PP.189-190; Alden, Op. Cit., PP.480-481.

وجامايكا وطرد المستعمرات الانجليزية القائمة في ساحل هندوراس. واعتقد ان بعضاً من ذلك في الاقل يمكن ان يتحقق لاسبانيا من دون ان تدخل في حرب. وعلى هذا الأساس عرضت اسبانيا وساطتها لانهاء الحرب على اساس ان يحتفظ كل طرف بما هو في حوزته حين يتوقف القتال ، كما ان من شأن ذلك ان يحول دون استقلال المستعمرات البريطانية وهو ما كان يسعى اليه كما ذكرنا.

الواقع ان فلوريدابلانكا لم يكن يتوقع ان يقبل البريطانيون بالوساطة الاسبانية لكنه كان يأمل ان تدرء بريطانيا دخول اسبانيا الحرب بالموافقة على التخلي عن جبل طارق على اساس ان ذلك اخف كثيراً من الاندحار الشامل الذي يتهدد بريطانيا في حالة دخول اسبانيا الحرب ضدها . ولتعزيز هذا الانطباع لدى البريطانيين ابلغ فلوريدابلانكا فرنسا بان اسبانيا سوف تتحالف معها ضد بريطانيا في حالة ما اذا رفضت هذه الأخيرة الوساطة الاسبانية. لكن جورج الثالث رفض المقترح الاسباني ، فكان ذلك مدعاة لان تعلن اسبانيا الحرب على بريطانيا في ٢١ حزيران ١٧٧٩ بعد ان مهدت لذلك بان عقدت مع فرنسا في ١٢ نيسان من ذلك العام حلفاً عرف بميثاق ارانجوز Aranjuez .

لقد انقذ رفض جورج الثالث فرنسا ، التي كانت قد ضمنت كما رأينا استقلال الولايات المتحدة من الوقوع في وضع حرج ، ذلك ان الأمريكيين لم يكن من الممكن ان يوافقوا على المقترح الاسباني باي حال، وبالفعل كتب مبعوث فرنسا في فيلادلفيا جيرارد إلى فرجن يقول ان الأمريكيين يعدون قبولهم بهذا الاقتراح بمثابة " ادخال الذئب إلى حضيرة الغنم " [1]. لذا فان قبول فرنسا المقترح الاسباني كان سيؤودي إلى فقدانها لحلفائها الأمريكيين ، كما ان رفضها له سيفقدها علاقاتها باسبانيا الامر الذي يجعلها تبقى منفردة في الحرب مع بريطانيا.

---

(1) Tsit. Pleshkov, Tam the str. 64.

اتفق الطرفان الفرنسي والاسباني في حلف ارانجوز على الاستمرار في القتال إلى ان يؤمن انتقال جبل طارق إلى اسبانيا والعمل ان امكن على ان تستولي اسبانيا ايضاً على منوركا وجامايكا وفلوريدا وان يطرد البريطانيون من هندوراس وان تكون لاسبانيا حصة في مناطق صيد الأسماك في نيوفاوندلاند التي يتوجب اخراج البريطانيين منها لصالح فرنسا التي ستكون لها ايضاً حصة في المستوطنات البريطانية التي ستخلى في هندوراس ، كما انها ستستولي على جزيرة دومنيكا Dominica في الهند الغربية وتستعيد وضعها القديم في الهند. وتعهدت الدولتان بان لاتعقد اي منهما صلحاً منفرداً أو تدخل منفردة في محادثات من أجل الصلح [1].

من الواضح ان هناك تناقضاً واضحاً بين التحالفين الفرنسي – الأمريكي والفرنسي – الاسباني ، فقد تعهدت فرنسا للولايات المتحدة في معاهدة التحالف الذي عقدته معها بمواصلة الحرب حتى يتأمن لها الاستقلال، والزمت نفسها في حلفها مع اسبانيا بمواصلة الحرب إلى ان يتحقق استيلاء هذه الأخيرة على جبل طارق، فاذا حدث وحصلت الولايات المتحدة على اعتراف بريطانيا باستقلالها قبل ان يتأتى لاسبانيا استعادة جبل طارق فهل يتحتم عليها والحالة هذه ان تنتظر إلى ان يتحقق لاسبانيا ماتريد. وكان هذا ما حصل بالفعل وأصبح هذا الأمر واحدة من المشاكل التي اعترضت مفاوضات الصلح التي انهت الحرب.

لم يبرر الدور الذي ادته اسبانيا في الحرب التوقعات التي علقها عليه الفرنسيون والأمريكيون، فاسبانيا ظلت مصرة على عدم الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة وركزت جهودها العسكرية على محاولات استعادة جبل طارق دون ان تحقق نجاحاً في ذلك وواصل فلوريدابلانكا بعد دخول اسبانيا الحرب محاولاته لجعل بريطانيا تتخلى عن جبل طارق " ثمناً لصلح تستعيد بموجبه

(1) Bemis, A Diplomatic History ... PP.33-34.

الولايات المتحدة وضعاً كولنياليا مخففاً " ضمن الإمبراطورية البريطانية ومن اجل ذلك دخلت اسبانيا في مفاوضات سرية مع بريطانيا طيلة المدة من تشرين الثاني ١٧٧٩ حتى اذار ١٧٨١ [1] . وعلى الرغم من المساعدات المالية التي قدمتها اسبانيا للثوار الأمريكيين وتجهيزها لهم ببعض الأسلحة والذخائر الا انها كانت تحرص على ان تفعل ذلك بشكل لايفهم منه انها تعترف باستقلال الولايات المتحدة . ويأتي في هذا السياق ايضاً عدم اعترافها بجون جي رئيس المؤتمر القاري الذي أرسله هذا الاخير مبعوثاً إلى الحكومة الاسبانية في محاولة لاقناعها بعقد حلف مع الولايات المتحدة، على الرغم من ان فولريدابلانكا رأى ان بقاءه في اسبانيا مفيداً للضغط على بريطانيا وجعلها تتخلى عن جبل طارق.

لقد ابدى موقف اسبانيا هذا اثره على فرنسا وجعل فرجن يوافق على القيام بمحاولة للتوصل إلى صلح توافقي تكون الولايات المتحدة الجهة الخاسرة فيه [2]، لكن جورج الثالث رفض التخلي عن جبل طارق ورفض الاقتراحات الاسبانية القاضية باعادة ترتيب اوضاع المستعمرات، وكان ذلك من حسن حظ الولايات المتحدة التي تجنبت بهذا الرفض تسوية كانت ستؤخر استقلالها لفترة اطول.

على اية حال لم يكن الدور الاسباني في الحرب بالدرجة التي ارادها الأمريكيون والفرنسيون وتوقعوها وقد شخص مؤرخ الدبلوماسية الأمريكية صوموئيل بيمز هذا الدور بشكل صائب بتأكيده " ان القيمة الأساسية لاشتراك اسبانيا في الحرب [حرب الاستقلال الأمريكية] بالنسبة للولايات المتحدة وفرنسا

(1) Ibid. PP.34-35.

(2) توصل فرجن في شتاء ١٧٨١ إلى اعتقاد مفاده ان من الاصلح لفرنسا ان تقبل الخطة التي اقترحتها اسبانيا ونيكر، وكان هذا الاخير قد اقترح سراً وبموافقة ضمنية من رئيس الوزراء الفرنسي، على اللورد نورث عقد هدنة على اساس ان يحتفظ كل من الوطنيين الامريكيين والبريطانيين بالأراضي التي يحتلونها.

كانت تكمن في الاثر المعنوي الذي يعنيه جذب بلد أوربي اخر إلى الحرب ضد بريطانيا العظمى" [1].

كان الاثر الذي تركه دخول هولندا الحرب اقل من ذلك. لقد انجرت الأراضي المنخفضة إلى حرب الاستقلال الأمريكية دون رغبة منها فقد كان الهولنديون مصرفيين وتجار بالدرجة الأولى يمارسون عملهم على نطاق أوربا الغربية ولم تكن لهم مصلحة كبيرة في استقلال الولايات المتحدة وتحررها من السيطرة البريطانية، وكانوا يريدون الاستفادة من تعطيل قوانين الملاحة ومن المتاجرة مع البلدان المتحاربة وذلك لايتأتى الا بانتهاج سياسة حياد صارم وهذا ما فعلوه في البداية حين قامت الحرب بين بريطانيا ومستعمراتها. ومع ان الكثير من البضائع الهولندية ولاسيما البارود الذي كانت الولايات المتحدة بحاجة اليه، كانت تهرب اليها عن طريق الموانئ الفرنسية والاسبانية أو عبر مستعمرة هولندا في الهند الغربية سانت اوستيتيوس St.Eustatius [2] وان بريطانيا كانت تحتج على ذلك الا ان هولندا استطاعت ان تحتفظ بحيادها في البداية وبريطانيا

---

(1) Bemis, A Diplomatic History ... P.35.

(2) اتخذت تجارة التهريب هذه مديات واسعة منذ وقت مبكر وقد انتبهت السلطات البريطانية اليها قبل ان تقوم الحرب ففي ٢ تشرين الثاني ١٧٧٤ كتب نائب حاكم مستعمرة نيويورك كادوالدر كولدن Cadwalleder Colden إلى وزير المستعمرات يقول : " ان تجارة التهريب التي تجري بين هذه المنطقة وهولندا هي ياسيدي موضوع يتوجب ان اوليه عظيم الاهتمام. انها منتشرة بدرجة هائلة وسوف تؤدي إلى تدمير اخلاقيات الناس وتخلق للحكومة اعداء عنيدين وتغذي روح الغوغائية وتقضي على كل التجارة المشروعة"

Quoted in Jan Willem Schulte Nordholt , the Duch Republic and American Independence, Translated by Herbert H.Rowen, Chapel Hill and London, 1982, P.35.

كانت تحترم هذا الحياد [1] . لكن دخول فرنسا الحرب غير الوضع وجعل بريطانيا تتخذ موقفاً صارماً في هذه القضية واصبحت تعد ما كان الهولنديون ينقلونه إلى فرنسا من اخشاب بناء السفن وغيرها من اللوازم البحرية بحجة انهم بلد محايد، بضائع مهربة، على الرغم من ان هولندا كانت قد عقدت مع بريطانيا في ١٦٧٤ معاهدة استثنت هذه المواد من صنف البضائع المهربة واقرت بحرية المتاجرة فيها. لكن معاهدة أخرى كانت قد عقدت بين الدولتين في ١٦٧٨ كانت تقضي بان يساعد احد الطرفين الطرف اخر عسكريا في حالة دخول ذلك الطرف حرباً ما . ولهذا فاذا حدث ان اصر الهولنديون على التمسك بمعاهدة ١٦٧٤ التي تقر لهم بحرية التجارة بالمواد البحرية فان بريطانيا تستطيع ان تطالبهم بالدخول في الحرب إلى جانبها تنفيذا لمعاهدة ١٦٧٨ . لكن بريطانيا لم تفعل ذلك بل اقترحت على الهولنديين التشاور لتكييف الحقوق والالتزامات الواردة في المعاهدتين مع الوضع الذي استجد بعد قيام حرب الاستقلال الأمريكية على اساس الحد من التجارة باللوازم البحرية. وحين رفض الهولنديون ذلك رفض البريطانيون السماح بنقل اللوازم البحرية إلى فرنسا على سفن هولندية واخذوا يأسرون كل سفينة يشكون في انها تحمل تلك المواد .

بهذ الشكل وجدت هولندا نفسها في وضع حرج إذ منع الهولنديون من المتاجرة مع البلدان المحايدة واصرت بريطانيا على وضع معاهدة ١٦٧٨ موضع التنفيذ . لكن بارقة امل لاحت امام الهولنديين حين اعلنت روسيا في ١٧٨٠ بيان الحياد المسلح. ففي ٢٨ شباط من ذلك العام وبمناسبة استيلاء الأسبان على سفن روسية وهولندية كانت تحمل قمحاً روسيا إلى موانئ البحر

---

(1) انظر تفاصيل هذا الموضوع في:

Nordholt, Op. Cit., PP.31-46.

المتوسط توجهت الحكومة الروسية ببيان إلى بريطانيا وفرنسا واسبانيا تألف من خمسة بنود لحماية التجارة المحايدة ودعت الدول المذكورة إلى الالتزام بها.

اكد البيان حرية السفن المحايدة في الوصول إلى سواحل الدول المتحاربة وقصر البضائع التي تعد بضائع تهريب على الأسلحة والعتاد والتجهيزات الحربية المختلفة، وذكر ان مفهوم الميناء المحاصر ينطبق فقط على الميناء الذي يصعب الدخول اليه بسبب العمليات العسكرية التي تقوم بها الدول المتحاربة. وعلى اساس هذه المبادئ عقدت روسيا ميثاقاً مع الدنمارك في ٢٨ حزيران ١٧٨٠ واخر مع السويد في ٢١ تموز من نفس العام التزمت هذه الدول فيهما بالدفاع عن المبادئ الواردة في بيان ٢٨ شباط. بعد ذلك انضمت الدنمارك إلى الميثاق الروسي – السويدي وانضمت السويد إلى الميثاق الروسي – الدنماركي فظهر نتيجة ذلك ما عرف بالحياد المسلح الأول [١] ، وتوجهت الدول المذكورة إلى الدول الأخرى داعية اياها إلى الانضمام إلى هذا التكتل، وصادفت هذه الدعوة قبولاً لدى بعض الدول الأوربية فانضمت إلى البيان المذكور كل من بروسيا (١٧٨١) والإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٧٨١) والبرتغال (١٧٨٢) ومملكة الصقليتين (١٧٨٣) [٢].

وجدت الحكومة الهولندية في عصبة الحياد المسلح هذه اداة يمكنها استغلالها لمواصلة تجارتها المحايدة بسلام ولهذا سارع مجلس الولايات الهولندي

(١) بمناسبة استيلاء الانجليز على احدى السفن الدنماركية في ١٨٠٠ اقترح القيصر الروسي بافل الأول على الدنمارك وبروسيا والسويد احياء مبادئ الحياد المسلح لعام ١٧٨٠ لتأمين حرية التجارة المحايدة، ووقعت روسيا على اساس ذلك في سانت بطرسبورغ في ١٦ و ١٨ كانون الأول ١٨٠٠ على مواثيق بهذا الشأن مع الدول الثلاث عرفت بالحياد المسلح الثاني.

(٢) للتفصيل حول الحياد المسلح انظر:
Diplomaticheskii Slovar, T.1; Moskva 1960, PP.310-311.

فاتخذ في ١٨ تشرين الثاني ١٧٨٠ قراراً بالانضمام إلى تلك العصبة وجرت المصادقة على هذا القرار رسمياً في بطرسبورغ في ٤ كانون الثاني من السنة التالية [١]. وفي الوقت نفسه رحبت كل من فرنسا واسبانيا والولايات المتحدة بالحياد المسلح دون ان تنضم اليه في حين رفضته بريطانيا واعلنت حكومتها بانها تلتزم بالمعاهدات التي سبق ان عقدتها مع الدول المحايدة [٢]، واردفت ذلك بتوجيه انذار لهولندا طالبة منها تنفيذ معاهدة التحالف المعقودة بين الدولتين في ١٦٧٨ . وحين رفضت هولندا الانذار اعلنت بريطانيا الحرب عليها بحجة انها تقوم بنقل اللوازم البحرية إلى الموانئ الفرنسية، واستغلت لذلك مشروع معاهدة كان قد اعد بشكل غير رسمي بين هولندا والولايات المتحدة. وخلاصة قصة هذه المعاهدة ان وليم لي (اخو ارثر لي) الذي كان المؤتمر قد اوفده إلى فينا في محاولة لعقد معاهدة مع الإمبراطور النمساوي اجرى في فرانكفورت محادثات مع شخص يدعى جان دي نوفيل Jean de Nouville وهو هولندي كان يعمل وكيلاً لعمدة امستردام وتوصل الاثنان إلى وضع مسودة معاهدة على غرار خطة ١٧٧٦ ومعاهدة التجارة والصداقة الفرنسية – الأمريكية ، اريد لها ان تعقد بين الأراضي المنخفضة والولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب واعتراف بريطانيا بهذه الأخيرة. وبما ان وليم لي لم يكن مفوضاً بعقد مثل هذه المعاهدات وان عمدة امستردام ووكيله ليست لديهما سلطة لفعل ذلك ايضاً فقد ارسل لي نص المعاهدة إلى المؤتمر القاري باعتبارها اقتراحاً يستحق الاهتمام والدراسة وليس كمستند رسمي. وقد عثرت السلطات البريطانية على مسودة هذه المعاهدة حين اسرت هنري لورين Henry Laurens الذي كان المؤتمر قد ارسله مبعوثاً إلى الأراضي المنخفضة، وهو في طريقه إلى هناك وصادرت الاوراق التي يحملها

(1) Bemis, A Diplomatic History …. P.41.
(2) Ibid. P.40.

ومن بينها نسخة من مسودة المعاهدة. وقد حدث ذلك في ذروة الخلاف الذي اشتد بين بريطانيا والأراضي المنخفضة حول حقوق المحايدين، لذا بادرت الحكومة البريطانية باتهام هولندا بعقد معاهدة سرية مع المستعمرات الثائرة على الرغم من ان المعاهدة لم تكن قد عقدت رسمياً بعد، واتخذت ذلك ذريعة اخرى لاعلان الحرب على هولندا في ٢٠ كانون الأول ١٧٨٠.

وبعد ان فرضت الحرب على هولندا بهذا الشكل حصلت الولايات المتحدة منها على قرض بمبلغ عشرة ملايين ليفر بضمانة فرنسا، كما ان جون ادمز الذي عين مبعوثاً للولايات المتحدة في هولندا بدلاً من هنري لورين الذي اعتقل على النحو الذي ذكرناه تمكن من الحصول على قرض اخر بمبلغ خمسة ملايين كيلدر كما عقد مع الحكومة الهولندية معاهدة صداقة وتجارة على اساس خطة ١٧٧٦ وعلى غرار معاهدة الصداقة والتجارة الفرنسية – الأمريكية، على الرغم من ان الحكومة الهولندية لم تعترف به رسمياً الا في ١٧٨٢ أي إلى ان بدأت مفاوضات الصلح الأولى بين بريطانيا والولايات المتحدة [1].

وهكذا ظلت قضية الحصول على الاعتراف بالولايات المتحدة مطروحة امام المؤتمر القاري تنتظر الحل،فكل الدول الأوربية باستثناء فرنسا، احجمت عن هذا الاعتراف بما في ذلك الدول التي دخلت الحرب ضد بريطانيا ونعني اسبانيا والأراضي المنخفضة. وذهبت ادراج الرياح جهود جميع المبعوثين الذين أرسلهم المؤتمر إلى حكومات الدول الأوربية للحصول على مثل هذا الاعتراف. وحين اعلنت روسيا مبادئ الحياد المسلح رأى المؤتمر ان ذلك قد يكون فرصة الحصول على اعتراف هذه الدولة الكبرى وربما اعتراف الدول الأخرى التي الفت عصبة الحياد المسلح ايضاً. ولهذا بادر إلى ارسال مندوب خاص إلى سانت بطرسبورغ هو فرنسيس دانا Francis Dana وزوده بتعليمات تقضي بمحاولة

(1) Nordholt, Op. Cit., PP243-244.

الحصول على اعتراف روسيا بالولايات المتحدة " امة مستقلة " والسعي إلى عقد معاهدة صداقة وتجارة معها اذا كان ذلك ممكناً . لكن الإمبراطورة الروسية كاترين الثانية كانت تتجنب القيام باي عمل ينطوي على أي مظهر من مظاهر الاعتراف بالولايات المتحدة لان من شأن ذلك ان يستفز بريطانيا ويبعد روسيا عن مشروع الوساطة الذي كانت كاترين الثانية تريد ان تقوم بها للتوصل إلى الصلح. لقد كانت القيصرة الروسية تسعى إلى رفع مكانتها الدولية عن طريق التوسط بين الدول المتحاربة، ولهذا فانها احجمت عن الاعتراف بالولايات المتحدة وعن دعوتها إلى القبول بمبادئ الحياد المسلح.

ومع ذلك فان روسيا أسهمت بشكل غير مباشر في تعزيز موقف الأمريكيين في صراعهم مع بريطانيا، فإحجامها عن تزويد بريطانيا بالمرتزقة جاء ملائماً لهم كما ان الحياد المسلح ساعد على اتمام عزلة بريطانيا على المسرح الدولي فاسهم بذلك في جعل بريطانيا تستسلم في نهاية الامر وتقر باستقلال الولايات المتحدة. من الناحية الأخرى كان دخول فرنسا واسبانيا وهولندا الحرب إلى جانب الولايات المتحدة قد اوقع بريطانيا في موقف صعب حيث ادى إلى تغيير توازن القوى في البحر وزاد من سوء الوضع العسكري لبريطانيا التي اصبح على اسطولها الان ان يجابه، بالإضافة إلى سفن الاشخاص الأمريكية التي جرى تسليحها والتي كان عددها يتزايد باستمرار بحيث وصل في نهاية الحرب إلى أربعمائة سفينة مسلحة [1]، اساطيل الدول الأوربية الثلاث. لقد اصبحت بريطانيا الان مضطرة لان تحارب على جبهات متعددة في البر والبحر إذ كان عليها ان تحمي الجزر البريطانية نفسها من الغزو وان تدافع عن جبل طارق ومنوركا وممتلكاتها في الهند والجزر التي تمتلكها في الهند الغربية ومواقعها الأمامية في فلوريدا والمناطق الأخرى إلى جانب صراعها مع

(1) Fursenko, Tam sht str. 89.

الوطنيين الأمريكيين. وهكذا توسعت العمليات العسكرية وشملت مناطق واسعة من العالم ففي الوقت الذي كانت فيه اساطيل الدول المحايدة تحرس الطرق التجارية ، حاصرت اسبانيا جبل طارق ونفذ الفرنسيون عمليات عسكرية في الهند، وامتدت الحرب ايضاً إلى جزر الهند الغربية وسواحل ايرلندا بل والى سواحل انجلترا نفسها على الأطلسي وفي المانش وبالقرب من بلايموث وفقدت بريطانيا تفوقها في البحر واصبحت مواصلة الحرب في أمريكا بالنسبة لها صعبة جداً.

الفصل التاسع

انتهاء الحرب وعقد الصلح

العمليات العسكرية في المرحلة الثانية من الحرب:

شجعت اخبار النصر الذي احرزه الجيش الأمريكي في ساراتوغا واشنطن وشددت عزمه بشكل كبير حين انتقل بقواته لقضاء الشتاء في فالي فورج Valley Forge ، لكن الجيش هناك عانى في ذلك الشتاء من مصاعب لايمكن تحملها، فنصف افراده لم تكن لديهم أحذية أو جوارب واخرون لم يكونوا يمتلكون سراويل أو اغطية وطعامهم جميعاً كان نزراً يسيراً بحيث كانت تمر عليهم اسابيع كاملة لايذوقون فيها اللحم إذ كان غذاؤهم الاساس في الوجبات اليومية الثلاث يقتصر على مرق خفيف. ومع ان حالة الجيش كانت سيئة قبل ذلك بحيث دفعت واشنطن لان يكتب في تقريره إلى المؤتمر في تشرين الأول ١٧٧٦ قائلاً " ... طيلة ايام عديدة كانت لدينا في المعسكر مجاعة تامة "[(١)]، الا ان هذه الحالة ازدادت سوءاً في فالي فورج إذ بلغ الجوع آنذاك درجة اضطر معها من كان يملك احذية من الجنود إلى غليها واكلها [(٢)]. وكان مأوى الجنود عبارة عن خيام متهرئة لم يغادروها إلى سقائف خشبية الا في كانون الثاني ١٨٧٨ . لقد عانى الجيش من نقص حاد في الغذاء والتجهيزات فالكثير من المقاتلين لم يكن لديهم احذية أو ملابس دافئة وكان على الجنود ان يناموا بالدور بسبب عدم وجود مايكفي من الاغطية والكثير منهم اصابتهم الامراض والاوبئة.

---

(1) Tsit. M.M. Malkin " Voyna Za Nezavisimost V Severnoy Amerike " V : B.F. Popshnev I drug. (red.), Novaya istoriya Tom I 1640-1789, Moskva 1964, str. 186.

(2) American Military History ... P. 76.

كتب واشنطن يصف حالتهم : " ليس هناك لاملابس مناسبة لستر عراهم ولابطانيات يضعونها تحتهم ليناموا عليها ولا أحذية ، وبسبب ذلك كانت الدماء تلطخ الأرض التي كانوا يسيرون عليها اثناء حملاتهم " (١). ومع ذلك كله صبر اغلب المقاتلين وتحملوا كل تلك المشاق معبرين بذلك عن روح وطنية عالية وعن مثابرة وتفاني في اداء الواجب لايقلل منها فرار البعض منهم إلى البريطانيين وترك البعض الاخر لمعسكر الوطنيين دون رخصة بحثاً عن الطعام والمأوى في مكان آخر (٢).

ومن الجدير بالذكر ان تلك المعاناة لم يكن سببها نقص في الطعام أو شحة في الملابس بل فشل الدوائر الحكومية المدنية والعسكرية المكلفة بادارة عمليات تجهيز الجيش. وكانت اسباب هذا الفشل عديدة ومتنوعة منها ما يعود إلى ندرة وسائل النقل وشحة الملح الذي كان يستخدم لحفظ اللحوم ومنها ماكان يعود إلى وعورة منطقة فالي فورج وصعوبة الوصول اليها. والى جانب هذه العوامل الطبيعية كانت هناك أسباب اخرى تتعلق بنقص الاموال وسوء التنظيم وانخفاض القيمة الشرائية للعملة التي اصدرها المؤتمر وانتشار المضاربة التجارية الامر الذي جعل بعض الفلاحين في المنطقة المجاورة لفالي فورج يفضلون بيع منتجاتهم للبريطانيين الذين كانوا يدفعون اثمان ما يشترونه بالعملة الذهبية ويرفضون عملة المؤتمر التي انخفضت قيمتها الشرائية إلى حد كبير. لقد تفشت المضاربة بشكل واسع وكان اثرها سيئاً لدرجة دفعت واشنطن إلى القول " ان المضاربين من مختلف الانواع والمرتشين وسماسرة البورصة يدمرون قضيتنا " (٣) . لقد كان ذلك كله يعيق الجهود التي تبذل لحل المشاكل المتعلقة بتموين الجيش لاسيما وان المؤتمر كان منقسماً إلى زمر متشاحنة وصل الشقاق

---

(1) Tsit Fursenko, Tam zhe str. 96.
(2) Alden, Op. Cit., P.390.
(3) Tsit Fursenko, Tam zhe str. 97.

فيما بينها درجة سعى معها البعض لعزل واشنطن واستبداله بكيتس بطل ساراتوغا. لقد ادى النزاع الذي ساد المؤتمر إلى ارتباك العمل في دائرتي الامداد والتموين لدرجة " ان الطعام كان يفسد والملابس تتراكم غير مستعملة في المخازن" (١) في الوقت الذي كان فيه افراد الجيش يعانون من الجوع والبرد.

لهذا فان المهمة المطروحة امام قيادة الجيش بالحاح كانت العمل على تذليل تلك الصعوبات، إذ بدون ذلك لم يكن بالامكان تصور أي نجاح. وعلى هذا الاساس استطاع واشنطن بعد ان تمكن من احباط محاولة استبداله بكيتس اقناع المؤتمر بالموافقة على جملة من الاجراءات تتعلق بتجنيد المقاتلين في الجيش واصلاح مؤسستي الامداد والتموين، كما عمد إلى الاستفادة من خبرة احد كبار الضباط الالمان هو البارون فون ستوبن Steuben الذي انضم اليه في فالي فورج. لقد كان هذا الضابط المحترف ذا خبرة عسكرية عالية استخدمها لتنظيم وتدريب القوات الأمريكية في فالي فورج . وبعد ان رأى واشنطن النجاحات التي حققها ستوبن هناك توصل إلى تعيينه مراقباً عاماً في الجيش فاصبح عمله يشمل الجيش كله ، لقد كان لهذا الضابط اثر كبير في تطوير قدرات الجيش الأمريكي (٢).

لم تستفد القوات البريطانية من المصاعب التي كان الجيش الأمريكي يعاني منها ولم تستغلها لشن هجوم كبير . لقد احجم الجنرال هاو قائد تلك القوات عن القيام بعمليات هجومية لاسباب عديدة يأتي في مقدمتها عدم تحبيذه القيام بتلك

---

(1) American Military History ... P.77.

(٢) جمعت التنظيمات والتمارين الاساسية التي جرى العمل بها في فالي فورج في كراس عرف بـ " الكتاب الازرق " واصبح هذا الكراس ولمدة طويلة " كراس التدريب الرسمي للجيش الأمريكي ومايزال تأثيره حياً في جيش الولايات المتحدة حتى اليوم " .

American Military History ... P.78.

العمليات في فصل الشتاء البارد وموقع القوات الأمريكية في فالي فورج وشدة تحصيناته بالإضافة إلى اسباب شخصية اثارت استياءه وجعلته يقدم استقالته في وقت سابق، أي انه الان، في شتاء ١٧٧٧-١٧٧٨ كان يقوم بتسيير امور الجيش لحين تولي خلفه الجنرال كلنتون مهمات القيادة.

لقد ساء الموقف البريطاني كثيراً بدخول فرنسا الحرب إذ اصبح على بريطانيا الان ان تدافع عن ممتلكاتها في الهند والهند الغربية والبحر المتوسط ولم تعد الحرب تقتصر على أمريكا الشمالية فحسب، علما بان الاسطول الفرنسي قد ازدادت قوته منذ حرب السنوات السبع وتحسنت قدرته القتالية بحيث اصبح يؤلف تهديداً لايستهان به للأسطول البريطاني . لهذا كله قررت الحكومة البريطانية اخلاء فيلادليفيا وامرت كلنتون بسحب القوات البريطانية منها ونقلها بواسطة البحر إلى نيويورك حالما يتولى القيادة، ووجهت اليه وزارة الدفاع في ٨ أذار ١٧٧٨ تعليمات تأمره بان لايقوم بعمليات هجومية برية في داخل القارة وان يقتصر على غارات يشنها على الموانئ البحرية يدمر فيها ممتلكات الثوار ولاسيما السفن [١].

لكن كلنتون الذي لم يكن يمتلك مايكفي من السفن لنقل الجيش وتجهيزاته والموالين الذين كانوا في معيته يحاربون في صفوف قواته قرر ان يسحب الجزء الاغلب من قواته من فيلادليفيا براً وليس بحراً خشية من هجوم يشنه عليه الأسطول الفرنسي . وهكذا بدأ عشرة الاف مقاتل بريطاني انسحابهم من فيلادليفيا في ١٨ حزيران ١٧٧٨ فبادر واشنطن بدخول المدينة على الفور ثم أخذ يتبع القوات البريطانية المنسحبة لكنه كان متردداً في الهجوم عليها على الرغم من ان قواته كانت تتفوق في العدد على قوات كلنتون.

---

(1) Morison, Op .Cit., P.256.

وصل كلنتون في ٢٦ حزيران إلى مونموث Monmouth في نيوجرسي محاطاً بجيش واشنطن من الخلف والمليشيا الأمريكية من الجناحين. هنا انقسم ضباط واشنطن إلى فريقين الأول نصح واشنطن بالهجوم على قوات كلنتون والثاني حذره من هذا الهجوم اعتقاداً منهم بان جيش واشنطن مايزال غير مؤهل لمثل هذا الهجوم على الرغم من التحسن الذي طرأ عليه بفضل العمل الذي قام به فون ستوبن. اما واشنطن نفسه فقد اتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين إذ قرر القيام بالهجوم دون الدخول في مجابهة عامة في ظروف مواتية لهم [١].

كلف الجنرال لي بقيادة الهجوم على ان يسنده واشنطن ببقية القوات، لكن لي الذي تحرك لانجاز المهمة واقام تماساً مع البريطانيين لم يكن واثقاً من نجاح العملية ولم يصدر لقواته امراً واضحاً بالهجوم ثم لم يلبث ان اصدر لها امراً بالانسحاب بعد مناوشات متفرقة مع العدو. ويبدو ان اكتشاف لي انه يواجه القوة الأساسية للجيش البريطاني وليس حرس مؤخرته كما كان يعتقد في البداية هو الذي دفعه إلى اصدار امر الانسحاب خشية من الوقوع في فخ ينصبه له البريطانيون. وقد اثار تصرف لي هذا حنق واشنطن لدرجة حدثت بين الرجلين مشادة كلامية تبادلا خلالها كلمات خشنة ابدى لي خلالها عدم احترام لواشنطن فاصدر هذا امراً باحالته إلى محكمة عسكرية متهماً اياه بعدم اطاعة الاوامر والانسحاب المخجل وعدم احترام الضابط الاعلى [٢]، واخذ على عاتقه قيادة

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في:

Alden, Op. Cit., PP.391-392.

(٢) قضت المحكمة بابعاده عن القيادة لمدة سنة واحدة وصادق المؤتمر على هذا القرار بعد تردد لكن لي اعلن للمؤتمر انه لن يواصل الخدمة الا اذا ازيلت وصمة العار التي الحقتها به المحكمة العسكرية فصرفه المؤتمر من الجيش فذهب إلى مزرعته في فرجينيا واستقر فيها وظل من هناك يهاجم واشنطن في الصحف إلى ان توفي في فيلادليفيا في ١٧٨٢.

العملية التي اصبحت الان دفاعاً ضد الهجوم البريطاني المقابل.

تواصلت الاشتباكات بين الطرفين وكانت سجالاً بينهما وعانى كلاهما من مصاعب الطقس والانهاك، وانتهى الامر بتسلل كلنتون في احدى الليالي منسحباً إلى نيويورك التي وصلها بعد بضعة ايام.

لكن الأمريكيين كانوا اضعف في البحر فبحريتهم النظامية لم تكن في ١٧٧٧ تتعدى اربعاً وثلاثين سفينة انخفض عددها في ١٧٨٢ إلى سبع سفن فقط. وتلافياً لهذا النقص عمدوا كما اشرنا إلى تسليح السفن المدنية واستخدامها في مواجهة القوة البحرية البريطانية، وكان لديهم حوالي الفي سفينة من هذا النوع. كذلك لم يكن لديهم الا القليل من القادة البحريين المتميزين الذين تمكنوا من تحقيق انجازات مهمة في الحرب البحرية مثل جون بول جونز John Paul Jones الذي استطاع في ٢٣ ايلول ١٧٧٩ رغم امكاناته المحدودة ان يتغلب على السفينة البريطانية الجديدة سيرابيس Serapis ويأسر السفن التجارية التي كانت هذه السفينة تحرسها [1]. لكن مثل هذه الانجازات المحدودة تتضاءل امام جبروت الاسطول البريطاني. ومن هنا تأتي اهمية المساعدة التي تلقاها الأمريكيون من فرنسا واسبانيا إذ ان هذه المساعدة جعلت قوة الخصمين البحرية متعادلة تقريباً وافقدت بريطانيا السيطرة المطلقة على البحار.

كان واشنطن في ١٧٧٨ يعتقد بامكان كسب الحرب بهجوم موحد يشترك فيه الفرنسيون والأمريكيون، وقد دفعه إلى هذا الاعتقاد كون الأسطول الفرنسي المؤلف من احدى عشرة سفينة متفوقاً على الأسطول البريطاني الموجود في المنطقة. صحيح ان الجيش البريطاني كان متفوقاً على القوات البرية الفرنسية والأمريكية مجتمعة، لكن اذا استطاع الأسطول الفرنسي الاستيلاء على ميناء نيويورك والسيطرة عليه لمدة كافية فان واشنطن سيكون قادراً على جلب مليشيا

(1) Rigel and Haugh, Op. Cit., P.119.

من نيوانجلند وربما سيكون قادراً على اجبار القوات البريطانية على الاستسلام لأنها ستكون في هذه الحالة عاجزة عن الحصول على التجهيزات والنجدات التي كانت تأتيها بواسطة البحر. وهكذا اتفق واشنطن مع قائد الأسطول الفرنسي دي استنج D'Estaing على القيام بهجوم بحري وبري مشترك على نيويورك لكن فشل الأسطول الفرنسي في النفاد إلى المدينة اضطر القائدين إلى تحويل الهجوم إلى نيوبورت Newport في رودأيلند التي كانت فيها حامية بريطانية تتألف من ٣٠٠٠ رجل فقط . غير ان المدينة تقع في جزيرة ومقترباتها في غاية الصعوبة مما ادى إلى فشل العملية [1] . بعدها غادر دي استنج مع اسطوله إلى جزائر الهند الغربية تاركاً حلفاءه الأمريكيين الذين خاب املهم فيه. وقد ترتب على عملية نيوبورت هذه توتر في العلاقات بين القادة الأمريكيين والفرنسيين.

بعد الفشل الذي مني به الأمريكيون في نيوبورت اتجه واشنطن بجيشه إلى وايت بلينز White Plains وبقي هناك طيلة السنوات الثلاث القادمة منتظراً الفرصة لتوجيه ضربة قاصمة للعدو بالتعاون مع الاسطول الفرنسي .

كان الفشل الذي حاق بالامريكيين في نيوبورت فاتحة مرحلة سيئة جابه الثوار فيها صعوبات كبيرة فعلى الرغم مما وفره دخول فرنسا واسبانيا وهولندا الحرب ضد بريطانيا من امكانات اضافية للأمريكيين الا انهم لم يتمكنوا من الاستفادة من ذلك بالشكل الواجب ذلك ان مصالح هذه الدول لم تكن تتطابق دائماً مع مصالح الأمريكيين إذ ان لكل من تلك الدول اهداف خاصة بها نابعة من صراعها مع بريطانيا ومن نواياها التوسعية والانتقامية لذلك فان اسبانيا وهولندا رغم دخولهما الحرب لم تكونا حليفتين للولايات المتحدة وحتى فرنسا كانت في كثير من الاحيان وعلى الرغم من المساعدة القيمة التي قدمتها للثوار، تركز

(١) اخلى البريطانيون المدينة وانسحبوا منها في السنة التالية (١٧٧٩) .
Hicks, Op. Cit., P.152.

جهدها الأساس على الهند الغربية. واذا اضفنا إلى ذلك ما سببه توسع الحرب من تكثيف للجهد البريطاني الحربي وتكريس للتماسك الداخلي في بريطانيا، فالبريطانيين الذين " ربما لم يكونوا متحدين ضد المتمردين الأمريكان كانوا راغبين ومتشوقين للكفاح ضد فرنسا الغادرة واسبانيا الخؤون " [١] ادركنا الوضع الحرج الذي كانت عليه القوات الأمريكية في بداية العام ١٧٧٩ لاسيما وان ذلك اقترن بصعوبات اخرى كان الامريكيون يعانون منها في مقدمتها الحاجة إلى ادارة قوية والنقص في الاموال المخصصة للصرف على الجيش.

على اية حال كانت بريطانيا في هذه المرحلة قادرة، رغم كل شيء على ان تحتفظ في أمريكا بجيش يفوق من حيث العدد الجيش القاري كما انها كانت قادرة على استخدام التوري الموالين لها بشكل اوسع واكثر كثافة من السابق.

هدأت جبة القتال في الشمال بعد مونموث ولم تحدث فيها أي معارك كبيرة حتى نهاية الحرب وفشلت كل محاولات كلنتون لجر واشنطن الذي كان قد اقام تحصينات دفاعية حول نيويورك، إلى معركة مكشوفة خارج تلك التحصينات، فانسحب إلى نيويورك تاركاً حاميات صغيرة في المواقع التي كان يحتلها، فاستغل واشنطن ذلك وامر بالهجوم في ليلة ١٥ على ١٦ تموز ١٧٧٩ على ستوني بوينت Stony Point واجبر حاميتها البريطانية على الاستسلام، بعدها انسحبت القوات الأمريكية ومعها الاسرى والتجهيزات التي غنمتها ولم يجر أي اشتباك جدي بين الجانبين بعد هذه المعركة [٢].

لكن خطراً اخر تهدد واشنطن وجيشه ، تمثل بخيانة الجنرال بندكت ارنولد Benedict Arnold . لقد كان هذا ضابطاً كفوءاً برهن على قدرة

---

(١) Alden , Op.C it., P.389.

(٢) حول ما حدث بعد ذلك في الشمال ينظر:
Alden , Op.C it., PP.403-407.

واضحة وقابلية مشهودة في المرحلة الأولى من الحرب. وقد اثار سخطه ما اعتبره عدم تقدير من المؤتمر لقابلياته وغمط حقه في الترقية واغرته المكافآت السخية التي عرضها عليه البريطانيون فتوصل إلى ان يعين قائداً في ويست بوينت وتأمر لتسليم هذا الموقع المهم للبريطانيين، لكن واشنطن اكتشف المؤامرة في الوقت المناسب واحبطها فهرب ارنولد لاجئاً إلى البريطانيين واصبح بريكاديراً (عميداً) في الجيش البريطاني [١].

حقق واشنطن مكسباً اخر حين انتصر على الهنود الذين كان البريطانيون يحرضونهم في نيويورك وغرب بنسلفانيا، فعلى الرغم من ان الحملة التي أرسلها لهذا الغرض فشلت في تحقيق هدفها الأساس وهو الاستيلاء على حصن نياكارا Niagara الا انها قضت على الخطر الذي كانت القبائل الهندية الموالية للبريطانيين تؤلفه على قوات واشنطن خصوصاً بعد ان تمكنت حملة اخرى من مهاجمة المواقع البريطانية في ما يسمى اليوم الينويز وانديانا واثارت الرعب في قلوب الهنود في تلك المنطقة.

اتخذ القتال في الجنوب منحى اخر فحين فشل البريطانيون في تحقيق نصر حاسم في الشمال بدأوا اعتباراً من اواخر عام ١٧٧٨ بنقل جهدهم إلى الجنوب حيث الظروف ملائمة لهم أكثر من الشمال فالتوري هناك اقوى والمنطقة اقرب إلى جزر الهند الغربية التي يرابط فيها الجزء الرئيس من الأسطول البريطاني . وقد اعتقد الساسة البريطانيون بان هذه العوامل تمكنهم من استعادة السيطرة على الولايات الجنوبية فينطلقون إذا تم لهم ذلك من قواعدهم هناك ومن نيويورك لتضييق الخناق على الولايات الشمالية، لكن الجنرال كلنتون لم يكن يعتقد بامكان تحقيق هذا المشروع الطموح دون تعزيزات اضافية ترسل

---

(١) اختلف في تفسير خيانة أرنولد وذكرت اسبابا عديدة لذلك. انظر حول ذلك:
Alden, Op. Cit., PP.404-405; Morison, Op. Cit., P.259.

س بريطانيا ويرى ان الجيش البريطاني ليس بامكانه القيام بعمليات آمنة بعيدا عن الساحل حيث يتواجد الأسطول البريطاني لاسناده، ولذا فان الاهم في نظره كان محاصرة القواعد الساحلية والسيطرة عليها . واختار جورجيا المستعمرة الضعيفة والقليلة السكان لتكون أول الأهداف التي اراد الاستيلاء عليها فارسل اليها في شتاء ١٧٧٨-١٧٧٩ قوتين احداهما من نيويورك والاخرى من فلوريدا تمكنتا من اجتياحها وصد القوة الأمريكية التي ارسلت للدفاع عنها، لكن هذه القوة نجحت في المقابل في صد قوة بريطانية أرسلت للاستيلاء على تشارلستون وانقذت المدينة من السقوط.

في هذه الاثناء وصل الأسطول الفرنسي بقيادة دي ايستنج إلى سواحل جورجيا في خريف ١٧٧٩ حاملاً قوة تعدادها ٦٠٠٠ رجل الامر الذي اعطى الأمريكيين تفوقاً مؤقتاً،فنزل من هذه القوة في ١٢ ايلول ٣٥٠٠ مقاتل وانتشروا على طول الضفة الشمالية لنهر سفانا وانضم إلى هذه القوة ١٣٥٠ مقاتلاً من القوات الأمريكية بقيادة بنيامين لنكولن Genjamin Lincoln وضربوا حصارا على قاعدة البريطانيين الرئيسة في سفانا لكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها لان دي ايستنج قام بهجومه في ٩ تشرين الأول أي قبل ان يكتمل قدوم القوات الأمريكية لانه لم يشأ ان ينتظر أكثر من ذلك تاركاً اسطوله في موضع خطر معرض للعواصف. وبعد ان تكبد الفرنسيون والأمريكيون خسائر فادحة في هذا الهجوم قرر دي ايستنج المغادرة بأسطوله وفشل لنكولن باقناعه بالبقاء. وهكذا "انتهت المحاولة الثانية للتعاون الفرنسي – الأمريكي بنفس جو المرارة والتحرر من الوهم الذي انتهت به المحاولة الأولى " [١].

استعاد البريطانيون بعد انسحاب دي ايستنج السيطرة في البحر على طول الساحل الأمريكي كله، فاستغل كلنتون الذي كان قد حقق في اواخر ربيع

---

(1) American Military History … P.86.

١٧٧٩ نجاحات لايستهان بها في فرجينيا ذلك للقيام بحملة كانت الحكومة البريطانية تلح على القيام بها مستفيداً ايضاً من افتقار واشنطن آنذاك للعدد والتجهيزات الكافية لصده، فسار باتجاه تشارلستون من جهة البر وضرب عليها في ٨ نيسان ١٧٨٠ حصاراً من البر والبحر واجبر لنكولن الذي كان يقود الدفاع عن المدينة على الاستسلام في ١٢ ايار من ذلك العام ، فوقع في اسر القوات البريطانية نتيجة لذلك ما يقرب من ٥٥٠٠ مقاتل امريكي مع اسلحتهم وذخيرتهم وسفنهم وكل متعلقاتهم العسكرية والبحرية، وكانت هذه " اعظم كارثة اصابت الأمريكان خلال الثورة كلها " [١].

تخلى الكثير من الأمريكيين بما في ذلك العديد من الشخصيات البارزة عن ولائهم للقضية الوطنية [٢] بعد سقوط تشارلستون وتوالت الانحدارات على الجيش الأمريكي ، وعاد كلنتون إلى نيويورك بثلث القوة التي كانت بامرته تاركاً الجنرال كورنواليس مع ٨٠٠٠ مقاتل ليتابع النصر بمساعدة التوري وصرح قبل مغادرته تشارلستون قائلاً " اذا لم يتدخل الاسطول الفرنسي أو الاسباني فاني اعتقد بان عملاً قليلاً اذا عزز كما ينبغي سيعطينا كل المنطقة من هنا حتى نهر هدسن " [٣].

تشجع التوري الموالون لبريطانيا بالنصر الذي احرزه البريطانيون فنزلوا إلى الساحة بكثافة لكن فصائل الثوار تصدت لهم فقامت في المنطقة حرب اهلية ضروس كانت فصائل الثورة خلالها تغير على مواقع وخطوط مواصلات البريطانيين وتتصدى بشجاعة وحزم لعصابات التوري.

---

(1) Morison, Op. Cit., P.257.

(٢) انظر حول ذلك:

Alden, Op. Cit., P.415.

(3) Quoted in Ibid. P.416.

في هذه الاثناء عين المؤتمر القاري الجنرال هوراشيو كيتس Horatio Gates بطل ساراتوغا قائداً للمنطقة الجنوبية متجاوزاً بذلك نصيحة واشنطن فوضع كيتس هذا خطة هجوم تفوق الإمكانات المتاحة لديه. لكن كورنواليس خرج من تشارلستون وتصدى له فوقعت في ليلة ١٥ على ١٦ آب ١٧٨٠ في كامدن Camden معركة ربحها البريطانيون الذين اجبروا كيتس على الفرار[1].

مما زاد الطين بلة بالنسبة للأمريكيين انهم كانوا في هذه المرحلة يعانون في الشمال من مشاكل متعددة كان يصعب عليهم في كثير من الاحيان حلها، فقد انخفضت قيمة العملة القارية لدرجة لم تعد لها قيمة من الناحية العملية الامر الذي جعل المؤتمر عاجزاً عن دفع رواتب الجنود أو شراء ما يحتاجه الجيش. ولم تجد محاولة المؤتمر حل المشكلة بتحويل مسؤولياته في التجهيز إلى الولايات بحيث تتحمل كل ولاية مسؤولية تجهيز قواتها الخاصة وتتحمل نسبة معينة من التجهيزات التي يحتاجها الجيش وذلك لان الولايات كانت تتلكأ في تنفيذ التزاماتها تلك وحتى حين تنفذ ماهي ملزمة بتنفيذه فانها نادراً ما تفعل ذلك في الوقت المناسب والمكان المناسب. والاهم من كل ذلك ان الحماس الثوري الذي كان المقاتلون الأمريكان مشبعين به قد خف لدرجة كبيرة وزادت حالات الهروب من الجيش. كتب احد قادة الجيش إلى واشنطن يقول: " ان رجال المليشيا لدي يهربون وولايات نيوانجلند لاترسل اية تعزيزات فضلاً عن انهم يتهمونني بالخيانة" [2] . ليس هذا فحسب بل ان بعض قطعات الجيش تمردت وسار ١٧٠٠ منهم يريدون الوصول إلى فيلادلفيا مقر المؤتمر . وحاول كلنتون ان يستغل ذلك فارسل مبعوثين لاغراء هؤلاء المتمردين بالانضمام اليه في نيويورك لكن

(1) انظر تفاصيل ذلك في :
Morison, Op. Cit., PP.258-259; Alden, Op. Cit., P.420.
(2) Tsit Malkin, Tam. Zche. Str.186.

هؤلاء القوا القبض على المبعوثين وسلموهما إلى الضباط الوطنيين الذين قاموا بإعدامهما [1] .

لقد كان ذلك كله يشل المجهود الحربي لدرجة كبيرة ويجعل من الصعب على واشنطن ان يحافظ على تماسك الجيش، لهذا فقد تحتم على المؤتمر ان يتخذ عدداً من التدابير المالية والادارية والتنظيمية التي من شأنها ان تزيد الجيش عدداً وقوة، كما عمد إلى استبدال القيادة في الجنوب وعمل هذه المرة بتوصية واشنطن فعين الجنرال كرين Greene بدلاً من كيتس قائداً للمنطقة الجنوبية كما عين عدداً اخر من الضباط الكفوئين قادة لعدد من وحدات الجيش هناك منهم دانيال مورغان Daniel Morgan وهنري لي Henry Lee اللذين وفرا لجيش الجنوب القيادة الكفء التي ظل يفتقر اليها زمناً طويلاً.

كان لهذه الاجراءات اثرها في تقوية وتعزيز الجيش الأمريكي ورفع معنويات مقاتليه في الشمال والجنوب لاسيما وان الثوار كانوا قد احرزوا في ٧ تشرين الأول أي حتى قبل ان يتولى كرين القيادة في الجنوب نصراً مشهوداً على العدو في كارولينا الشمالية التي حاول البريطانيون ان يغزوها. لقد اشترك في هذه المعركة ١٤٠٠ مقاتل من مليشيا الحدود الأمريكية مقابل ١٠٠٠ من التوري أي انها كانت معركة بين الأمريكيين الثوار والأمريكيين الموالين لبريطانيا الذين كان يقودهم فرغسون Ferguson الذي كان المقاتل البريطاني النظامي الوحيد في هذه المعركة . لقد كان ذلك نصراً مشهوداً للأمريكيين إذ "لم يستطع أي من رجال فرغسون تجنب الموت أو الاسر " [2].

(1) انظر حول هذه التمرادات والاضطرابات في الجيش:
Alden, Op. Cit., P.406-407; Fursenko, Tam. Zche. Str. 98.
(2) American Military History … P.91.

لقد احبطت نتيجة هذه المعركة خطط كونواليس بغزو كارولينا الشمالية واضطرته إلى التراجع إلى كارولينا الجنوبية، كما انها قضت على خطة كلنتون بتأسيس قاعدة لعملياته في فرجينيا لانَ القوة التي ارسلها لانجاز ذلك اضطرت إلى التحول لدعم كورنواليس.

وجد كرين الجيش الأمريكي عندما تسلم القيادة من كيتس في اوائل كانون الأول ١٧٨٠ في حالة مزرية فعدد مقاتليه على الورق كان ٣٤٠٠ مقاتل لكن لم يكن حاضراً من المؤهلين للقتال منهم الا ١٥٠٠ رجل منهم ٩٤٩ فقط من الجنود النظاميين. وكان هؤلاء تعوزهم الملابس والمؤن ويفتقرون إلى التنظيم . لهذا فقد قرر كرين الانتظار وعدم التعجل في مجابهة القوات البريطانية المتفوقة عليه والاكتفاء في هذه المرحلة بارسال زمر من المقاتلين تهاجم خطوط تموين كورنواليس وتنهك جيشه، والعمل في الوقت نفسه على زيادة قوة جيشه هو تدريجياً الى ان يصل إلى درجة من القوة تمكنه من دحر الجيش البريطاني الذي تكون الزمر التي أرسلها للاغارة عليه قد انهكته بغاراتها المتكررة ، كما امر المهندسين المرافقين له باجراء مسح شامل للمنطقة تمكن بواسطته من التعرف على خصائصها واختار المواضع المناسبة.

في مقابل هذه الخطط الحكيمة ارتكب كورنواليس خطأ جسيما إذ ترك مواقعه على الساحل واندفع في داخلية القارة مخالفاً بذلك نصائح كلنتون الذي كان يؤكد عليه بان لايتوغل في كارولينا الشمالية الا اذا امن مواقعه في كارولينا الجنوبية من الخطر. الحقيقة ان كورنواليس لم يكن يتمتع بالصفات اللازمة للقيام بالمهمة التي اوكلت اليه. لقد كان على حد تعبير المؤرخ ألدن " جنرالاً بين الجنود ومجرد جندي بين الجنرالات " (١). وقد غض كلنتون النظر عن

(1) Alden, Op. Cit., P.417.

ممارسات كورنواليس الخطرة لانه كان يعلم ان هذا الاخير كان يحظى باسناد كبير من لندن وان له صلات شخصية مع الوزراء هناك.

استطاع كرين الذي قرر التحرك شمالاً باتجاه فرجينيا ان يجعل كورنواليس يتتبعه دون ان يشتبك معه وهدفه من ذلك اضعاف قوة كورنواليس واستنزاف المؤن الباقية لديه في الوقت الذي كان هو يستجمع قواته ويعززها . وتنفيذاً لهذه الخطة تراجع كرين صعوداً إلى جنوب فرجينيا عبر كارولينا الشمالية ثم عاد مرة اخرى إلى كارولينا الشمالية وكورنواليس يطارده، وانتظر إلى ان اصبح مستعداً للمواجهة في ارض اختارها بنفسه في كارولينا الشمالية.

حدث الصدام في ١٥ آذار ١٧٨١ وفيه احرز البريطانيون النصر بسبب تفوق مدفعيتهم لكنهم فقدوا حوالي ٣٠% من قوتهم التي اشتركت في المعركة كما اصبحت القوة الباقية لديهم منهكة وتنقصها المؤن لهذا قرر كورنواليس الانسحاب إلى الساحل لكي يحصل على المؤن بواسطة البحر (١) ، ومن هناك قرر التوجه شمالاً للانضمام إلى القوات البريطانية التي كان الجنرال كلنتون قد ارسلها إلى فرجينيا. اما كرين فقد توجه إلى كارولينا الجنوبية وهدفه القضاء على المواقع البريطانية في داخلية القارة. ومع انه خسر هناك معركتين الأولى في ٢٥ نيسان والثانية في ٨ أيلول الا ان ذلك لم يفد البريطانيين ولم يحسن موقفهم إذ لم تلبث مواقعهم في المناطق الداخلية من كارولينا الجنوبية وجورجيا ان سقطت الواحد بعد الاخر واجبروا في تشرين الأول على الانسحاب إلى معاقلهم الساحلية في تشارلستون وسفانا . وهكذا فان النتيجة النهائية لهذه المناوشات كانت لصالح كرين رغم خسرانه بعض المعارك.

في هذا الوقت كان كلنتون يفكر في تأسيس قاعدة بحرية في خليج تشيسابيك Chesapeake في فرجينيا يتخذها منطلقاً للتحرك نحو بنسلفانيا سوية

(1) Morison, Op. Cit., P.260.

مع قوات تتحرك من نيويورك في نفس الاتجاه لتؤلف القوتان كماشة تطبق على بنسلفانيا، فارسل إلى فرجينيا لتحقيق ذلك قوة تتألف من ١٦٠٠ رجل من الموالين المتطوعين بقيادة ارنولد القائد الأمريكي الذي خان القضية الأمريكية. ومع ان واشنطن تصدى لهذه القوة بالاشتراك مع قوة بحرية فرنسية بقيادة الامير ال دستوتشس Distoushes وبرية بقيادة لافاييت Lafayethe الا انه لم يحقق النجاح [1].

في هذه الاثناء وصل كورنواليس إلى فرجينيا وتولى قيادة كل القوات البريطانية الموجودة فيها وكان عددها ٧٠٠٠ مقاتل أي ما يقرب من ثلث القوات البريطانية الموجودة في أمريكا . اراد كورنواليس ان يتوغل بها في المناطق الداخلية من فرجينيا بعيداً عن الساحل وتحرك بالفعل في ذلك الاتجاه لكن كلنتون الذي كان يفضل تأسيس قاعدة بحرية في فرجينيا كما ذكرنا اصدر اليه اوامر قاطعة بالعودة إلى الساحل وتأسيس القاعدة التي يريدها وارسال جزء من قواته إلى نيويورك ، فعاد واتخذ ميناء يوركتاون مقراً له وقرر تأسيس القاعدة المطلوبة فيها والاحتفاظ بجميع قواته في تلك القاعدة.

خلال ذلك كان لافاييت يتتبع كورنواليس بحذر وجرت بين الاثنين في ٦ تموز مناوشات بالقرب من وليامسبورغ Williamsburg خسرها لافاييت فاكتفى بالانتظار ومراقبة البريطانيين الذين استقروا في يوركتاون.

استغل واشنطن تحرك كورنواليس نحو يوركتاون واستقراره فيها لتوجيه ضربة حاسمة له بالتعاون مع الأسطول الفرنسي، فاجرى لهذا الغرض تنسيقا ممتازا مع الفرنسيين امكن بنتيجته محاصرة يوركتاون من البر والبحر ، ولم يستطع البريطانيون فك الحصار بسبب قيام الأمريكيين بهجوم تمويهي باتجاه

(1) American Military History ... P.95.

نيويورك لخداع كلنتون واعاقته عن انجاد كورنواليس، كما ان الاسطول البريطاني تأخر في التحرك للغرض نفسه.

احكم الأمريكيون والفرنسيون الحصار على قوات كورنواليس في ٦ تشرين الأول ١٧٨١ . وحين فشل كورنواليس في فك الحصار ورأى ان لامفر من الاستسلام اعلن في ١٧ تشرين الأول رغبته في التفاوض، فالتقى في اليوم التالي مفوضون عن الجانبين للاتفاق على شروط الاستسلام. وفي ١٩ من الشهر نفسه استسلمت كل القوات التي كانت بامرة كورنواليس وعددها ٦٠٠٠ مقاتل، ألقوا اسلحتهم تحت انغام لحن قديم كانت تعزفة فرقة بريطانية عنوانه " لقد انقلب العالم رأساً على عقب " [1].

انهت معركة يوركتاون الحرب من الناحية العملية إذ لم تحدث بعدها اية معركة كبيرة، فمع ان كلاً من كلنتون وواشنطن احتفظا بجيشهما بالقرب من نيويورك وتشارلستون لمدة عامين اخرين الا انه لم يحدث بينهما صدام كبير واقتصر القتال على مناوشات محدودة في الجنوب.

كان لمعركة يوركتاون صدى كبير في أمريكا فحين وصل خبر النصر إلى فيلادلفيا في ٢٢ تشرين الأول فتحت نوافذ البيوت واشعلت الشموع وتدفق المواطنون إلى الشوارع يعانق بعضهم بعضاً رغم ان الوقت كان الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

اما في بريطانيا فكان لنتيجة المعركة وقع صاعق لدرجة ان الملك جورج الثالث فكر في التنازل عن العرش لكنه عاد عن ذلك واراد مواصلة الحرب غير انه جوبه بمعارضة شديدة قادها حزب الويك الذي احرز الاغلبية

(1) Efimov, Tam zhe . str. 114; American Military History ... P.99.
انظر تفاصيل المعركة في :
American Military History ... PP.97-99.

في البرلمان وجعله يتخذ قرارا باعتبار كل من يدعو لاستمرار الحرب عدوا للشعب [1]. وهكذا اضطر الملك إلى القبول باستقالة الحكومة وتأليف حكومة جديدة برئاسة اللورد روكنجهام Rockingham الذي كان يكن له كرها شديدا بسبب مسؤوليته عن الغاء قانون الطابع في حينه. واقرت الحكومة الجديدة بخسران بريطانيا للحرب مع الأمريكيين وكرست جهدها فيما تبقى من مدتها لانقاذ ما يمكن انقاذه في الهند والهند الغربية.

لقد غيرت حكومة روكنجهام التي تولت الحكم في ٢٧ أذار ١٧٨٢ سياسة بريطانيا تجاه أمريكا فارسلت كاي كارلتون Guy Carleton إلى نيويورك ليحل محل كلنتون قائداً عاماً للقوات البريطانية في أمريكا وزودته بتعليمات تقضي بان ينتهج سياسة دفاعية وتسمح له بان يستسلم اذا هُجم بقوة كبيرة وطلبت منه ان يحاول اقناع الأمريكيين بان يسمحوا له بنقل قواته دون عائق إلى اماكن يمكنه فيها ان يستخدمها ضد الفرنسيين والاسبان. ومع انه حاول ذلك وحاول ايضاً اقناع الأمريكيين بالعودة إلى الإمبراطورية البريطانية الا ان محاولته هذه كان مصيرها الفشل لان الأمريكيين رفضوا ذلك معتبرينه فخا نصب لهم لابعادهم عن حلفائهم والانفراد بهم [2].

عقد الصلح:

جرت خلال الحرب عدة محاولات للتوسط لانهائها . وقد بدأت هذه المحاولات بالاقتراح الاسباني الذي سبقت الإشارة اليه والذي قدمته الحكومة الاسبانية في ١٧٧٩ وكان يقضي بانهاء الحرب وفق المبدأ المعروف في مثل هذه الحالات ونعني مبدأ Unti Possidetis الذي يعني الاعتراف بالحدود وفقا

(1) Efimov, Tam the . str. 114-115.
(2) Alden, Op. Cit., P.479.

لخارطة الحرب القائمة على الأرض، أي الاعتراف المتبادل بحقوق الجهات المتحاربة في الأراضي التي يحتلونها، مع بعض الترتيبات الخاصة بالمستعمرات الأمريكية مثل استقلالها الذاتي ضمن الإمبراطورية البريطانية. لقد كان الوسطاء يأملون بان ذلك من شأنه ان يؤلف حلاً يرضي كل الفرقاء ولايتعارض في الوقت نفسه مع التزامات فرنسا تجاه الولايات المتحدة. ولاغراء الولايات المتحدة وجعلها توافق على الاشتراك في التفاوض على هذا الاساس تضمن الاقتراح اعترافاً ، وان بشكل غامض باستقلالها De Facto اثناء المفاوضات فقط، لكن الوسطاء اصروا على ان تجري المفاوضات على مستويين الأول محادثات مباشرة بين ممثلين عن بريطانيا والمستعمرات والثاني مفاوضات عامة، بين الدول المتحاربة تجري بحضور ممثلين عن دولة خارجية على ان توقع معاهدات الصلح والترتيبات التي سيجري التوصل اليها سوية ولاتنفذ الا مجتمعة ومضمونة من قبل الدول التي تقوم بالوساطة والدول الأخرى معاً [1].

لم ينطل الغرض الحقيقي من هذه المقترحات على المؤتمر القاري الذي ادرك ان الهدف منها هو خداع الولايات المتحدة وجعلها تتخلى عن مطلب الاستقلال التام من اجل مصالح الدول الأوربية. ولهذا اصدر المؤتمر في ١٤ آب ١٧٧٩ تعليمات تضمنت شروطاً للصلح جرت صياغتها بتأثير مباشر من المبعوث الفرنسي، توقعاً لمؤتمر صلح يمكن ان يعقب المقترحات الاسبانية للوساطة، واريد لها ان توجه عمل جون ادمز الذي عين مبعوثاً مطلق الصلاحية للتفاوض على الصلح. لقد منعت هذه التعليمات المبعوث الأمريكي من ان يجري أي تفاوض مالم تعترف بريطانيا اولاً بالولايات المتحدة حرة ومستقلة وذات سيادة وما لم يؤكد هذا الاستقلال ويعزز بمعاهدة أو معاهدات الصلح. وعينت التعليمات الحدود التي يطلبها المؤتمر واكدت حق الأمريكيين في الصيد في

(1) Bemis, A diplomatic History ... P. 46.

سواحل ومضاحل نيوفاوندلاند وحقهم في الملاحة في نهر المسيسبي حتى الحدود الجنوبية للولايات المتحدة وكذلك حريتهم بالتجارة مع أي ميناء على المسيسبي يقع إلى الجنوب من تلك الحدود، وضم نوفاسكوتيا إلى الولايات المتحدة أو منحها الاستقلال [١]. واشارت التعليمات ايضاً إلى ان المؤتمر يمكن ان يقبل الهدنة اذا وافقت فرنسا على ذلك ولكن فقط في حالة " سحب جميع قوات العدو فوراً من الولايات المتحدة ". وختم المؤتمر تعليماته هذه مخاطباً جون ادمز "عليك في جميع المسائل التي لم تذكر اعلاه ان تهتدي بالحلف بين جلالته المسيحية [ملك فرنسا] وهذه الولايات وبنصيحة حلفائنا وبمعرفتك بمصالحنا وحصافتك الخاصة التي نضع فيها كامل ثقتنا " [٢].

بعد اقتراح اسبانيا الوساطة عرضت كل من النمسا وروسيا بالتعاقب وبشكل غير رسمي نواياهما الحسنة واستعدادهما للتوسط بين المتحاربين الأوربيين. لقد كان الغرض الحقيقي للنمسا من عرضها الوساطة هو الانتقام من فرنسا واحباط مشروعها القاضي باذلال بريطانيا واعلاء شأن فرنسا في القارة الأوربية وذلك لوقوف فرنسا إلى جانب بروسيا في حرب الوراثة البافارية [٣].

---

(1) Pleshkov, Tam zhe str.66.
(2) Quoted im Bemis, A diplomatic History ... P. 49.
(٣) بعد وفاة ناخب بافاريا مكسيمليان الثالث في كانون الأول ١٧٧٧ دون وريث تمكنت الحكومة النمساوية من اقناع خلفه ناخب بفالتس بالموافقة على تقسيم بافاريا وعقدت معه في ٣ كانون الثاني ١٧٧٨ ميثاقا حول ذلك اعطاها مايقرب من ثلثي اراضي بافاريا، واستفز ذلك بروسيا التي لم تكن تريد ان تتقوى مواقع آل هابسبرك ويزداد نفوذهم في المانيا ، كما استفز ايضاً سكسونيا التي كانت تطمع بالاستيلاء على بعض الأراضي البافارية فشنت الدولتان في ٥ تموز من العام نفسه حرباً على النمسا، وتعرضت النمسا خلال هذه الحرب إلى ضغط شديد من روسيا وفرنسا اللتين ناصرتا بروسيا فاضطرها ذلك إلى الموافقة على عقد الصلح والغاء ميثاق ٣كانون الثاني ١٧٧٨.

لم يصادف العرض النمساوي هوى لدى بريطانيا وفرنسا واسبانيا وعملت هذه الدول على التملص منه . عند ذلك قدمت روسيا في ١٧٨٠ اقتراحاً بان تقوم بالوساطة ، وكانت مدفوعة إلى ذلك برغبة كاترين الثانية في زيادة هيبة ومكانة روسيا في أوربا عن طريق اضطلاعها بدور الضامن للتسوية الأوربية التي ستعقب الحرب.

تلقفت النمسا الاقتراح الروسي واصدر مستشارها كاونتز في صيف ١٧٨١ باسم النمسا وروسيا دعوة رسمية للمتحاربين الأوربيين للقاء في فينا للتوصل إلى عقد صلح بمساعدة روسيا والنمسا . وقبلت بريطانيا الدعوة لأنها كانت تأمل بان تحظى اثناء المفاوضات باسناد روسيا التي حاولت ان ترشوها بان عرضت عليها جزيرة منوركا. اما فرنسا واسبانيا فقد قبلتا الدعوة من حيث المبدأ لكنهما اخذتا تراوغان للتملص منها فرنسا انتظاراً لحملة اخرى ناجحة في أمريكا واسبانياً املا باعداد هجوم ناجح على جبل طارق.

هنا حدثت معركة يوركتاون وحققت نجاحاً باهراً للأمريكيين والفرنسيين فجعلت السلام بين بريطانيا والمستعمرات ممكناً دون وسطاء.

لقد كان فرجن قبل النصر الذي تحقق في يوركتاون مستعداً لان يوافق على صلح يقوم على اساس خارطة الحرب القائمة على الأرض باستثناء مدينة نيويورك ولونج ايلند اللتين لم يكن يرضى بان تبقى لدى البريطانيين. اما الان فانه سعى لان يهيمن على محادثات الصلح وحاول جاهداً لان يتمكن من توجيه ادمز الذي ارسله المؤتمر إلى باريس مزوداً بالتعليمات التي اشرنا اليها.

حين وصل أدمز إلى أوربا لم يعد للاقتراح الاسباني بالوساطة اهمية لان اسبانيا كانت قد دخلت الحرب قبل ذلك . لكنه أي ادمز حرص على التمسك بالمصالح الأمريكية ورفض ان يتخذ دور المنفذ لخطط فرجن وأثار حنق هذا الاخير باقتراحه دعوة البريطانيين باية طريقة كانت للاشتراك في مناقشة شروط

الصلح وكان يهدف من ذلك إلى القاء مسؤولية الحرب على جورج الثالث، كما انه تصرف مع فرجن تصرف الند للند واخبره بان الولايات المتحدة مهمة وقيمة للسياسة الفرنسية كأهمية فرنسا للولايات المتحدة. وحين ناقش الاثنان فيما بعد احتمال عقد مؤتمر للصلح في فينا على اساس الاقتراح النمساوي – الروسي الذي سبق ذكره اصر أدمز على ان الولايات المتحدة لن تحضر أي مؤتمر من هذا النوع الا بعد ان تعترف الدول المشتركة فيه باستقلالها التام. هنا ادرك فرجن انه لن يستطيع السيطرة على ادمز فاخذ يسعى لجعل المؤتمر القاري يستبدله بشخص اخر ونجح في ذلك حين قرر المؤتمر في ١٥ حزيران ١٧٨١ ضم أربعة مبعوثين اخرين إلى ادمز هم بنيامين فرانكلين وجون جي وتوماس جفرسون وهنري لورين. وقد رفض جفرسون في البداية المهمة التي القاها المؤتمر على عاتقه وعندما اصر المؤتمر على تعيينه وافق على ذلك لكن مرض زوجته ثم وفاتها اعاقه عن الالتحاق بالبعثة ، اما لورين فكان اسيراً لدى البريطانيين وحين اطلق سراحه بكفالة كبيرة بعد ذلك التحق بالبعثة واشترك في محادثات الصلح لكن دوره لم يكن مؤثراً، لوصوله متأخراً ولانه كان مريضاً ومحبطاً بسبب مقتل ابنه في احدى معارك الحرب.

لم يكتف الفرنسيون بهذا النجاح فقط بل بذل مبعوثهم في الولايات المتحدة لوزرين Luzerne جهوداً مكثفة استطاع بنتيجتها ان يجعل المؤتمر يزود مبعوثيه هؤلاء في ١٥ حزيران ١٧٨١ بتعليمات جديدة تحتم عليهم العمل بالتوافق مع فرنسا والالتزام بنصائحها.

لقد منحت التعليمات الجديدة هؤلاء المبعوثين مجتمعين أو كلاً على انفراد " الحرية في تأمين مصلحة الولايات المتحدة بالطريقة التي تمليها الظروف وتبعاً لما تتطلبه حالة المحارب وتوجهات الدول التي تقوم بالوساطة " [1]

(1) Quoted in Benis, A diplmatic History … P.50.

باستثناء نقطة اساسية لاغنى عنها هي الاستقلال. واكدت التعليمات ان على ممثلي الولايات المتحدة عند وضع بنود الصلح " ان يقيموا في جميع القضايا أكثر الصلات مباشرة وموثوقية مع وزراء حليفنا النبيل ملك فرنسا وان لايقوموا اثناء مفاوضات الصلح أو الهدنة باي شيء دون علمهم وموافقتهم وان يلتزموا في النهاية بنصيحتهم ورأيهم وان يجهدوا في كل تصرفاتهم لجعلهم يشعرون بمدى القوة التي نعول بها على نفوذ جلالته في المساندة الفعالة لكل ما يمكن ان يكون ضرورياً لسلام وامن الولايات المتحدة الأمريكية وازدهارها اللاحق " [1].

لقد وضعت هذه التعليمات كما هو واضح البعثة الأمريكية تحت سيطرة البلاط الفرنسي " لم يحدث في التاريخ ان جعل شعب ما مصيره بمثل هذه الثقة والسذاجة الزائدة تقرره دولة اجنبية " [2]. وبالفعل لو حدث ان التزمت البعثة الأمريكية بهذه التعليمات لاصبح فرجن قادراً على التحكم بالمفاوضات إلى ان تتحقق فيها مصالح فرنسا بشكل كامل وربما إلى ان يتحقق ايضاً ما هو ممكن من مصالح حلفاء فرنسا، ولكان من الممكن ان يتأخر الصلح إلى ان يتحقق لاسبانيا الاستيلاء على جبل طارق، أي ان المفاوضات كانت ستطول وستدخل في متاهات غير محسوبة وربما لن يجري التوصل إلى الصلح في وقت قصير.

لكن الضربة الصاعقة التي وجهت لبريطانيا في يوركتاون قلبت الأوضاع وقضت على هذه الاحتمالات، إذ انها مكنت المعارضة البرلمانية في بريطانيا من الاطاحة بحكومة نورث كما ذكرنا والتوجه نحو الصلح. وعلى هذا الاساس بدأت المفاوضات في عهد وزارة روكنجهام التي كانت عبارة عن تجمع هش ضم مختلف مجموعات المعارضة وكان فيها وزير الخارجية الجديد فوكس Fox من الداعين إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة إذ انه كان يعتقد بان

(1) Tsit. Pleshkov, Tam zhe . str. 71-72.
(2) Bemis, A diplomatic history … P.50.

الولايات المتحدة اذا احرزت هدفها الاساس أي الاستقلال فانها سوف ترفض مواصلة الحرب من أجل اهداف غير أمريكية، أي سيتأتى لبريطانيا تحقيق التباعد بين الولايات المتحدة وحلفائها في الحرب القائمة، واذا تحقق الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة فان التفاوض معها سيكون من اختصاص وزارة الخارجية باعتبارها اصبحت دولة اجنبية. لكن الذي بدأ المفاوضات مع الأمريكيين كان اللورد شيلبورن Shelbirme وزير الداخلية.

بدأت المفاوضات في باريس في ١٢ نيسان ١٧٨٢ بين ريتشارد ازوالد Oswald الذي ارسله شيلبورن لهذا الغرض وبين فرانكلين الذي كان انذاك المتواجد الوحيد من اعضاء البعثة الأمريكية لان اعضاء البعثة الاخرين لم يكونوا قد وصلوا بعد.

في الوقت نفسه تولى فوكس التفاوض مع الدول الأوربية المشتركة في الحرب ضد بريطانيا وذلك من خلال مبعوث من وزارة الخارجية هو توماس كرينفيل Grenville وهو ابن جورج كرينفيل رئيس الوزراء السابق وصاحب قوانين كرينفيل التي مر بنا ذكرها.

في هذه الاثناء توفي في ١ تموز ١٧٨٢ رئيس الوزراء روكنجهام فتولى رئاسة الوزارة شيلبورن الذي اخذ على عاتقه ادارة المفاوضات وجعل التفاوض مع الأمريكيين من مهمة وزارة الداخلية ووزيرها الجديد توماس تاونشيند وهو ابن تشارلس تاونشيد واضع قوانين تاونشيند التي سبق ذكرها، ومع الأوربيين من مهام وزارة الخارجية واللورد كرانثام Grantham وزيرها الجديد بعد فوكس ومعه الين فيتزهربرت Fitzherbert باعتباره مبعوثاً تام الصلاحيات في باريس ، بدلاً من كرينفيل.

لم يلبث شيلبورن ان اقتنع بان عليه ان يعترف باستقلال الولايات المتحدة ثمناً للسلام الذي كان ينشده إذ اعتقد بان عقد الصلح مع الولايات المتحدة من

شأنه ان يمكن بريطانيا من تركيز كل جهودها على الحرب مع خصومها الأوربيين ويعزز مواقفها في محادثات الصلح ، لكنه سعى لان يؤجل هذا الاعتراف إلى حين وضع المعاهدة التي ستنهي الحرب لكي يجعله موضوعاً يساوم به لتحقيق الاهداف البريطانية . غير انه اصطدم بتصلب فرانكلين وفرجن اللذين افهما اوزوالد وكرينفيل ان أياً من دولتيهما لن توقع صلحاً منفرداً مع بريطانيا وانهما لن تتنازلا عن أي شيء مقابل الاستقلال الأمريكي لانه حقيقة واقعة لاتستطيع بريطانيا أو غيرها تجاهلها [1].

لقد كان فرجن يخشى ان يتمكن البريطانيون من اقناع الأمريكيين بان اشتراك فرنسا بالمفاوضات سوف يؤدي إلى تأخير عقد الصلح إلى ان تتحقق اهداف غير أمريكية منها على سبيل المثال عودة جبل طارق إلى اسبانيا فيجعلوهم بذلك يتركون فرنسا ويتجهون نحو بريطانيا. لهذا فانه كان يرغب بان تجري كل المفاوضات بشكل مشترك وان تكون المعاهدات التي يجري التوصل اليها مرتبطة الواحدة بالاخرى بحيث لاتنفذ الواحدة منها الا اذا نفذت المعاهدات الأخرى. ولكن حين اقترح ازوالد وكرينفيل ان يتفاوض الأمريكيون لوحدهم مع البريطانيين لم يعترض على ذلك واشترط فقط ان تضمن نتيجة هذه المفاوضات في معاهدة الصلح وذلك لان فرانكلين اظهر اثناء هذه المفاوضات اخلاصه للحلف مع فرنسا حيث كان يعلم فرجن باستمرار بما كان يجري فيها كما انه افهم المندوبين البريطانيين اللذين كانا يحاولان اقناعه بالابتعاد عن فرنسا والعودة إلى بريطانيا بان الولايات المتخذة لايمكن ان تتخلى عن حلفها مع فرنسا وان على بريطانيا اذا ارادت ان تستعيد احترام الأمريكيين ان تعترف باستقلال الولايات المتحدة وتعقد معها معاهدة للصلح على اساس ذلك [2].

---

(1) Alden, Op. Cit. P.485.
(2) Bemis, A Diplomatic History … P.52.

في اثناء هذه المحادثات التي لم تكن قد اصبحت رسمية لان المبعوث البريطاني لم يكن قد فوض بالسلطة الكاملة بعد، اعلم فرانكلين نده البريطاني في ٣٠ تموز ١٧٨٢ بشكل سري ودون ان يذكر ذلك لفرجن أو لاي شخص اخر غير ازوالد بما ترغب به الولايات المتحدة وما تتوقعه من اتفاق الصلح وذكر ان ذلك يتألف من مجموعتين من المطالب المجموعة الأولى عدها ضرورية والثانية قال عنها انها امور مرغوب فيها، تضمنت المجموعة الأولى اعتراف بريطانيا باستقلال المستعمرات الثلاث عشرة وسحب جميع القوات البريطانية من اراضيها وتسوية للحدود تجعل حدود كندا مقتصرة على الحالة التي كانت عليها قبل صدور قانون كويبك عام ١٧٧٤ وتأكيد حق صيد الأسماك للأمريكيين في سواحل نيوفاوندلاند وغيرها من الاماكن. اما المطالب المرغوب فيها والتي اعتقد فرانكلين انها جوهرية للتوصل إلى تسوية كاملة وودية فهي ان تدفع بريطانيا ٥٠٠٠٠٠ أو ٦٠٠٠٠٠ جنيه استرليني تعويضاً عما دمر واحرق من المدن الأمريكية وان تقر بالخطأ الذي ارتكبته بحق مستعمراتها السابقة وان تفتح موانئ بريطانيا وايرلندا امام السفن الأمريكية التي يجب ان تتمتع هناك بنفس الامتيازات التي تتمتع بها السفن البريطانية على ان تتمتع السفن البريطانية بنفس الحق في الموانئ الأمريكية ، وان تتخلى بريطانيا للولايات المتحدة عن كندا ونوفاسكوتيا [١].

في اليوم التالي لحديثه هذا مع اوزوالد أي في ٣١ تموز ١٧٨٢ علم فرانكلين بالتغيير الوزاري الذي حصل في بريطانيا نتيجة لموت روكنجهام فاثار قلقه خروج فوكس الذي كان يؤيد استقلال الولايات المتحدة من الوزارة وما تبع ذلك من اعفاء كرينفيل ورابه ايضاً سلوك شيلبورن الذي تميز بالازدواجية ودفعه

(١) Pleshkov, Tam zhe . Str. 85-86.

كل ذلك إلى قطع محادثاته مع ازوالر وذكر لهذا الاخير ان عليه قبل ان يتعهد باي شيء ان يتشاور مع زميله جون جي الذي كان مريضاً وعاد لتوه من مدريد.

في هذه الاثناء فوض ازوالد رسمياً بالتفاوض مع الجانب الأمريكي، لكن الوثيقة التي فوض بموجبها لم تعترف بالمفاوضين الأمريكان على انهم مندوبين عن الولايات المتحدة بل عدتهم رعايا بريطانيين على اساس الوضع الذي كانت عليه المستعمرات قبل الثورة الأمريكية. لهذا تردد فرانكلين وجي في التفاوض معه وطلبا نصيحة فرجن في هذا الامر فنصحهما بالاستمرار في التفاوض، لكن جي الذي كان متحفظاً في هذه القضية أكثر من فرانكلين شك بنوايا الوزير الفرنسي واعتقد بان مطالب الأمريكيين بشأن حرية الملاحة في نهر المسيسبي والحدود الغربية لاتجد اسناداً من فرجن وان فرجن كان يرغب بتأجيل اعتراف بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة إلى ان يجري التوصل إلى معاهدات رسمية تتضمن الاتفاق على كل شيء بما في ذلك اهداف حلفاء فرنسا الاخرين، أي ان فرنسا تريد ان تبقى الولايات المتحدة في حالة حرب إلى ان تتحقق مصالحها ومطامح اسبانيا. واثر موقف جي هذا على فرانكلين فتوجه الاثنان إلى اوزوالد وطلبا منه ان يريهما الوثيقة التي فوض بموجبها باجراء المفاوضات مع ممثلي الولايات المتحدة، لان صيغة الاستقلال اذا وردت في وثيقة التفويض كانت في نظر فرانكلين بمثابة اعتراف مسبق باستقلال الولايات المتحدة.

حاول البريطانيون تعميق الشكوك التي كانت تراود جي بشأن موقف فرنسا ، وفي اطار جهودهم في هذا السبيل اطلعه المندوب البريطاني على نسخة مترجمة لرسالة كانت السلطات البريطانية قد تمكنت من الحصول عليها ارسلها القائم بالاعمال الفرنسي في الولايات المتحدة باربي ماربوا Barbe Marbois إلى فرجن يحثه فيها على ان تمتنع فرنسا عن مساندة ما تطالب به الولايات

المتحدة من مشاركة في مصائد الأسماك في سواحل الممتلكات البريطانية في أمريكا الشمالية ويؤكد له ان بنود التحالف مع فرنسا لاتعطي الولايات المتحدة الحق في طلب مساعدة فرنسا في هذا الامر وان فرنسا لاتريد ان ينافسها سكان نيوانجلاند في المستقبل في حصتها بتلك المصائد. ومع ان جي شك في البداية في صحة هذه الرسالة الا ان ارتيابه بالفرنسيين ازداد أكثر اثر اقتراح قدمه فرجن بواسطة سكرتيره الشخصي راينفال Rayneval [1] يقضي بترك المنطقة الواقعة بين اوهايو والبحيرات العظمى لبريطانيا وتقسيم المنطقة الواقعة إلى الجنوب من اوهايو والى الغرب من جبال اليكني إلى قسمين يصبح القسم الغربي منها مستعمرة هندية تحت حماية اسبانيا ويذهب القسم الشرقي إلى الولايات المتحدة. لقد قدم فرجن اقتراحه هذا على اساس انه سيوفق بين ما يريده الامريكيون ومايريده الاسبان الذين كان سفيرهم في باريس الكونت دي اراندا de Aranda قد قدم في المحادثات التي كان يجريها مع جي أنذاك مطالب تتضمن الاستحواذ على مناطق واسعة على الضفة الشرقية لنهر المسيسبي تمتد من فلوريدا إلى مشيجان [2].

اثار اقتراح فرجن هذا دهشة واستنكار الجانب الأمريكي لان تحقيقه يعني ان الولايات المتحدة ستبقى محصورة بين الساحل وجبال اليكني. وعمق الاقتراح شكوك جي التي زادت أكثر حين علم في اليوم التالي لتسلمه هذا الاقتراح ان راينفال قد غادر في رحلة سرية إلى لندن ، إذ اعتقد بانه ذهب إلى هناك ليعقد صفقة مع شيلبورن على حساب الحدود الأمريكية وليحبط ادعاءات

(1) Joseph Mathias Gerard de Rayneval هو اخو كونراد الكسندر جيرارد Conrad Alexandr Gerard أول وزير فرنسي في الولايات المتحدة.

(2) انظر حول ذلك:
Alden, Op. Cit., PP.486-487; Bemis, A diplomatic history … P.54.

الولايات المتحدة بمصائد الأسماك. ويبدو ان شكوك جي كانت في محلها فمع ان راينفال ارسل إلى لندن ليؤكد عن طريق لقاء مباشر مع شيلبورن بعض بنود الصلح الا انه انتهز الفرصة واستذكر بالفعل الادعاءات الأمريكية بشأن المصائد والحدود واكد لرئيس الوزراء البريطاني بان بالامكان التخلص من الأمريكيين عن طريق ابقائهم جاهلين بما يجري بين بريطانيا وفرنسا واسبانيا . وخرج شيلبورن من هذا اللقاء مع راينفال باستنتاج مفاده ان فرنسا لن تدافع عن المطالب الأمريكية باستثناء الاستقلال وكتب حول ذلك إلى الملك قائلاً " بعد ان تسوى قضية الاستقلال فانه [راينفال] سيبدو حسوداً لأمريكا أكثر منه متحيزاً لها في القضايا الأخرى بما في ذلك [قضية] المصائد " [1]. وقد كان شيلبورن محقاً تماماً في تقييمه للموقف الفرنسي فقد كان فرجن في حقيقة الامر يناهض المطالب الأمريكية الخاصة بتسوية الحدود ولاسيما المطلب الخاص باعطاء كندا للولايات المتحدة وقد عبر عن ذلك بوضوح في رسالة كتبها إلى لوزيرن في خريف ١٧٨٢ وقال فيها " انكم تعرفون اراءنا بشأن كندا وهي لم تتغير. ان كل ماسيؤدي إلى اعاقة الاستيلاء على هذا البلد [من قبل الولايات المتحدة] يتطابق مع وجهات نظرنا، لكنكم تتفقون [معنا] بان هذا الرأي ينبغي ان يبقى سراً لايمكن للأمريكان الوصول اليه. ان غير ذلك سيكون جريمة لن يغفروها لنا ابداً. الأفضل في هذه الحالة ان نتظاهر باننا نشاركهم في ارائهم وفي الوقت نفسه نخرب أي خطوات تؤدي بهم إلى تحقيق اهدافهم " [2].

اقلق هذا الموقف الفرنسي الذي انعكس في سلوك الفرنسيين اثناء المفاوضات ممثلي الولايات المتحدة واثار استياءهم وعدوه تخلياً من فرنسا عن الالتزامات التي يفرضها عليها حلفها مع الولايات المتحدة ففقدوا ثقتهم بها ولم

(1) Quoted in Bemis, Adiplomatic history P.56.

(2) Tsit Pleshkor, Tam zhe str.96.

يعودوا ميالين لقبول نصائح فرجن والعمل بكامل التنسيق مع الجانب الفرنسي كما طلب منهم المؤتمر. وكان جي اكثرهم مبادرة في هذه القضية إذ عمد، من اجل الرد على الموقف الفرنسي إلى اتخاذ خطوة جريئة في هذا السبيل، إذ قام على مسؤوليته الخاصة ودون ان يخبر احداً من زملائه بارسال مبعوث إلى شيلبورن ليخبره بان ارجاء الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة يصب في مصلحة فرنسا لا مصلحة بريطانيا فقد " اتضح الان بان مصلحة بريطانيا الظاهرة تكمن في ان تقطع على الفور الروابط التي تربطنا بفرنسا لانه على الرغم من اننا صممنا باخلاص على تنفيذ معاهدتنا وتعهداتنا مع هذا البلاط [الفرنسي] فان تفسيرنا لالتزاماتنا يختلف عن تفسيرها " (١).

رأت حكومة شيلبورن ان ذلك يؤلف فرصة يجب انتهازها فأصدرت لاوزوالد في ١٩ ايلول ١٧٨٢ تفويضاً رسمياً جعله رئيساً لبعثة رسمية جديدة ومنحه صلاحية التفاوض مع مندوبي الولايات المتحدة الأمريكية وفوضه الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة على ان يؤلف هذا الاعتراف المادة الأولى من معاهدة رسمية تعقد بين الجانبين.

واصل ازوالد على هذا الأساس مفاوضاته مع جي فقط لان فرانكلين كان مريضاً في تلك الايام وتوصل الاثنان في ٥ تشرين الأول ١٧٨٢ إلى وضع مسودة اولية لمعاهدة صلح واتفقا على انها لايمكن ان تعد نافذة الا بعد ان يجري التوصل إلى معاهدة اولية مماثلة للصلح بين فرنسا وبريطانيا، والى ان يتحقق ذلك ينبغي ان تستمر العمليات العسكرية. واتفقا كذلك على ان تصاغ بنود معاهدة الصلح النهائية في ضوء هذه المسودة.

(1) Quoted in Bemis, A diplomatic history , P.56.

نصت المادة الأولى من هذه المعاهدة التي وافق عليها فرانكلين على استقلال الولايات المتحدة وعينت حدودها بحيث تسير حدودها مع كندا مع نهر سانت لورنس ودائرة عرض ٤٥° شمالاً وخط يصل بين بحيرة نيبسنغ ونهر المسيسبي ، اما حدودها الغربية فتسير مع نهر المسيسبي في حين تسير حدودها الجنوبية مع دائرة عرض ٣١° شمالا حتى نهر سنت ماري، ويؤلف ساحل المحيط الأطلسي حدودها الشرقية على ان تدخل ضمن حدودها هذه جميع الجزر الواقعة ضمن مسافة ٧٠ فرسخاً بحرياً من الساحل . وطالبت المادة الثانية من المسودة بايقاف العمليات العسكرية في البر والبحر واطلاق اسرى الحرب وسحب جميع القوات البريطانية من أراضي الولايات المتحدة. واضافت المادة الثالثة إلى حق مواطني الولايات المتحدة في صيد الأسماك في شواطئ نيوفاوندلاند وغيرها من الاماكن حقهم بتجفيف وتقديد الأسماك في الاماكن التي اعتادوا ان يفعلوا ذلك فيها . واحتوت المسودة ايضاً واحداً من بنود فرانكلين " المرغوب فيها " هو حرية الملاحة لمواطني كل من البلدين في ممتلكات البلد الاخر واضافت إلى ذلك بنداً جديداً يعطي الطرفين الحق في الملاحة في نهر المسيسبي (١).

من الواضح ان هذه المسودة التي وافق عليها اوزوالد على اساس " شرط الاستشارة " (٢) وارسلها إلى لندن فوصلت إلى هناك في ١١ تشرين الأول ١٧٨٢ تنسجم من حيث المبدأ مع المطالب البريطانية الواردة في التعليمات التي ارسلت إلى اوزوالد في ايلول من ذلك العام. ومع ذلك فقد رفضتها الحكومة

(1) Pleshkov, Tam zhe str. 100-102.

(٢) مصطلح دبلوماسي يعني ان الممثل الدبلوماسي يشترط استشارة حكومته اذا اثيرت قضية أو قدمت اقتراحات ليس لديه بشأنها تعليمات كافية ويقيد جوابه بهذا الشرط بحيث لايعد قبوله نافذاً الا بعد موافقة حكومته.

البريطانية لان الظروف كانت قد تغيرت منذ ذلك الوقت، فقد نجحت القوات البريطانية في ١٣ أيلول ١٧٨٢ في صد الهجوم الذي قامت به على جبل طارق قوات مشتركة فرنسية واسبانية، كما ظهر استعداد فرنسا للصلح من خلال الزيارة التي قام بها راينفال ومحادثاته مع شيلبورن فكان ذلك كله إلى جانب اختلاف الاراء داخل الحكومة البريطانية وراء رفضها لمسودة المعاهدة. وقد ادى استياء الموالين واصحاب الديون ورجال الاعمال الذين كانوا يحققون ارباحاً هائلة من تجارة الفراء وصيد الاسماك في أمريكا الشمالية دوراً ملموساً في دفع الحكومة البريطانية إلى رفض المسودة. ولكي لاينفرد اوزوالد الذي كان بعض اعضاء الوزارة يعدونه ذا اتجاهات موالية للامريكان ومبالاً للتهاون والقيام بتنازلات لاضرورة لها، ارسل إلى باريس هنري ستراجي Strachey وكيل وزارة الداخلية لينضم اليه، وزود الاثنان بتعليمات جديدة اوعزت اليهما بان يطالبا بدفع الحدود مع كندا إلى الجنوب والغرب إلى اقصى ما يمكن وان يصرا على وجوب تعويض الموالين الذين صادر الأمريكيون اموالهم اثناء الحرب وان يدفع الأمريكيون كل ما كانوا مدينين به للبريطانيين بالجنيه الاسترليني وليس بالعملة الأمريكية التي فقدت قيمتها ويبتعدوا عن صيد الأسماك في المياه الإقليمية التابعة لما تبقى من الممتلكات البريطانية في أمريكا الشمالية (١).

في هذه الاثناء وصل ادمز إلى باريس والف وصوله دعماً لمواقف جي، وفي الوقت نفسه تصدى فرانكلين لمطلب البريطانيين بتعويض الموالين مطالباً بتعويض الأمريكيين عن ممتلكاتهم التي دمرتها القوات البريطانية والمدن التي احرقتها وقدم لهم قائمة طويلة بذلك. وبعد اخذ ورد جرى الاتفاق على ان

(١) انظر محتوى هذه التعليمات في:
Pleshkov, Tam zhe str 101-103; Bemis, A diplomatic history … P.58.

تتضمن المعاهدة مادة تقضي بحماية الموالين من مصادرات وحجوزات لاحقة وتنص على ان يوصي المؤتمر الولايات باعادة الممتلكات المصادرة أو التعويض عنها مع العلم بان الجميع كان متأكداً بأن الولايات لن تقبل باي حال تنفيذ مثل هذه التوصية. من ناحية اخرى وافق الجانب الأمريكي على تسديد الديون الشخصية بالاسترليني لكنه حصل بالمقابل على حرية الصيد في المياه الاقليمية البريطانية كما حصل على بعض المكاسب في قضية الحدود الشمالية والشرقية إذ ربح الأمريكان منطقة لايستهان بها هناك كان سكان ماساتشيوستس يطالبون بها في السابق. وتمكن المفاوضون الأمريكان ايضاً من تضمين مسودة المعاهدة مادة تقضي بعودة العبيد الذين هربوا ولجأوا إلى البريطانيين اثناء الحرب إلى اصحابهم الأمريكيين. وجرى الاتفاق على ان تكون هذه المعاهدة التي نصت على اقرار بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة نافذة بمجرد ان يجري التوصل إلى اتفاق الصلح بين بريطانيا وفرنسا.

وافقت الحكومة البريطانية على ما جرى الاتفاق عليه ووقعت اتفاقية الصلح الأولية هذه لأنها ارادت ان يؤدي ذلك إلى اخراج الولايات المتحدة من الحرب مما يسهل عليها التعامل مع اعدائها الاخرين في أوربا، ووقعها ممثلو الولايات المتحدة ايضاً في ٣٠ تشرين الثاني ١٧٨٢ دون ان يعلموا الحكومة الفرنسية متجاوزين بذلك التعليمات التي زودهم بها المؤتمر القاري. وقد تعرضوا بسبب ذلك لنقد شديد من جانب الموالين لفرنسا في المؤتمر الذين عارضوا المعاهدة بحجة ان ممثلي الولايات المتحدة اظهروا عدم ثقة بحليفتهم فرنسا ولم يخلصوا للحلف معها في الوقت الذي ظلت فيه فرنسا حتى النهاية مخلصة لالتزاماتها النابعة من معاهدة ١٧٧٨ مع الولايات المتحدة . ولابد ان نلاحظ هنا بان حجة معارضي المعاهدة هذه كانت واهية على الرغم من انها شاعت في المؤلفات التاريخية لمدة طويلة من الزمن. وقد شكك في وجهة النظر

هذه مؤخراً عدد من المؤرخين الأمريكان وغيرهم الذين لاحظوا ان فرنسا بتوقيعها اتفاقية ارانجوز السرية مع اسبانيا كانت أول من خرق المعاهدة الفرنسية – الأمريكية لعام ١٧٧٨ نصاً وروحاً [١].

اكتفى فرجن في رده على تصرف المفاوضين الأمريكان الذين تجاوزوا تعليمات المؤتمر ووقعوا معاهدة مع بريطانيا دون علمه باحتجاج معتدل اللهجة لم يقدمه الا بعد اسبوعين من اخبار فرانكلين له بتوقيع المعاهدة الأولية مع البريطانيين ولم يذكر فيه شيئاً عن قطع العلاقات . ورد فرانكلين على ذلك برسالة كتبها في ١٧ كانون الأول ١٧٨٢ اعترف فيها بالخطأ الذي ارتكبه المفاوضون الأمريكان واكد للوزير الفرنسي " ان الانجليز كما علمت مؤخراً يعللون انفسهم بانهم استطاعوا ان يدقوا اسفيناً بيناً " وعبر له عن امله " في ان يبقى هذا الخلاف الصغير سراً " [٢] . ولكي يدرك الانجليز خطأهم العميق في هذا الشأن طلب فرانكلين في الرسالة نفسها ان تمنح فرنسا الولايات المتحدة قرضاً جديداً . وكان له ما اراد وحصلت الولايات المتحدة على قرض بمبلغ ستة ملايين ليفر [٣].

من الواضح ان رد فعل فرجن على تصرف المفاوضين الأمريكان لم يكن يتناسب و " الخطأ " الذي ارتكبوه والسبب في ذلك هو اعتقاده بان المعاهدة الأولية التي جرى الاتفاق عليها بين الأمريكان والانجليز تساعده على التحرر من التزامه تجاه اسبانيا بمواصلة الحرب إلى حين حصولها على جبل طارق وهو امر كان من الواضح آنذاك (في اواخر ١٧٨٢) انه بعيد المنال . أي ان

---

(١) انظر مثلاً:

Aptheker, Op. Cit., P.205; Pleshkov, Tam zhe str.117.

(2) Quoted in Aptheker Op. cit., P.258.

(٣) الليفر عملة فرنسية فضية كانت متداولة في فرنسا في القرن الثامن عشر قيمتها اقل قليلاً من الفرنك.

المعاهدة تؤلف وسيلة يمكنه استخدامها لانهاء الحرب طالما ان هدف فرنسا الاساس من ورائها قد تحقق وهو توجيه ضربة قاصمة للإمبراطورية البريطانية بفصل المستعمرات الأمريكية عنها. يضاف إلى ذلك ان الاتفاق كان مجرد معاهدة اولية اعتقد فرجن ان استنكارها يمكن ان يدفع الأمريكيين إلى التخلي تماماً عن فرنسا وعقد صلح منفرد نهائي مع بريطانيا.

وهكذا فقد رأى فرجن ان عليه الان ان يقنع اسبانيا بالموافقة على انهاء الحرب دون حصولها على جبل طارق، فبعد توقيع الصلح الأولي بين الولايات المتحدة وبريطانيا اصبح من الواضح لاعداء بريطانيا الاخرين ونعني فرنسا واسبانيا وهولندا بانهم اذا ارادوا مواصلة الحرب فان ذلك سيكون دون مشاركة الولايات المتحدة. ولذلك فبعد اسبوعين من المشاحنات والنقاشات بين اسبانيا وبريطانيا وافقت الأولى على انهاء الحرب ووقعت هي وفرنسا في ٢٠ كانون الثاني ١٧٨٣ على اتفاقيات اولية منفردة مع بريطانيا فحلت بذلك الهدنة التي شملت الولايات المتحدة ايضاً. اما هولندا فقد ظلت في حالة حرب مع بريطانيا محاولة عبثاً استعادة مستعمراتها والحصول من بريطانيا على اعتراف بمبادئ الحياد المسلح لكنها اضطرت اخيراً وبعد ان وقعت كل من فرنسا والولايات المتحدة الصلح الأولي مع بريطانيا إلى انهاءا لحرب وتوقيع صلح أولي ايضاً في ٢ أيلول ١٧٨٣ [١].

مع ان معاهدات الصلح هذه كانت مجرد معاهدات أولية يفترض ان تجري عليها تغييرات لاحقة وتدخل فيها تفصيلات اخرى بعد توقف العمليات العسكرية لكن ذلك لم يحدث ولم تتغير فيها الا تفاصيل قليلة جداً لم تطل المعاهدة البريطانية – الأمريكية التي ظلت على حالها دون تغيير رغم اجراء محادثات

---

(١) وقعت المعاهدة النهائية بين هولندا وبريطانيا في ٢٠ ايار ١٧٨٤ وجرت المصادقة عليها في لاهاي في ١٥ حزيران وفي لندن في ٢٠ حزيران من العام ذاته.

مطولة بشأن ذلك لم تفض إلى نتيجة [1] ، وجرى التوقيع عليها جميعاً في ٣٠ أيلول ١٧٨٣ فانتهت بذلك الحرب واحرزت الولايات المتحدة النصر ونالت استقلالها.

* * *

تمكن الأمريكيون من الانتصار في الحرب رغم الفارق الهائل بينهم وبين البريطانيين في الإمكانات والوسائل بفضل جملة من العوامل المهمة بعضها يتعلق بالجانب البريطاني وبعضها الاخر بهم انفسهم. ففيما يتعلق بالبريطانيين كان بعد المسافة التي كان عليهم ان ينقلوا قواتهم عبرها والتي تزيد على ثلاثة ألاف ميل واحداً من اهم المشاكل التي كانت تعيق مجهودهم الحربي، يضاف إلى ذلك انه كان عليهم ان يفرضوا سيطرتهم على منطقة جغرافية واسعة بعيداً عن الساحل في منطقة تكاد تخلو خلواً تاماً من المواصلات والطرق الملائمة . ومع انهم كانوا يسيطرون على البحر ويمتلكون تنظيماً افضل وخبرة اوسع وضبط عسكري احكم واشد وموارد لايستهان بها الا ان الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة البريطانية وعجزها عن اعتماد ستراتيجية محكمة وافتقارها لوحدة القيادة قلل كثيراً من الاثر الايجابي الذي كان من الممكن لتلك الميزات ان تحدثه في سير الحرب.

اما الأمريكيون فكان تأسيسهم لجيش نظامي اثبت في الكثير من المواقع انه لايقل براعة عن الجيوش المحترفة بمقاييس ذلك العصر وبروز عدد من القادة اللامعين الذين كشفوا عن مواهب عسكرية مشهودة امثال جورج واشنطن وناتانيال كرين وانطوني واين Antony Wayne وهنري فوكس Henry Fox

---

(١) انظر حول ذلك:
Pleshkov, Tam zhe str. 115-123; Alden, Op. Cit., PP.489-490; Bemis, A diplomatic history … PP.63-64.

ودانيال مورغن Daniel Morgan بل وحتى بندكت ارنولد قبل ان يخون القضية الأمريكية ، رجح كثيراً كفتهم في الصراع لاسيما وانهم استفادوا كثيراً من خبرة وحرفية العديد من المتطوعين الاجانب امثال فون ستوبن الالماني ولافاييت الفرنسي . والاهم من كل ذلك ان الأمريكيين كانوا مشبعين بروح من الحماس قل نظيرها ومؤمنين بالهدف الذي يحاربون من أجله [1] إذ مكنهم ذلك من تحمل مشاق وصعاب ما كان بمقدورهم تحملها لولا هذا الحماس الثوري وروح الاندفاع الوطنية التي كانوا يتحلون بها، وقد تجلى ذلك بشكل خاص لدى المليشيا التي كانت تتألف من متطوعين جاءوا للقتال باختيارهم. لقد كان حماسهم شديداً واندفاعهم قوياً لدرجة غطت على ما كانوا يتميزون به كمقاتلين من سوء في الضبط ونقص في التدريب. ويجب ان لاننسى ونحن نتحدث عن مقومات النصر الذي احرزه الأمريكيون المساعدة العسكرية والمالية القيمة التي حصلوا عليها من فرنسا فلولا تلك المساعدة لكان النصر الأمريكي الحاسم بعيد الاحتمال باعتراف الأمريكيين انفسهم.

لقد اثبتت تجربة الثورة الأمريكية وحرب الاستقلال الحاجة إلى توجيه مركزي قوي في الحرب واكدت ضرورة ان تخضع الولايات للمصالح الوطنية الأوسع. لقد اصبح من الواضح جداً انه ليس بالإمكان تأليف جيش كفء ومنظم وقادر على خوض حرب كبيرة طالما ظل التجنيد والتنظيم من صلاحيات الولايات كل على حدة وان ذلك لايتم الا بوجود حكومة مركزية تتمتع بصلاحية

---

(١) قال احد الضباط البريطانيين لكورنواليس : " لو قتل جميع الرجال في أمريكا الشمالية فامامنا عمل عظيم القضاء على النساء. انني اصرح قلبياً انني يئست من القتال في هذه البلاد وكم اود العودة إلى وطني " نقلاً عن تشارلز وماري بيرد ، المصدر السابق، ص١٣٣.

فرض الضرائب وانشاء قوات عسكرية وسلطة قوية تستخدمها لتنفيذ قـرارات المؤتمر. وقد استوعب واضعوا الدستور هذه الحقيقة وعملوا على تأسيس مثـل هذه الحكومة .

خارطة الولايات المتحدة الامريكية في القرن الثامن عشر(1)



(1) Alan Brinkley ,AMERICAN HISTORY To1877, Volume1,Toronto,2003,p150.

حرب الاستقلال الامريكية(1)

ممتلكات شركة خليج هدسون (بريطانية)

الحدود التي منع المستوطنون في 1763 من امتلاك الارض الواقعة وراءها

حدود الاراضي التي تنازلت منها بريطانيا للولايات المتحدة بموجب معاهدة 1783

هركة القولات البريطانية

تحرك هاو وكلنتون من بوسطن الى نيويورك (1776-1777)

تحرك بركوين الى ساراتوغا في خريف 1777

تحرك كورنواليس من تشارلستون الى يوركتاون (1780-1781)

هركة القوات الامريكية

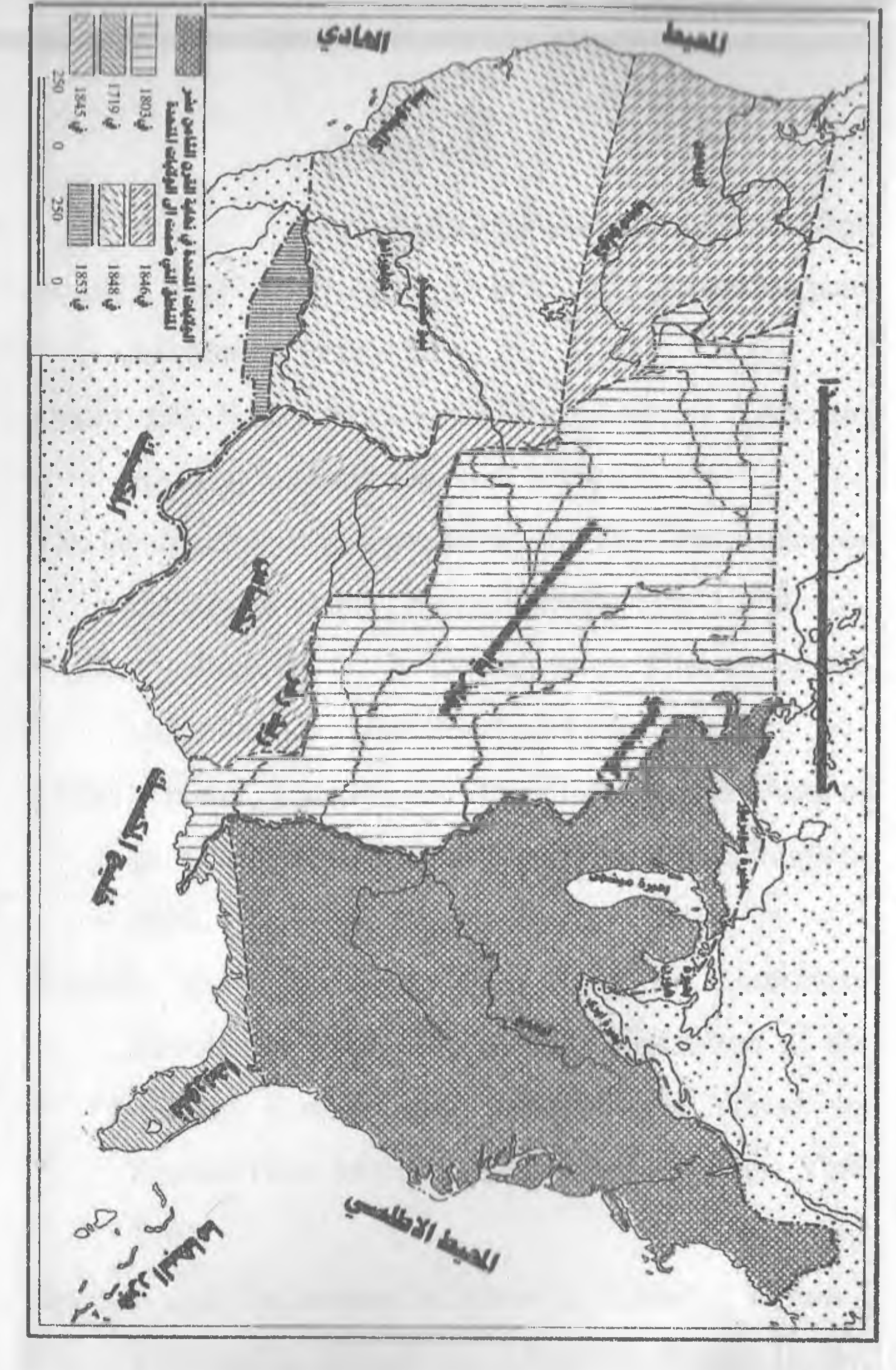
تحرك كيتس وواشنطن الى ترنتون (1776)

تحرك كلارك نحو الغرب (1778-1779)

تحرك واشنطن الى يوركتاون (1781)

200 0 200 400

(1) B.F. Porshevi I drug. (Red). Novaya Istoriya 1640-1789 , Moskva,1964



توسع الولايات المتحدة في 1783-1853 (1)

(1) B.F. Porshevi I drug. (Red). Novaya Istoriya 1640-1789 , Moskva,1964

المصادر

اولاً: الوثائق والكتب الوثائقية:

- Beloff, Max (ed.) The Debate on the American Revolution 1791-1783.
- Commager, Henry Steel, (ed.) Documents of American History, Fifth edition New York n.d.
- The Declaration of Independence and the Constitution of the United States , Bantam Books, USA, 1998.
- Heffner , Richard D. A Documentary History of the United States , New America Library 1956.
- Miller, Hunter, Treaties and other International Acts of the United States of America , Vol 2, Washington, 1931.
- Sources and Documents illustrating the American Revolution 1764-1788 and the Formation of the Federal Constitution, selected and edited by Samuel Eliot Morison, Second edition, New York 1965.
- Speechs and Documents in American History , Volum 1 1776-1815, Selcted and edited by Robert Birley, London, 1956.

ثانياً: العربية والمعربة:

- ألن نفنز وهنري ستيل كوماجر، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، نقله إلى العربية مصطفى عامر، دار مصر للطباعة، د.ت.
- بسام العسلي، جورج واشنطن ١٧٣٢-١٧٩٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- بويس ب . رايت ، " تجربة في الاستعمار " في ارل شينك ميرز، حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف إلى عصر الذرة، نقله إلى العربية فؤاد جميل ، بغداد ١٩٥٨.
- تشارلز وماري بيرد، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ج١، دمشق ١٩٦٠.
- توماس جي . ورتن ، " قرص الشمس الدامي " في : ميرز ، حضارة العالم الجديد ...
- جورج ف . ويلسون، " بذرة الديمقراطية الخصبة " في ميرز حضارة العالم الجديد ...
- جون ستيل جوردون ، إمبراطورية الثروة ، التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية، ترجمة محمد مجد الدين باكير، الجزء الأول، عالم المعرفة ٣٥٧ نوفمبر ٢٠٠٨.
- دان ليسي، الثورة الأمريكية دوافعها ومغزاها، ترجمة سامي ناشد، الجزء الثاني ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦.
- رولان موسينيه واخرون، تاريخ الحضارات العام، القرن الثامن عشر، عهد الانوار، نقله إلى العربية يوسف داغر، فريدم داغر، الطبعة الثانية ، بيروت – باريس ١٩٨٧.

- ستيفن فنسنت بنيه، أمريكا ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ، القاهرة ١٩٤٥.
- عبد العزيز سليمان نوار وعبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- عبد العزيز محمد الشناوي ، أوربا في مطلع العصر الحديث، الجزء الأول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩.
- فرانسيس وايتني، موجز التاريخ الأمريكي ، تعريب مركز الاستعلامات الأمريكية في القاهرة، القاهرة، د.ت.
- فرانكلين اشر، موجز تاريخ الولايات المتحدة ، بيروت ١٩٥٤.
- كارل بريدن " وليم بن ... مؤسس مراكز الاستيطان " في ميرز ، حضارة العالم الجديد...
- لورنس ايج . جبسون ، " حرب عظمى ... في سبيل بناء امبراطورية كبرى " في ميرز ، حضارة العالم الجديد...
- ماكس شافيل ، " اقلية مؤلفة من شخص واحد " في ميرز ، حضارة العالم الجديد...

ثالثاً: الأجنبية:

- Abramson, M.L. " Velikie Geograficheskie otykrytiya. Nachala Kolonialnykh Zakhvatov" V Istoriya Srednikh Vekov, Moskva, 1964.
- Alden, John R., A History of the American Revolution New York, 1969.

- Efimov, A.V., Ocheki Istorii SSHA ot otkrytiya ameriki do Okanchaniya Grazhdanskoi Boyny.
- Faulkner, American Political and Social History, New York, 1943.
- Fursenko, A.A., " Kolonialnyi Period (1607-1776 gg.) V Akademiya Nauk SSSR, Institut Istorii, Ocherki Novoyi i Noveyshey Istorii SSHA, T.1 Moskva, 1960.
- Guttridge G.H., The Colonial Policy of William III in America and west Indies, Cambridge, 1922.
- Hicks, John D., The Federal Union, A History of the United Stats to 1865 .
- Jamson, J.F. The American Revolution Considerd as a Social movement, Boston, 1956.
- Knollenberg, Bernhard, Origin of the American Revolution, Indianapolis, 1961.
- Konontsev, " Kanada " Sovetskaya istoricheskaya Entsiklopediya, T.6, Moskva 1965.
- Labaree, Benjamin woods, the Boston Tea Party, Boston, 1979.
- Lesnikov, M.P. " Velikie Geograficheskie otkrytiya " V Skazkin S.D. etal (red.) Istoriya Sreednikh vekov, Moskva, 1954.

- American Military History 1607-1953, Edited by Department of the Army , 1956.
- Andrews, M.P., The Founding of Maryland, New York-London, 1933.
- Aptheker, The American Revolution 1763-1783, London, 1960.
- Bemis, Samuel Flagg, A Diplomatic History of The United States, Fourth Edition, New-York 1955.
- ______________, The Diplomacy of The American Revolution, Edinburgh and London, 1944.
- Brown , W.H., Marylan, The History of a Palatinate, Boston 1888.
- Carman, Harry J.and Syrett, Harold c. a History of the American People, Vol. 1 New York, 1955.
- Davenport, Robert, Alpha Teach Yourself American History in 24 hours, USA 2003.
- Davis, Kenneth C.Don't Know Much About History, Harper Collins Publishers, 2004.
- Dementev, I.P. "Soedinennye Shtaty ameriki, Istoricheskii Ocherk do 1877" – Sovetskaya istoricheskaya Entsklopediya T.13, Moskva 1971.
- Dilomatccheskiy Slovar, T.1, Moskva 1960.

- Malkin M.M. " Voyna Za Nezavisimost V Severno
amerike " V Porshnev B.F. I dru. (red.), Novay
Istoriya T.1 1640-1789, Moskva, 1964.
- Mclaughlin, Andrew C., A History of the America
Nation, New York – Chicago 1913.
- Mogidovich, I.P. "Velikie Geograficheskie otkrytiya "
Sovetskaya istoricheskaya Entsiklopediya T.
Moskva 1963.
- -------------- , " Severnaya America " Sovetskay
istoricheskaya Entsiklopediya T.12 Moskva, 1969
- Morison, Samuel Eliot , The Oxford History of Th
American People, New York, 1965.
- Morris, Richard B., (ed.), Encyclopedia of America
History , Six edition, Harper and Row Publisher
1982.
- Nettels, C.P., Roots of the American civilization,
History of Colonial life , New York, 1940.
- Nordholt , Jan W.Schulte , The Duch Republic an
American Independence, Translated by Herbert
Rowen, Chapel Hill and London 1982.
- Paine Thomas, Common Sense New York 1997.

- Perkins Dexter/ Van Deusen Glyndon G., The United states of America : A History to 1876, Second edition , the Macmillan company, 1968.
- Pleshkov, V.N., Vneshnaya Politika SSHA V Kontse XVIII Veka, Leningrad, 1984.
- Riegel Robert E. and Haugh Helen, United states of America, A History, Charles Scribner sons, 1949.
- Robson, E. The American Revolution in its Political and Military Aspects, 1763-1783, London, 1955.
- Rozin, E.L. " Politicheskie ucheniya V SSHA V Period Borby za Nezavisimost " V Mokichev (red.), Istoriya Politicheskikh uchenii, Moskva, 1965.
- Semenov V.F., Istoriya Srednikh Vekov Moskva 1975.
- Shotwell James T., The united states in History, New York 1956.
- Svet Ya.M., "Kolumb", Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopidiya, T7, Moskva 1965.
- United states Information Service, (ed.) An outline of American History n.p.n.d.
- Van Tyne, G.H. American Revolution, New York-London, 1905.

- Wright E., Fabric of Freedom, 1763-1800, New-York, 1961.
- Zajdbr, Ludwik, Atlantyda, Perevod s Polskovo V.S. Koleshi I V.L. Shibaera Moskva, 1966.
- Zakharova, " Voyna angliskikh Kolonii V Severnoy amerike za Nezavisimost. Obrazovanie Soedinennikh sltatov Ameriki " V Vsemirnaya Istoriya T.V, Moskva, 1958.
- Zobel, Hiller B.The Boston Massacre, New York-London, 1970.

المحتويات

مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية الحديث

في الربع الاخير من القرن الثامن عشر رفعت المستعمرات البريطانية الثلاث عشر في امريكا الشمالية راية الكفاح ضد السيطرة البريطانية واعلنت في العام ١٧٧٦ استقلالها عن بريطانية وخاضت حرباً ضروساً استمرت ثمان سنوات اظهر خلالها سكان المستعمرات البسطاء شجاعة وتفانياً واصراراً على تحقيق اهدافهم بالاستقلال والديمقراطية والحياة الافضل، تمكنوا بالنتيجة من اجبار الحكومة البريطانية على الاعتراف بأستقلالهم فظهرت بذلك دولة جديدة تقوم على اسس ديمقراطية لم تألفها الانظمة الرسمية في العالم آنذاك.



دار الجواهري

طبع - نشر - توزيع

٠٧٧٠٢٩١٠٠٩٠

E-mail: daraljwahere@yahoo.com